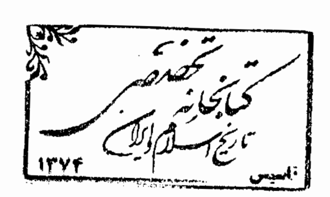


دكتور عبد الرحمن بشير

اليهود فى المغرب الإسلامى وإسبانيا المسيحية





اليهود فى المغرب الإسلامى وإسبانيا المسيحية

(٢٢ - ٤٦٢هـ / ٦٤٢- ١٠٧٠م)

تأليف

دكتور عبد الرحمن بشير

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

c
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

بطاقة الفهرسة	المستشارون
بشير ، عبد الرحمن اليهود فى المغرب الإسلامى وإسبانيا المسيحية (٢٢-٤٦٢هـ/ ٦٤٢-١٠٧٠م / تأليف عبد الرحمن بشير ط١ : الجيزة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠١٤م ٢٧٢ صفحة ؛ ١٧*٢٤سم تدمك ١ ٣٢٨ ٣٢٢ ٩٧٧ ٩٧٨ ١- اليهود - تاريخ أ- العنوان	د. أحمد إبراهيم الهوارى د. شوقى عبد القوى حبيب د. قاسم عبده قاسم المشرف العام : د. قاسم عبده قاسم المدير التنفيذى : شريف قاسم مدير الإنتاج : جمال عابد تصميم الغلاف : القسم الفنى

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
٥ شارع المريوطية - الهرم- ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٣٨٧١٦٩٣

Publisher : EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
5 , Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 33871693
web site : WWW.Dar-Ein.com / Email : dar_ein@hotmail.com

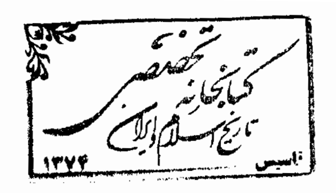
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى شقيقى وجيه ...

عطر الياسمين ، وأريج الزمن الجميل.

عبد الرحمن



بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديـم

يعتبر موضوع اليهود فى بلاد المغرب العربى فى العصور الإسلامية من موضوعات التاريخ الإسلامى الهامة والجادة معًا . وتأتى أهمية الموضوع من حيث الدور النشط الذى قامت به الجالية اليهودية فى المجتمع الإسلامى ، فالمعروف تاريخيًا أن الجالية اليهودية اشتهرت بنشاطها الاقتصادى وخاصة فى مجال التجارة ، إلى جانب الصناعة والصرافة ، كما اشتغل كثير من طائفة اليهود فى مهنة الطب ، وخاصة فى خدمة أمراء المسلمين ، الأمر الذى كان يقربهم من السلطة ، ويسمح لبعضهم بممارسة النشاط السياسى .

أما الجدية هنا فتأتى من حيث كان ليهود المغرب جالية كبيرة نسبيًا بالمقارنة مع جاليات المشرق ، وأن دورها كان أنشط وأوسع ، إلى جانب تواصله بهذا الشكل المكثف حتى العصر الحديث ، الأمر الذى يعنى أن دراسة طوائف اليهود فى المغرب وفى المشرق يقدم الجديد إلى المكتبة العربية من غير شك ، كما يكشف النقاب عن أصول بعض همومنا الحديثة والمعاصرة .

اجتهد الباحث فى جمع مصادره ومراجعة من مظانها المختلفة من عربية وأجنبية وعبرية ، فإلى جانب مراجع التاريخ الإسلامى التقليدية ، مثل المكتبة الجغرافية العربية من شرقية كاليعقوبى وابن حوقل والمقدسى أو المغربية كالبكرى والإدريسى وكتاب الاستبصار ، وتاريخية عامة كابن الأثير أو خاصة بالمغرب مثل الرقيق وابن عذارى ، إلى جانب كتب الطبقات مثل طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .. إلخ .

ومن المهم الإشارة إلى أن الباحث رجع إلى العديد من المصادر والمراجع العبرية ، المكتوبة بالعربية والمترجم منها إلى الإنجليزية والفرنسية . وهنا تستند الدراسة فى كثير من المواضع إلى أمور دينية واجتماعية ترجع إلى التوراة والتلمود . هذا إلى جانب الاستفادة الجادة من وثائق الجنيزا والخطابات المتبادلة بين رؤساء الجاليات اليهودية فى المغرب ومراكز الأكاديمية العبرية فى العراق والقدس ومصر ومن عدد كبير من الدراسات الخاصة بأحوال يهود المغرب فى الحقبة موضوع الدراسة ، مثل سلوش وجوتاين وغيرهما .

استخدم الباحث المنهج العلمى فى دراسته من حيث التوثيق الأصيل والاعتماد على الروايات المعتبرة ، مع استخدام أسلوب المقارنة والاستنباط عندما تعز الروايات المباشرة ، كما يتضح فى عدد من المواضع ، مثل التفرقة بين أهل العهد بالنسبة للمسلمين وأهل الذمة بالنسبة لليهود أو التفرقة بين اليهود والمتهودين فى المغرب ، وغير ذلك . ونجح الباحث أيضًا فى إلقاء الضوء على كثير من نقاط البحث ، من تحديد مواطن استقرار اليهودفى المغرب ، والأسباب التى ساعدت على ذلك ، كما اهتم بالتفرقة بين يهود المغرب الأصليين والمتهودين منهم ، وكان لاستخدام منهج الاستقراء أهمية فى هذا المجال .

كما أحسن الباحث استخدام الوثائق فى بيان أسرار النشاط الاقتصادى ليهود المغرب فى المجالات المختلفة ، وفى الحياة الاجتماعية قدم الباحث نتائج موثقة عن عزلة اليهود ونظام الأسرة عندهم ، كما أوضح أسلوب تنظيم الجالية اليهودية تحت قيادة رئيسها : الناجد . كما ألقى بالضوء على أساليب التعليم فى المغرب ، والمدارس اليهودية مع الإشارة إلى فرقة القرائين .

وأخيراً فإن الجهد واضح فى العمل وذلك ما يتبين فى كثير من عناصر الموضوع الطريفة ، كما يظهر الجهد فى تنوع المصادر والعناية بالوثائق منها ، الأمر الذى أتاح للباحث بأن يلقى أضواء جديدة على كثير من نقاط الموضوع . بذلك أقدم للقارىء العربى باحثًا رسخ قدمه فى مجال البحث التاريخى مع باكورة أعماله .

أ.د.سعد زغلول عبد الحميد

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة

جامعة الإسكندرية

مقدمــة

افتقد اليهود وجود كيان سياسى منذ القدم ، إذ حرصوا على أن يكون الكيان السياسى دينيًا اثنيًا بالأساس فى عصور غلب عليها النظام الإمبراطورى للدولة ، ولأنهم أهل كتاب فى عصور سادت فيها الوثنية ، وقلة عددية أبت أن يعتنق دينها سوى جنسها ، لاعتقادها بسمو هذا العنصر على غيره ، واجتباء الله له ، لم تتمكن من إقامة كيان سياسى يشملهم ، ويكونوا فيه أصحاب السلطان ، وغالوا فى سموهم ، وحرصوا على خصوصيتهم ، مما كان سببًا فى أن نكل بهم أصحاب السلطان فى بلاد الشام والعراق . وبلغ اضطهادهم مداه بهدم الهيكل الأول ٥٨٦ ق.م، حينذاك تفرق اليهود أوزاعًا فى أقطار العالم يبحثون عن مستقر يمنحهم الأمان ، ولم ينسوا اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار ، وأنهم حازوا من المزايا ما افتقده غيرهم من الرعايا ، وأيقنوا مدى صعوبة أن يكونوا أصحاب السلطان فى العراق القديمة ، لذلك عملوا على حيازة السلطة بطريقة أخرى عن طريق هيمنتهم على اقتصاديات البلاد التى استقروا بها ، والتقرب من أصحاب السلطان ، ليحققوا مبتغاهم من وراء ستار.

وجد اليهود فى بلاد الشمال الإفريقى مبتغاهم : فهى آخر اليابس غربًا آنذاك ، وهيمنة أصحاب السلطة عليها شكلية ، إذ ما ابتعدوا عن الساحل كثيراً ، بسبب طبيعتها الجغرافية الجبلية الصحراوية ، وطبيعة أهلها البدوية وحياتهم القبلية؛ فتقاطروا على هذه البلاد تباعًا واضعين نصب أعينهم ما اعتقدوه من سمو جنسهم ، باحثين عن تحقيق بغيتهم فى نيل السلطان بالارتكان على المال ، أو الاستقرار فى مناطق أمان بعيدة عن تنكيل ومتناول أصحاب السلطان ؛ فاختاروا المدن ذات الأهمية التجارية والمناطق الجبلية التى تحقق الأمان ، وتمتاز بوقوعها على خطوط التجارة .

حقق المهاجرون الأوَّل من اليهود إلى بلاد الشمال الإفريقى كثيراً مما صبت إليه نفوسهم ، ولم يقطعوا علاقاتهم بأوطانهم الأولى فى المشرق فتسامع اليهود هناك بما حققه إخوانهم ، فانثالوا على بلاد المغرب لعلهم يحققوا الكثرة العددية ، فتكون لأموالهم سنداً فى تحقيق مستقرألهم هناك . اختلط اليهود بأهل الشمال الإفريقى ، خاصة فى المناطق الريفية والجبلية ، ولعلهم شعروا بقلة عددهم ، فعملوا على تهويد بعض أهل البلاد ، أو أن أهل البلاد الذين كانوا على الوثنية آنذاك ، وجدوا فى اليهودية دينًا سماويًا ، فاعتنق بعض أفراد من القبائل

التى جاورت اليهود الدين اليهودى أو تأثروا بتقاليده ، ومن ثم كانت بلاد المغرب أكثر سكان بلدان العالم يهوداً بعدما ظهر الإسلام ، وافتتح العرب والمسلمون هذه المناطق .

حرص المسلمون على تطبيق تعاليم دينهم ؛ فتسامحوا مع أهل الكتاب ، ووجد اليهود بالمغرب فى هذا التسامح ظلاً يحتمون به ، وتفرغوا لتحقيق المكاسب الاقتصادية مع حرصهم على التقرب من أصحاب السلطان . لذلك ما إن أسس المسلمون مدنًا جديدة فى بلاد المغرب حتى طرقها اليهود واستقروا بها لتحقيق الهدفين معًا ؛ القرب من الحكام ، وإحكام السيطرة على اقتصاديات الدول لما تتمتع به العواصم عادة من اهتمام وازدهار الأنشطة عامة والاقتصادية منها خاصة . فتواجد اليهود فى القيروان ، وفى تاهرت عاصمة الرستميين ، وسجلماسة عاصمة بنى مدرار وغيرها من المدن الجديدة ، وشكلوا فيها مجتمعات يهودية ، وأسسوا بها بيعًا لهم لممارسة طقوسهم ، ومدارس لتعليم أبنائهم ، وهيئة علمية سياسية تجمعهم وتهيمن عليهم وتربطهم ويتبعها اليهود المستقرون فى القرى والمناطق الداخلية والساحلية والجبلية ، وتكون همزة الوصل بينهم وبين الهيئات اليهودية فى المشرق .

حقق يهود المغرب الاستقرار هناك ، وحظوا بالأمان فى كنف تسامح المسلمين ، ولم تغمض أعينهم عما اعتقدوه فى أنفسهم من سمو على غيرهم ؛ فعملوا جادين لتحقيق ذلك من خلال جمع الثروات ، وحيازة الممتلكات ، ومن ثم اختار معظمهم العمل بالتجارة لما تحققه من أرباح كبيرة ، خاصة بعد أن تمهدت الطرق التجارية مع بلاد السودان الغربى حيث الذهب والرقيق . وغنموا من ذلك ثروات هائلة ، وبحث بعضهم عن الترقى الطبقى الذى يحققه امتلاك الضياع؛ فتملكوا الأرض الزراعية ، واختاروا أبناء جنسهم وعقيدتهم للعمل بها ، ولغلبة الرعى والإنتاج الحيوانى فى بلاد المغرب عمل اليهود فى هذا المجال خاصة المتهودين منهم ، وبذلك لعب اليهود دوراً فى الإنتاج الزراعى والحيوانى ببلاد المغرب ، ولم يقتصر دور يهود المغرب الاقتصادى على التجارة والزراعة ، وإنما شاركوا فى الصناعة حتى اقتصرت بعض الصناعات عليهم فى الغالب الأعم مثل صياغة الذهب وخصى الرقيق .

حرص اليهود أينما ذهبوا فى المغرب على تقاليدهم وعاداتهم وحياتهم الاجتماعية ؛ لأنها نبعت من معتقداتهم الدينية ، وما توارثوه عبر القرون خاصة إذا ما أخذ فى الاعتبار اعتقادهم فى سموهم ونقائهم العرقى ، وحرصهم على العزلة مع بعضهم . بيد أن هذه العادات والتقاليد تشربت بالبيئة التى هاجروا إليها نتيجة التأثير والتأثر وهو الأمر الطبيعى ؛ فاختلفت بعض

عادات يهود المغرب عن عادات إخوانهم فى المشرق أو أوربا تأثراً بعادات وتقاليد أهل الشمال الإفريقى . مثل الملبس وطريقة المأكل والمعيشة ، وكيفية الزواج وغيرها ؛ ولا يعنى ذلك أنهم اختلفوا كلية عن اليهود فى بلدان العالم الأخرى ، وإنما بقيت كثير من العادات بينهم خاصة النابعة من الذين ، ومن ثم عملت الدراسة على رصد عادات يهود المغرب كلها مع تبيان العادات التى تأثروا فيها بعادات وتقاليد أهل الشمال الإفريقى .

لا مراء أن الثقافة والحضارة وليدة الاستقرار ، لذلك ما إن حقق يهود المغرب الاستقرار والأمان فى رعاية الحكام المسلمين ، وحازوا الثروات من خلال مشاركتهم فى الحياة الاقتصادية حتى بدأت مشاركتهم فى الحياة الثقافية ؛ فتعلموا اللغة العربية وأنجبوا شعراء وأدباء وكتاب ، وخرج من يهود المغرب علماء وفقهاء فى دينهم حازوا النبوغ والصيت حتى تسامع بهم يهود البلدان الأخرى . وخرج علماء المغرب من اليهود إلى البلدان الأخرى ليتبوءوا أعلى المناصب الدينية وترك هؤلاء اليهود تواليف فى فقه دينهم ، وشارك يهود المغرب فى معظم المجالات الثقافية ، وإن نبغوا فى بعضها وحازوا قصب السبق فيها مثل الطب وصناعة الدواء ، حتى إنهم اشتهروا بذلك ؛ فكان منهم أطباء ومعالجون لحكام الدول الإسلامية فى بلاد المغرب كما كان الحال فى بلاد المشرق .

لا جدال فى أن يهود المغرب لعبوا دوراً سياسيًا ، وإن أغفلته المصادر الإسلامية كلية ، ولعل مرد ذلك حرص اليهود على التقرب من أصحاب القرار خفية ، ومشاركتهم فى صنع القرار من وراء الستار ، خشية غضب العامة ، وخوفًا من تنكيلهم ، لذلك لم تدون المصادر دورهم . ولنا فى التاريخ الحديث والمعاصر دليلاً على ذلك ، ولأن كتابة التاريخ لا تقوم على فرضيات وإن أيدها القياس أغفلت الدراسة دور اليهود السياسى رغم القناعة بوجود هذا الدور، إن لم يكن تعاظمه فى بلاد الشمال الإفريقى عن غيره من دول العالم الإسلامى الأخرى فى فترة الدراسة .

ورغم تعاظم دور اليهود فى بلاد المغرب فى القرون الخمسة الأولى من الهجرة ؛ فقد خلت المكتبة العربية من دراسة متكاملة عن هذا الدور ، وترك المؤرخون العرب المجال خاليًا للكتاب اليهود الذين غالوا فى تفخيم هذا الدور ولونوه بمنظورهم رغبة منهم فى تمجيد أسلافهم وتبيان فضل لا وجود له على الحضارة الإسلامية والمسلمين ، وعزوف المؤرخين العرب المحدثين عن رصد هذا الدور إبان هذه الفترة له ما يبرره ، فقد سبقهم أسلافهم من المؤرخين القدامى

وتغاضوا عن تدوين دور اليهود فى بلاد المغرب سوى شذرات متفرقات فى المظان الأصلية ، فاكتنف ذلك الغموض والإبهام . ورغم ندرة هذه المعلومات فإنها لونت بمنظور كاتبيها ، ناهيك عن تضاربها وتناقضها حتى بلغت حد التضاد . ورغم هذه الصعوبات ولجنا الموضوع بحثًا عن الحقيقة معولين فى ذلك على ما رصدته المصادر العربية والوثائق اليهودية ، مستنيرين بما كتبه الكتاب اليهود دون أن نسير فى ركابهم أو نتأهب للرد على أقوالهم دون سند من الحقيقة . حرصًا على أمانة التاريخ وإظهار الحقيقة دون افتئات على الواقع . أما ما عزت مصادره ؛ فكان استقراء الأحداث واستنطاقها استناداً على القياس هو المنهج الذى اعتمدناه فى محاولة لرصد الواقع دون اعتساف فى التأويل أو مجرد محاولة التفسير ؛ ومن ثم حاولنا بحث هذا الدور بكافة جوانبه وفق منهج يعول على الإفادة من المصادر العربية واليهودية ، والاسترشاد بما كتبه المحدثون من اليهود والعرب وغيرهم استناداً إلى مقولة وحدة الظاهرة . فاستخدمت الدراسة شمولية المنهج ؛ ففصلت ما لم يسبق دراسته مستخدمة المنهج الوصفى ، وأجملت ما سبقت دراسته واحتاجت الدراسة إليه مستخدمة التنظير ، وحاولت تفسير ما أغفلت المصادر رصده استعانة بالمنهج الاستقرائى ، أو ما غالى فيه المحدثون باستخدام المنهج المقارن . ومكنتنا المادة التى حوتها كتابات السابقين من قدامى ومحدثين ، والمناهج العلمية من تقسيم الموضوع إلى خمسة فصول وخاتمة .

كُرس الفصل الأول لتحديد مناطق الاستقرار اليهودى فى شمال إفريقيا منذ الفتح العربى حتى قيام دولة المرابطين بداية من حدود مصر الغربية وحتى المحيط ، مع توضيح تواجدهم بالمناطق الداخلية لأقاليم بلاد المغرب الثلاثة ، وتبيان أسباب هذا الاستقرار .

وخصص الفصل الثانى لليهود واليهودية فى بلاد المغرب . وحاولنا فيه رصد البدايات الأولى لدخول الديانة اليهودية إلى بلاد المغرب عن طريق اليهود المصاحبين لرحلات الفنيقيين إلى الشمال الإفريقى ، ومن ثم انتشرت الديانة اليهودية بين البربر قبل الفتح العربى ، وأبان هذا الفصل عدم دخول اليهود فى مواجهة مع العرب الفاتحين ، ومن ثم عدم تعرضهم للاضطهاد والأذى ، ورضاهم بما فرضه عليهم الحكام المسلمون من الجوالى ، ورصدت فيه القبائل التى أوردها ابن خلدون كقبائل اعتنقت اليهودية من حيث مضاربها وبطونها ، وتعرض الفصل إلى الحواضر الإسلامية للكيانات السياسية التى حكمت بلاد المغرب فى فترة الدراسة وحياة اليهود فيها .

تناول الفصل الثالث النشاط الاقتصادى لليهود فى بلاد المغرب مثل عمل اليهود بالزراعة وامتلاكهم الضياع واشتراكهم فى تربية الماشية والأغنام التى اشتهرت بها بلاد المغرب ، ولم يغفل الفصل دورهم فى مجال الصناعات المختلفة خاصة التى برع فيها سكان البلاد من اليهود مثل صناعة صياغة الذهب والفضة ، ناهيك عن الصناعات الأخرى التى أنف العرب من العمل بها . وأوضح الفصل أيضًا عمل اليهود بالتجارة من خلال رصد التجارات التى شاركوا فيها ، والعلاقات التجارية بين يهود بلاد المغرب وإخوانهم فى مصر والشرق . وركز الفصل على طرق القوافل التى سلكها اليهود فى رحلاتهم التجارية من بلاد المغرب وحتى الشرق .

أفرد الفصل الرابع لدراسة الحياة الاجتماعية لليهود من خلال رصد عادات اليهود وتقاليدهم ومدى تأثرهم نتيجة اختلاطهم بالعرب والبربر ، وتعرض للأسرة اليهودية من حيث الزواج والطلاق والملابس والعادات والتقاليد . كما درس سلطة القضاء اليهودى والإسلامى على السكان اليهود ، وقيادة الجماعة اليهودية ممثلة فى شخصية (الناجد) من حيث مهام وظيفته والشروط الواجب توافرها فيه وبدايات هذا النظام وتأصيله فى بلاد المغرب .

اعتنى الفصل الخامس بالنشاط الثقافى والعلمى لليهود فى بلاد المغرب ، ومن ثم رصد تعلم اليهود اللغة العربية ، وكذلك التعليم الدينى اليهودى ، وعلاقات المدارس العراقية والفلسطينية بيهود بلاد المغرب ، وتنافسها فى جذب أتباع لها . ورصد دور العلماء اليهود فى بلاد المغرب الذين شاركوا فى الحياة الثقافية ، واختتم الفصل بعرض لفرقة القرائين فى بلاد المغرب التى مثلت أقلية يهودية هناك . وعرضت الخاتمة لأهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة .

وإذا كان من الواجب دائمًا أن ننسب الفضل لأصحابه ، فإن من دواعى الفخر والاعتزاز والزهو أن أشير إلى أن هذه الدراسة تمت تحت إشراف الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد العالم الجليل وأستاذ الدراسات المغربية فى جامعة الإسكندرية .

وإذ أقدم هذه الدراسة للقارىء العربى أرجو أن تكون إضافة إلى مكتبة الدراسات التاريخية . وإن أكن أخطأت فحسبى أننى اجتهدت .

والله ولى التوفيق

التعريف بأهم المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على كثير من المصادر والمراجع نعرض لأهمها فى السطور التالية :

أولاً : المخطوطات :

- طبقات الإباضية[١] ، لأبى العباس أحمد الدرجينى (ت منتصف القرن الـ ٧هـ/١٣م): يعرض المصنف لأئمة الخوارج الإباضية ، وينقل عن أبى زكريا (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨م) الذى صنف " كتاب السير وأخبار الأئمة " نقلاً كاملاً إلا فى بعض المواضع التى تتعارض مع زمانه، حيث لم ينقل عن أبى زكريا واقعة تشهد لليهود بالتأثير فى عادات وتقاليد وارجلان وهى عادة النفخ فى القرون (بوق الهتاف) .

- طليعة الدرعة فى تاريخ وادى درعة [٢]، لمحمد المكى بن يوسف الناصر [٣]: ومن خلاله أمدنا صاحب المخطوط بمعلومات هامة عن وجود يهود فى وادى درعة استقروا به قبل الفتح الإسلامى مباشرة ، وزاحمهم النصارى به واستوطنوا المنطقة ، وزاد عددهم حتى غلبوا على اليهود ، وتربص كل فريق بالآخر ، فما أن قدم المسلمون بتسامحهم مع أهل الكتاب حتى ساندوا اليهود ورفعوا عنهم الحيف ، فخرج النصارى من وادى درعة وبقى به اليهود مع المسلمين .

ثانيًا : المصادر العربية المطبوعة : وتم تقسيمها على أساس الأقدمية :

- فتوح مصر والمغرب[٤] ، لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١م) [٥]: الذى يعتبر أقدم رواية تاريخية عن فتوح بلاد المغرب ، فهو من كتاب المغازى ، وابن عبد الحكم من خيرة

---

(١) المخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٢٥٦١ح . والمخطوط طبع فى جزءين بالجزائر ، ولم يتيسر لنا الاطلاع عليه .

(٢) المخطوط محفوظ بخزانة الرباط تحت رقم ٣٧٨٦ د .

(٣) لم يرد فى المخطوط ذكر وفاة المؤلف ، ولكن الكاتب أورد سنة كتابته ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م .

(٤) تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١م .

(٥) استطاع ابن عبد الحكم الاطلاع على ديوان الفسطاط قبل احتراقه ، وترجع أهمية ديوان الفسطاط بالنسبة لدراسة تاريخ المغرب ، أن مصر كانت قاعدة فتح المغرب وعاصمته بعد الفتح ، (انظر سعد زغلول =

مؤرخى الإسلام دقة وموضوعية ، ومن أنضجهم أسلوبًا ومنهجًا ، وأهميته بالنسبة لموضوعنا ترجع إلى أنه عاش فى فترة البحث ، ونستخلص من رواياته المسندة عدداً من البيانات والمعلومات التى تتصل بأهل الذمة ومقدار جزيتهم ، ومن المرجح أنه كان يقصد بأهل الذمة اليهود ، نظراً لذكره النصارى بشكل منفرد ، واتبع ذلك ذكره لأهل الذمة ، ويمدنا كذلك بعدد من المدن التى تضم بين سكانها يهوداً .

– فتوح البلدان[١] للبلاذرى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) : اشتمل الكتاب على كثير من المعارف والأخبار ، فبالإضافة إلى موضوعات الفتوح تناول العديد من الموضوعات الحضارية ، كان منها الاقتصادى والاجتماعى والإدارى والجغرافى والعمرانى ، ويمدنا بمعلومات عن طبيعة بلاد المغرب المفتوحة ومقدار خراجها وجزيتها ، وذلك ما يجعلنا نتعرف على سكان البلاد وديانتهم من خلال الجزية .

– المسالك والممالك[٢] ، لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ / ٩٣٢ م) : وهو من كتب الجغرافية الذى يصف الأقاليم الإسلامية ومدنها ومسالكها والطرق المؤدية إليها والمسافات التى تفصل بينها. وأهم ما يميز هذا الكتاب أنه أول كتاب فى المسالك والممالك ، حيث كتبه مؤلفه متأثراً بجغرافية اليونان ، ويمدنا هذا الكتاب بمعلومات وافية عن المدن الواقعة على الساحل المغربى من برقة وحتى بلاد المغرب الأقصى ، ويرصد لنا عدداً من المدن التى تحوى سكان يهود ، بل يورد لنا إحدى المدن التى تسمى باليهوديتين .

– أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم[٣] للمقدسى[٤] (ت ٣٧٨ هـ / ٩٨٨م) : والكتاب من المصادر الجغرافية التى لا غني عنها ، فيما يخص البحث فإنه يتناول إقليم

= عبد الحميد ، فتح المغرب بين الحقيقة والأسطورة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، م ١٦ لسنة ١٩٦٢م ، ص ٧ ، ٨) كما درس على ابن عبد الحكم عدد كبير من المغاربة والأندلسيين الذين وفدوا إلى مصر لدراسة مذهب الإمام مالك ، فاستفاد ابن عبد الحكم منهم بما أمدوه من معلومات عن تاريخ المغرب (انظر بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، القاهرة ١٩٧٥م ، ٣ ، ص ٧٥ ؛ العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، ص ٣٣٦) .

(١) طبعة بيروت ١٩٨٣م .

(٢) طبعة ليدن ١٩٨٩م .

(٣) الطبعة الأولى لسنة ١٩٨٧م ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٤) يعتبر البعض المقدسى من الجغرافيين الثقات ، لا يرى إلا ما رأى وسمع عن الثقات (انظر الطالبى، تاريخ قفصة ، وعلمائها ، تونس ١٩٧٢م ، ص ٩١) .

المغرب بالوصف من حيث موارده الطبيعية والتعدينية ، كما يذكر أن إقليم المغرب " كثير اليهود جيد الهواء والماء " ويشير إلى مهنة الخصى عند اليهود ، إلا أن بالكتاب بعض الأخطاء التاريخية، إذ ينسب بناء عدوة الأندلسيين بمدينة فاس إلى خلفاء بنى أمية بقرطبة ، وحقيقة الأمر أن الأدارسة هم الذين أنشئوا مدينة فاس بعدوتيها قبل أن يتخذ حكام قرطبة الأمويون لقب الخلافة بما يقرب من قرن من الزمان .

- صورة الأرض ، لابن حوقل [١](ت النصف الثانى من القرن الـ ٤ هـ / ١٠م) : الذى عاصر مؤلفه فترة البحث ، ووصف بلاد المغرب وصف شاهد عيان ، ولذلك فهو غنى بكثير من المعلومات التى تفيد فى دراسة جغرافية المدن ، كما يفيدنا فى التعرف على كثير من الموارد الطبيعية وأنواع التجارات والغلال فى بلاد المغرب ، كما أورد بيانات عن الجزية واليهود فى مدينة قابس ، كما تطرق إلى الحديث عن اليهود فى منطقة جبل نفوسة التى عمرت بهم .

كتاب السير وأخبار الأئمة[٢] لأبى زكريا (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨م) : يعرض لأئمة الخوارج الإباضية ، ويتناول اليهود بشكل عادى دون تحقير ، مثل بقية السكان فى مناطق الاستقرار الإباضى ، ويرد ذكرهم فى ثنايا حديثة ، ونتعرف منه على عمل اليهود فى ديوان الإنشاء وحذقهم فى اللغة العربية ، وكذلك الخط العربى ، ويمدنا بمعلومات عن دهائهم السياسى ودسائسهم من خلال أحداث عدة اشتركوا فيها . وأمكن من خلال تحليل بعض نصوص الكتاب وربطها بما ورد فى بعض الأسئلة والفتاوى الخاصة بيهود فاس واشير وتلمسان الخروج بنتيجة هامة وجديدة ، وهى قضية الحماية والجوار .

- المغرب فى ذكر إفريقية والمغرب [٣]، للبكرى[٤] (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) : الذى يعد أهم كتب الجغرافية بالنسبة لموضوع البحث ، وقد أمدنا بمعلومات غاية فى الدقة عن مواقع

---

(١) منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(٢) تحقيق اسماعيل العربى ، الجزائر ١٩٧٩م

(٣) مكتبة المثنى ، بغداد .

(٤) عاش البكرى فى الأندلس ولم يغادرها طوال حياته ، ولذا اعتمد فى كتاباته عن بلاد المغرب على تواليف المغاربة خاصة محمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب (ابن حيان ، المقتبس فى أخبار الأندلس، تحقيق : عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥م ، ص ٣٣ ؛ ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة =

مدن المغرب والمسالك إليها ، وكذلك أوجه النشاط فيها ، ويتطرق إلى قيمة الجزية فى السنوات الأولى للفتح ، وإلى مدينة اليهودية على الطريق الساحلى بالقرب من إجدابية ، وكذلك مدينة جادوا الواقعة فى جبل نفوسة ، ويذكر أن أكثر سكانها يهود ، كما يعرفنا على طبيب ابن الأغلب اليهودى ، وعند وصفه لمدينة نكور يقول : " إن فى الجنوب من المدينة باب اليهود " ، وكذلك يصف فاس بأنها أكثر بلاد المغرب يهوداً حيث يقول " فاس بلا ناس " أى ليس غير اليهود ، كما يمدنا بحرف وصناعات اليهود فى سلجماسة .

– الاستبصار فى عجائب الأمصار[١] ، لمؤلف مجهول[٢] (ت القرن الـ ٦ هـ / ١٢ م) : أمدنا بمعلومات وافية عن مدن وقرى كل قسم من أقسام المغرب الثلاثة ، إفريقية ، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى ، وأهم ما نخرج به من هذا الكتاب عن اليهود ، هو ما أورده عن عمل الأطباء اليهود لدى بنى الأغلب ، وأيضًا ما أورده عن مدينة جادوا وموقعها وسكانها من اليهود ، كما ينفرد بذكر سكان جبل فازازا من اليهود ، وكذلك المهن التى اختصوا بها .

– نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق[٣] ، للإدريسى (ت ٥٥٨ / ١١٦٢م) : وهو من أهم الكتب الجغرافية التى رصدت مدن المغرب ومواردها الطبيعية زراعية وصناعية وتعدينية ، اعتماداً على مشاهدات الكاتب . بالإضافة إلى إطلاعه على كتب الجغرافيين السابقين ، وإن لم يورد أسماء المصادر التى نقل عنها ، كما يتناول سكان مدن المغرب وأنشطتهم ، مما مكن البحث من التعرف على أنشطة اليهود فى المناطق التى استقروا فيها ، أما أهم ما أمدنا به من معلومات ينفرد بها عن غيره من الكتاب ، فهو وصفه لإقليم قمنورية الذى يتصل

= القاهرة ١٩٥٥م ، ١ ، ص ٣٦٦) ، وقد عرف الوراق بالتأرخى وتوفى سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ - ٩٧٤م) بما يزيد من أهمية كتابات البكرى بالنسبة لموضوع البحث إذ اعتمد فى كتاباته على مصادر مغربية كانت معاصرة لفترة البحث ومازالت مفقودة (انظر ، أدم متز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ط٣ ، القاهرة ، ٢ ، هامش ص١٠) .

(١) نشر وتعليق وتحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ١٩٨٦م .

(٢) لم يعرف مؤلف الكتاب أو سنة وفاته ، إلا أن المعلومات الواردة بالكتاب تدل على أن كاتبه مغربى الأصل وأنه كان يعمل فى ديوان أبى يوسف يعقوب المنصور ، وذلك لما فى الكتاب من تفصيلات عن مدن المغرب (انظر تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، نفس المصدر ، ص ث ؛ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، القاهرة ١٩٦٦م ، ٢ ، ص ١١٣) .

(٣) مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

بصحراء نيسر ، التى يمر بها طريق التجارة من أغمات وسجلماسة ودرعة إلى بلاد غانه ، وأهل هذه المنطقة كانوا يهوداً .

- معجم البلدان [١]، لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) : الذى أمدنا بمعلومات عن صفات البربر عامة ، وأخرى عن قيام الدولة الفاطمية فى المغرب ، كما يشير إلى مدن المغرب بجبالها وسهولها وطرقها وصحراواتها ، وأهم ما أورده عن اليهود وجودهم فى جبل نفوسة ، وكذلك فى منطقة درعة ، التى يقول عنها : إن أكثر تجارها يهود ، وينقل ياقوت كثيراً عن البكرى فى هذا المجال .

- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس[٢] ، لابن أبى زرع[٣] (ت النصف الأول من القرن الـ ٨ هـ / الـ ١٤م) : ويؤكد على أن سكان منطقة فاس قبل بناء المدينة كانوا من البربر الذين دانوا باليهودية ، كما يذكر انتشار اليهودية فى إقليم تامسنا قبل وصول إدريس الأول إليه ، ويمدنا بمعلومات عن برغواطة ، وأصلهم البربرى واليهودى ، وكذلك عن محنة اليهود فى مدينة فاس سنة (٤٢٤ هـ / ١٠٣٣م) ، خلال الصراع بين مغراوة وبنى يفرن الزناتيين ، كما يشير إلى أن التوسع فى جامع القرويين أيام المرابطين كان على حساب منازل اليهود ، ويثنى ابن أبى زرع على الإدريسى فى موضوع الوجود اليهودى فى بلاد السودان الغربى ، فى المنطقة الواقعة على طريق التجارة إلى بلاد السودان ، مضيفًا غزو قبائل لمتونة لهم سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤م .

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب[٤] ، لابن عذارى (ت بعد سنة ٧٢١ هـ / ١٢٣١م) : حيث أمدنا بالكثير من المعلومات الهامة عن تاريخ المغرب والأندلس ، ويعتمد البحث عليه كثيراً ، وفى ثناياه ذكر لليهود فى بلاد المغرب وخاصة فى مدينة نكور ، وطبنة ، وبلزمة ، كما ينسب عبيد الله الشيعى إلى جارية يهودية .

---

(١) طبعة بيروت .

(٢) نشر دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣م .

(٣) عمل ابن أبى زرع كاتبًا للسلطان أبى سعيد عثمان المرينى (٧١٩ هـ / ١٣١٩م - ٧٣١ هـ / ١٣٣١م) خامس ملوك دولة بنى مرين ، مما أتاح له فرصة الاطلاع على الكثير من التواليف المغربية ، بالإضافة إلى أن عصره كان مليئًا بالمؤلفات عن تاريخ المغرب ، التى فقدت بعد ذلك (انظر السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ، ص ١١٤) .

(٤) طبعة ليدن ، ١٩٤٨م .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر[١] ، لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م) : يعتبر ابن خلدون عمدة المؤرخين المسلمين لما قدمه من إسهام فى تاريخ المسلمين ، وأجمل إبداعه فى مقدمته . والكتاب بالمقدمة يضم سبعة أجزاء ، يفيد الباحث من جميع جوانبه ، وخاصة أجزاؤه الرابع والسادس والسابع ، فهو يمدنا بمعلومات مفيدة عن الديانة اليهودية فى بلاد المغرب ، ويورد أسماء القبائل التى دانت بها ، مثل قبيلة جراوة أهل جبل أوراس ، التى تزعمتها الكاهنة ، وينفرد ابن خلدون عن باقى مؤرخى المغرب بذكر عدد من القبائل دانت باليهودية والنصرانية مثل ، فندلاوة ، ومديونة ، وبهلوية ، وغياته ، وبنو فازاز ، كما يضيف إلى ذلك مجالسة الأحبار ، والاختلاف فى نسب برغواطة ، وأخبار غمارة ، ودخول بنى يفرن فاس وهزيمتهم لمغراوة ، واستباحة اليهود وسبى حريمهم . ولاشك أن ابن خلدون ثقة لاعتماده على كتب النسابة المغاربة مثل سابق المطماطى ، الذى فقدت كتاباته ، ناهيك عن أنه خصص الجزء السادس والسابع من كتابه عن قبائل البربر ، وانفرد بكثير من المعلومات عن هذه القبائل ودياناتها اعتماداً على مصادر لم تصلنا .

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب[٢] ، للونشريسى (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨م) : كتاب فتاوى يمس الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان البلاد ، ولا يعيبه أنه متأخر لأنه نقل كثيراً من الفتاوى التى تنسب إلى فترة الدراسة، حيث يمدنا بمعلومات وفيرة عن الجوانب الاجتماعية لليهود فى المغرب والأندلس من خلال فتاوى لفقهاء مسلمين ، ومن أهم ما تتعرض له هذه الفتاوى ، حكم معاملة اليهود ، وزيهم وملابسهم ، وذبائحهم ، وتوليتهم الوظائف فى دواوين المسلمين وحق الجار ، والأحباس، ونظام التقاضى ، وما إلى ذلك من المسائل التى تتعلق بالحياة داخل المجتمع الإسلامى .

- وصف إفريقية [٣]، لليون الإفريقى (١٠ هـ / ١٦ م) : وهو كتاب متخصص فى جغرافية الشمال الإفريقى ، وفيه يعرض للديانات الإفريقية من خلال عرضه للجغرافيا البشرية فى البلاد ، ويحدد مواضع اليهود وسكناهم ، وعملهم وخاصة فى الصياغة والحدادة ، كما

---

(١) سبعة أجزاء بالمقدمة ، طبعة بيروت .

(٢) اثنا عشر جزء ، دار المغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨١م .

(٣) ترجمة عن الإيطالية إلى الفرنسية آ. ايبولا ، ومن الفرنسية للعربية عبد الرحمن حميدة ، ط السعودية ١٩٧٩م .

يشير إلى الجزية التى كانوا يدفعونها ، ويحدثنا عن منطقة تادلا الى ظل اليهود فيها حتى وقت متأخر من العصور الوسطى يعملون فى المهن المختلفة والتجارة ، ويصف منطقة تلمسان وحيويتها بالنسبة للتجارة وحوانيتها وفنادقها وما فيها من يهود ويصف غناهم ، كما يعرج على تازة ويصف فيها صناعة الخمور .

ثالثًا : المصادر اليهودية : والترتيب حسب الأهمية للبحث :

- عقود الزواج [١]، لليلى أبو المجد : والكتاب ترجمة للباب الثانى من القسم الخاص بالنساء فى المشنا[٢] الذى يضم ١٠١ تشريع ، علقت عليه الكاتبة بالإضافة إلى الترجمة ، وهو كتاب هام للباحث فى التاريخ اليهودى العام ، لأنه يتعلق بموضوع عقود الزواج (كاتوباه) والطلاق (كت) .

Cowley : Bodleina Geniza Fragment[3] :

قطعة من رسالة أرسلت إلى المجتمع اليهودى فى مدينة فاس القديمة من أحد الأحبار الذى يعود بجذوره إلى المدينة ، والرسالة مكتوبة باللغة العبرية ، والمحتمل أن ترجع إلى أوائل القرن الـ ٥ هـ / ١١م ، وسوف نلحق الأصل العبرى والترجمة بالبحث .

Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literature [4]:

نصوص ودراسات فى التاريخ والأدب اليهودى : هذا الكتاب من أهم المصادر اليهودية لما يحويه من نصوص ووثائق جاءت بلغتها الأصلية سواء كانت آرامية أو عبرية أو عربية بلغة

---

(١) نشر القاهرة ١٩٩٦م .

(٢) المشنا والجمارا هما أجزاء التلمود ، الذى يعد مصدراً أساسيًا من مصادر التشريع اليهودى ويعرف بالشريعة الشفوية ، إلى جانب التوراة التى تعرف بالشريعة المكتوبة ، وموضوع الدراسة فى التلمود هى المشنا بأجزائها الستة ، وهو كتاب تشريعى ضخم يضم جميع الأحكام والتشريعات التى استنها حكماء اليهود فى خلال قرنين من الزمان . ويسمى كل جزء من أجزاء المشنا الستة بـ (سدر) أى قسم وكل قسم إلى (مسختوت) أى أبواب ، وكل باب إلى (براقيم) أى فصول ، ويضم كل فصل عدة (مشنايوت) أى تشريعات ، ويتكون التلمود ومن المشنا وهى المتن يعقبه الجمارا وهى الشرح ، وكتبت المشنا بالعبرية أما الجمارا فكتبت باللغة بالآرامية ، انظر مقدمة الكتاب ، ص ١ - ٣ .

(٣) الرسالة منشورة فى دورية (J.Q.R.) بدون تعليق .

(٤) 2 Vol. New York, 1972 .

عبرية ، وتمدنا هذه الوثائق بعدد من الرسائل أو أجزاء منها من وإلى المجتمع اليهودى فى الشمال الإفريقى ، وهى تحمل الطابع الدينى ، وكذلك وثائق عن العلاقات التجارية بين مصر وصقلية والشمال الإفريقى ، ومراسيم تعين الأحبار ، وسوف نلحق البحث بعدد من هذه الوثائق .

Mann, The Jews in Egypt and Palestine Under The Fatimid Caliphs (1):

اليهود فى مصر وفلسطين تحت حكم الخلافة الفاطمية : هذا الكتاب غنى أيضًا بالوثائق التى يعتمد عليها كاتبه ، ويفيد البحث فى كثير من مراحله . فيبين على سبيل المثال وظيفة الناجد أو رئيس اليهود فى مجتمعات الشتات ، وكذلك وظيفة رئيس المحكمة (أب بيت الدين) ويتطرق إلى أحد الرباه الذى تولى مسئولية أكاديمية القدس ، ويعود بأصله إلى بلاد المغرب ، ويورد أشعار أحد الشعراء اليهود المغاربة من مدينة لبدة بإفريقية ، كما يعلق الكاتب على الألقاب الدينية اليهودية .

Mann, The Responsa of The Babylonian Geonim as A Source of Jewish History (2) :

الفتاوى الصادرة من جاؤنية العراق كمصدر من مصادر التاريخ اليهودى : وفى هذا المصدر أمدنا الكاتب بعدد من الفتاوى والإجابات التى أرسلها الجاؤن شيررا (ت ١٠٠٠م) Sherira وابنه الجاؤن حاى (ت ١٠٣٨م) Hay إلى يهود المغرب التى تحمل تشريعات فى كثير من النواحى ، مثل الميراث والطهارة ، ومن هذه الرسائل نتعرف على الإعانات التى ترسلها المجتمعات اليهودية فى بلاد المغرب إلى المدارس فى العراق والقدس ، وكذلك نقف على العلاقات بين يهود المغرب وإخوانهم فى الشرق ، من خلال خطاب بين تاهرت والقدس ، وآخر بين صقلية والقيروان .

Hirschfeld, The Arabic Portion of Cairo Genizah at Cambridge. (3):

القسم العربى من جنيزة القاهرة فى كمبردج : وفيه ينشر الكاتب وثيقة تتصل بميراث يخص عائلة يهودية من مدينة قابس ، وتتضح فيها التركة والميراث .

---

(١) 2 Vol. New York, 1970 .

(٢) (J.Q.R.) 9, 1918-19, 11, 1920-21 .

(٣) (J.Q.R.) 16, 1904 .

رابعًا : المراجع العربية : مرتبة حسب الحروف الأبجدية :

- أحمد سوسة : - مفصل العرب واليهود فى التاريخ [١]، يتناول التاريخ العام لليهود منذ القدم ، وقد أفاد البحث التعرف على مشكلة التهويد بشكل عام ، والختان ، كما أورد تفسيراً لبعض المصطلحات العبرية .

- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق[٢] ، يمدنا البحث بمعلومات عن تأصيل لفرقة القرائين ، وجذورها وانتشارها بين اليهود .

- بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس[٣] ، أهم ما يفيد البحث فيه ، استعراض المؤلف لتجمعات اليهود فى مدينة فاس من خلال ما أورده المؤرخون القدماء ، وتفحص مهنتهم .

- ثروت أنيس الأسيوطى[٤] : نظام الأسرة ، يفيدنا فى التعرف على مبدأ تعدد الزوجات فى الشريعة اليهودية والمهر وعادة الدوطة (هدية أهل العروس للعريس) وزواج اليبوم ، وكذلك تحديد النسل ، وينقد الكاتب فكرة النقاء العرقى لليهود ، ويشير إلى عملية الختان التى تمثل أنها (حلف الدم) بين يهوه (الله) وبنى إسرائيل .

- جمال حمدان : اليهود أنثروبولوجيا [٥]، وفيه يشير الكاتب إلى أصولهم القديمة ، ويرى أن التهويد قد تم بعملية تحول وليس بالتبشير ، ويرى أيضًا أن هناك عدداً من القبائل البربرية تحولت لليهودية قبل دخول الإسلام ، وينفى كذلك مسألة النقاء العرقى لليهود ، حيث يرى أن أصولهم مختلطة إلى حد أن السكان اليهود فى مدينة ما أصبحوا يشبهون السكان المحليين فى كثير من الخصائص ، ويرى أنه ليس بالعالم مجتمع يهودى زراعى واحد يستحق الذكر .

- الطيب محمد حمادى : اليهود ودورهم فى دعم الاستيطان البطلمى والرومانى فى إقليم برقة (قورنائية)[٦]، حيث عرض للوجود اليهودى فى إقليم برقة من خلال آثار يهودية ترجع

---

(١) العراق ١٩٨١م .

(٢) العراق ١٩٨٣م .

(٣) مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٦م ، قام بالترجمة السيد عبد العزيز سالم ، محمد صلاح الدين .

(٤) القاهرة ، بدون تاريخ .

(٥) دار الهلال ١٩٩٦م .

(٦) نشر جامعة قاريونس ، بنغازى ، ليبيا ١٩٩٤م .

إلى ما قبل الميلاد ، ويرى أن هناك شبه إجماع على أن مجيء اليهود إلى قورنائية كان مع بداية دخول الإقليم تحت السيطرة البطلمية ٣٢٢ ق.م. ، ويمدنا بأسباب حركة الشغب اليهودية التى قامت فى برقة سنة ١١٥م .

– محمد بحر عبد المجيد : اليهود فى الأندلس[١] ، وفيه يرى الكاتب أن الهدف من تعلم اللغة العربية من جانب اليهود هو التقرب من الحكام ، ويعرض بعض من أشتهر من اليهود فى مجال اللغة العربية وترجع أصوله إلى المغرب .

– مصطفى كمال عبد العليم : اليهود فى مصر فى عصر البطالمة والرومان[٢] ، وقد تناول فيه المهام التى توكل إلى رئيس اليهود ، كما تحدث عن هروب اليهود إلى برقة بعد هدم المعبد الثانى ٧٠م ، وكذلك عن ثورتهم التى بدأت من برقة وامتدت إلى الإسكندرية سنة ١١٥م ، وأسباب اختيار برقة لاندلاع الانتفاضة منها ، وعن طبقات المجتمع اليهودى فى الإسكندرية ، كما وصفها الفيلسوف اليهودى فيلون ، ويشير إلى اهتمام اليهود باللغة الإغريقية للانسجام مع المجتمع ، وكذلك يشير إلى الختان وقرار هادريان بإبطاله .

– هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى[٣] ، وهذا الكتاب يفيد البحث بشكل عام ، فهو يشير إلى التجارة فى الممالك الإسلامية من مصر حتى أسبانيا ، وإلى التجار اليهود ، وتحدث عن الحى اليهودى فى القسطنطينية ، وعرض صناعة الحرير وتجارته وسر هذه الصناعة.

– هوبكنز : النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى[٤] ، حيث يرى الكاتب أن اضطهاد اليهود فى بلاد المغرب كان حدثًا عابراً دائمًا ، وأنهم كانوا طبقة من الدرجة الثانية ، ويشير إلى وجود يهود معاصرين للأغالبة والأدارسة .

– ول ديورانت : قصة الحضارة ، وهو يفيد البحث من خلال ذكره لعادة الختان عند اليهود ويوم السبت وتقديسه عندهم ، والقضاء ، والزواج ، وله رأى مثير فى موضوع الزنا ، حيث

---

(١) القاهرة ١٩٧٠م .

(٢) الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٨م .

(٣) ترجمة : أحمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥م ، (الجزء الأول) .

(٤) نشر تونس ١٩٨٠م .

(٥) المجلد الأول ، الجزء الثانى ، ترجمة زكى نجيب محمود ، القاهرة ١٩٧٣م .

يفسره تفسيراً ماديًا ، فهو يراه اعتداء على الملكية الخاصة ليس أكثر من ذلك بعيداً عن الأخلاق والدين .

- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية(١) ، ونتعرف فيه على استعمال اليهود البحور فى الشعر العبرى .

خامسًا : المراجع العبرية :

- إبراهام شتال : تاريخ يهود المغرب (٢)، يفيد البحث فى مجال الحياة العلمية ، فهو يشير إلى العلماء والأحبار من يهود الشمال الإفريقى مثل يهودا بن قريش ، ودوناش بن لبرات ، واسحق الفاسى ، وكذلك إلى مدرسة القيروان التلمودية ، كما يلقى الضوء على مدينة فاس ويترجم للرابى سلمون بن يهودا الذى عين رئيسًا لمدرسة القدس واستمر فى منصبه ٢٥ عامًا.

- أفيفا مولر : حياة اليهود فى مراكش(٣) ، يشير إلى التعايش السلمى بين اليهود والمسلمين ، وإلى مهن اليهود ، وإلى تعاليم الأطفال المهن ، وخاصة مهنة الصياغة ، كما يشير إلى مراسم الولادة عند اليهود فى المغرب .

سادسًا : المراجع الأجنبية : ومرتبة حسب الحروف الأبجدية :

Abbou, Muslmans Andolous et Judeo-Espangols (4) :

المسلمون الأندلسيون واليهود الأسبان : يورد الكاتب مقالة فى نهاية كتابه عن اليهود فى المغرب ، ويخص بالذكر فاس ونشاطها العلمى والتبادل الثقافى بين يهود أسبانيا والمغرب ، ويطرح جدلاً حول طارق بن زياد والكاهنة بخصوص ديانتهما ، كما يتطرق إلى عدد من علماء اليهود فى المغرب .

Baron and Kahan, Economic History of Jews (5) :

التاريخ الاقتصادى لليهود : هذا الكتاب يبحث النشاط الاقتصادى لليهود ، وخاصة تجارة الرقيق ، والتحول الاقتصادى لليهود إلى العمل بالتجارة والمهن والحرف الهامة ذات العائد المجزى .

---

(١) القاهرة ١٩٢٩م .
(٢) القدس ١٩٧٤م .
(٣) القدس ١٩٨٣م .
(٤) Casablanca, 1953 .
(٥) New York, 1975 .

Chouraqui, Between East and Wast, A History of The Jews of North Africa (1) :

بين الشرق والغرب ، تاريخ اليهود فى الشمال الإفريقى : وهو من الكتب التى تناولت تاريخ اليهود فى الشمال الإفريقى بشكل مباشر ، وهو مسح عام لليهود ومجتمعاتهم ، وهو كتاب دعائى يجمع فيه الكاتب كل ما يضيف إلى القيمة الاجتماعية والعلمية للمجتمع اليهودى فى الشمال الإفريقى .

Goitein, Jews and Arabs (2):

اليهود والعرب : وقد تطرق الكاتب فيه إلى نقطة هامة ، وهى ندرة عمل اليهود على السفن ، كما أورد تقرير العالم اليونانى اثناسيوس عن رحلته البحرية عام ٤٠٤ م من الإسكندرية إلى أحد الموانى الصغيرة على شاطىء الشمال الإفريقى بواسطة قارب يمتلكه أحد اليهود ، ويعمل عليه قبطان يهودى ، وطاقم يهودى أيضًا ، ويصل إلى نتيجة مؤداها : أن هناك العديد من الأدلة فى الجنيزا على أن غالبية التجار اليهود المشتغلين بتجارة الشرق البعيد أتوا من الغرب الإسلامى .

Goitein, Mediterranean Society, Jewish Communities of The Arab World as Partrayed in The Documents of The Cairo Geniza 969 - 1250(3):

مجتمع البحر المتوسط والمجتمعات اليهودية فى البلدان العربية وفقًا لوثائق جنيزة القاهرة: يكشف الجزء الأول عن مهن الأفراد اليهود ، والتجارة والمال ، والسفر البرى والبحرى فى منطقة حوض البحر المتوسط وفقًا لأوراق الجنيزا ، ويحمل عنوان « الأساس الاقتصادى » ، ويمدنا بمعلومات وفيرة عن التجارة والحرفيين ، وأنواع التجارات ، والوكالات التجارية ، والمشاركات العائلية ، وتحويل الديون ، والحسابات الجارية ، والطرق التجارية ، والعملة ، والصرافة ، والسفتجة ، والبريد وما إلى ذلك .

---

(١) New York, 1973 .

(٢) New York, 1955 .

(٣) University of California Press, Vol. 1, 1967, Vol.2, 1971, Vol. 3, 1978, Vol. 4, 1983.

أما الجزء الثانى الذى يحمل عنوان " المجتمع " فيمدنا بالكثير عن المجتمع المحلى وقيادته والخدمات الاجتماعية ، والتعليم الدينى والمدنى ، والحكم الذاتى ، وأهم ما يفيد البحث فى هذا المجال ، حديثه عن الحى اليهودى ، ووظيفة الناجد ، والمقدم ، والتدريب المهنى للصبية ، وأماكن التعليم ، واحتراف المهن ، والطبقات داخل المجتمع اليهودى .

أما الجزء الثالث الذى يحمل عنوان (العائلة) فيفيد البحث فى كثير من جوانبه وخاصة الأسرة وعلاقاتها داخل المجتمع اليهودى ، وكذلك العلاقات بين أفراد الأسرة ، واحتفالاتها فى الزواج ، وفى المناسبات الاجتماعية الأخرى ، وكذلك الهدايا الزوجية ، ثم المنازعات الزوجية والطلاق ، وتربية الأطفال ، وعلاقة الأبناء بأسرهم ، كما يتطرق إلى الميراث والهبة والوصايا على القصر .

الجزء الرابع بعنوان « الحياة اليومية » يمدنا بتفاصيل دقيقة عن الحياة اليومية داخل المجتمع اليهودى من حيث الملبس والمأكل وأثاث المنزل . وترجع أهمية هذا الكتاب إلى اعتماده على وثائق الجنيزا القاهرية .

Grayzal, A History of The Jews (1):

تاريخ اليهود : تناول الاستيطان اليهودى فى برقة أيام البطالمة ، ثم يرى أنه بعد استيلاء الوندال على الشمال الإفريقى اتسم عهدهم بالهدوء والتسامح ، وعندما استعاد بلزاريوس البلاد للحظيرة الرومانية ، هرب اليهود إلى الصحراء والجبال فى الجنوب ، وقد أتاح ذلك للباحث التعرف على وصول الديانة اليهودية فى أماكن صعبة بعيداً عن الساحل ، وتطرق الكاتب إلى الاضطرابات القوطية لليهود فى الأندلس قبل قدوم المسلمين ، مما دعاهم إلى الهجرة إلى بلاد المغرب ، وأفاد البحث فى التعرف على مهام بعض الوظائف الدينية اليهودية مثل الحزان أو المرتل ، كما أشار إلى لائحة جرشوم التى قضت بتحريم تعدد الزوجات إلا بشروط ، وطرح سؤالاً عما إذا كان اليهود قد ساعدوا المسلمين فى فتح الأندلس ، ويرى أنه وحتى إذا كانوا قد فعلوا ذلك فمن الذى يلومهم ؟ .

---

(١) Philadelphia, 1960 .

Hirschberg, A History of The Jews in North Africa [1]**:**

تاريخ اليهود فى الشمال الإفريقى : وقد تناول الكتاب فى الجزء الأول منه ، تاريخ اليهود من القديم حتى أواخر العصور الوسطى ، والكتاب مترجم عن العبرية ، وللحقيقة فإن هذا الكتاب يتسم ببعض الموضوعية فى تحليله وعرضه للأحداث التاريخية ، ويعتمد على وثائق دينية يهودية ، واستطاع الباحث الرجوع إلى البعض منها ، ويعرض الكاتب موضوعه بشكل أكاديمى بخلاف شوراكى Chouraqui الذى لم يلحق كتاباته بهوامش عن مصادره التى استقى منها بياناته . والكتاب يناقش القضايا المهمة بشىء من التفصيل ، كإشكالية التهويد فى الشمال الإفريقى ، وكذلك موضوع الكاهنة ويهوديتها ، حيث استعرض الكاتب معظم آراء من سبقوه فى هذا الموضوع ، وخرج بنتيجة مؤداها وثنية الكاهنة معتمداً على مصادر عربية فى هذا الشأن ، كما تطرق إلى قضايا مهمة فى جميع المجالات ، حيث يفرد فصولاً للحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والروحية مما أفاد البحث كثيراً فى جميع جوانبه .

Malka , Essai , D'ethnographie Traditiannalle des Mellahs [2] **:**

مقال فى التقاليد السكانية فى حى الملاح بالمغرب : يمدنا هذا الكتاب ببعض التقاليد والاعتقادات العرقية ، والطقوس والممارسات القديمة لليهود المغاربة فى مسائل الزواج ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، وتجريس الزانية ، وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية .

Slousch, Judeo- Hellenes et Judeo- Berber [3]**:**

اليهود الهيلينيون واليهود البربر : مؤلف هذا الكتاب مهتم بالدراسات التاريخية الخاصة بيهود الشمال الإفريقى ، ولكنه يحمل النصوص أكثر ما تحتمل ، وخاصة نصوص ابن خلدون، فقد أخذ عنه تهود البعض من القبائل البربرية على أنه الكل ، ودلل على ذلك بقبيلة الكاهنة، وأورد باقى القبائل الأخرى مثل مديونة وفندلاوة وغياثه ، كقبائل يهودية بكاملها . وتكلم عن الانعزال اليهودى ، وانتزاء اليهود بالجبال فى بعض فترات الاضطهاد .

---

(١) 2 Vol. Leiden, 1074 .

ويرى الباحث أن هذا الكتاب هو أفضل ما كتب حتى الآن عن يهود الشمال الإفريقى رغم ما فيه من بعض التجاوزات ، وخاصة من كاتب يهودى .

(٢) Rabat, 1946 .

(٣) الكتاب رسالة دكتوراة أعدها الكاتب فى باريس : Paris 1909 .

Travels in North Africa (1):

رحلات فى الشمال الإفريقى : هذا الكتاب عبارة عن مجموعة رحلات قام بها الكاتب للشمال الإفريقى فى بداية هذا القرن ، دون فيها مشاهداته ورجع القهقرى بالأحداث ، حيث تحدث عن الكاهنة ، وعن القيروان ومدرستها اليهودية وعلمائها الأقدمين ، وعرض لبعض التأثيرات اليهودية على عادات وتقاليد البربر فى جبال الأوراس ، وعرض للقرائين فى وارجلان ، وحدثنا عن مدرسة سجلماسة وعلاقاتها بالمدارس فى العراق ، ويتطرق لأعمال الحرفيين من اليهود ، ويمدنا بمعلومات عن عادات الدفن عند اليهود فى الشمال الإفريقى .

Udovitch, The LAst Arab Jews, The Cmmunities of Jerba, Tunisia (2):

آخر اليهود العرب ، المجتمعات اليهودية فى جربة التونسية : يحوى الكتاب تفاصيل عن يهود جزيرة جربا التونسية ، ويحاول الكاتب التأريخ للاستيطان اليهودى للجزيرة ، ورأى أن النصف الأول من القرن ١١م شهد دوراً يهودياً فى الثورة التجارية فى عالم البحر المتوسط ، ليس فقط مع إخوانهم فى الدين فى تونس ومصر فقط ، ولكن أيضًا اتصالاتهم بالتجار الإيطاليين من أمالفى وجنوه والبندقية ، كما حاول الكاتب استنتاج بعض من التأثيرات البيئية على يهود الجزيرة .

سابعًا : الدوريات والمقالات الأجنبية والعربية :

Bensasson, Inter-Communal Relation in Geonic Pariod (3) :

العلاقات المتبادلة بين المجتمعات اليهودية فى الفترة الجاؤنية : فى هذا المقال يسرد الباحث العلاقات بين اليهود والمدارس فى العراق وفلسطين ، وللأنشطة العلمية لليهود فى المغرب ، مثل تأسيس المدارس والمكتبات ، واستنتج أسباب التسابق بين المدارس فى العراق والقدس على اجتذاب أكبر قدر من يهود المغرب إليها طمعًا فى التبرعات .

Goulven, Notes Sur Les Origined Anciennes des Israrlits du Moroc (4) :

ملاحظات على الأصول القديمة لليهود فى المغرب : اجتهد الكاتب فى تصنيف يهود المغرب الأقصى حسب مواطن هجرتهم فى الفترة ما بين القرن الأول حتى الخامس عشر الميلادى ،

---

(١) Philadelphia, 1927 .

(٢) New York, 1984 .

(٣) In Daniel Frank ed., The Jews of Medieval Islam, Leiden 1995 .

(٤) Hesperis, 1, 1921 .

وذكر أسباب هجرتهم ، مرجعًا ذلك إلى الأحداث التى وقعت لليهود فى القدس وأسبانيا ، كما أورد أماكن استقرار هذه الجماعات اليهودية فى المغرب الأقصى .

Hirschberg, The Problem of The Judaized Berbers (1) :

مشكلة تهويد البربر : يرى الكاتب فى هذا المقال أن اليهودية انتشرت بين البربر خلال القرون الأولى من الحقبة المسيحية ، ويرى كذلك أن انتشار اليهودية لم يكن عن طريق التبشير بخلاف المسيحية والإسلام ، وإنما عن طريق الاحتكاك المباشر والتأثير والتأثر .

المدلاوى : صورة المغرب فى المكتوبات العبرانية واليهودية(٢) ، أمدنا المقال بالصورة الأسطورية التى كونها خيال اليهود المغاربة عن أرض المغرب التى تضارع أرض إسرائيل مرتين، معتمدين على تحريف نص توراتى (الملوك «٢» ، ١٨ - ٣٢) ، وكذلك محاولاتهم استنباط الأصول التاريخية للأعلام البشرية والمكانية بالمغرب من ألفاظ الوثائق التوارتية والتلمودية ، وقد نقل الكاتب ذلك عن مؤلف يهودي أسبانى يدعى إبراهام لاريدو ، أما ما ينفرد به فهو حقيقة تاريخية يثبتها بالأدلة المادية من خلال نقوش يهودية مثل الشمعدان السباعى وخاتم سليمان ، وعن الوجود اليهودى فى الحقبة الإغريقية .

Smach, Une Chronique Juive de Fes. (3) :

مدونة يهودية من فاس : أمدنا بتفاصيل عن علماء مدينة فاس ، وعن رسالة العالم اليهودى ابن قريش إلى المجتمع اليهودى فى مدينة فاس عن استعمال اللغة الآرامية فى قراءة التوراة (الترجوم) وضرورة عدم التخلى عنه .

Slousch, L'Ethnographie Juive de L'Afrique de Nord (4) :

الأصول العرقية لليهود فى إفريقيا الشمالية : رصد الكاتب أصل أجناس الشعوب التى سطيرت على ساحل البحر المتوسط ، ثم تطرق إلى الهجرات اليهودية للشمال الإفريقى ، وإلى التقسيمات العرقية ، كما حاول الكاتب العودة ببعض العادات والتقاليد إلى أصول فلسطينية، أو إلى أصول توراتية .

---

(١) The Journal of African History, 4, 1963 .

(٢) مجلة شئون مغربية ، العدد رقم ١٥ لسنة ١٩٩٧م .

(٣) (Hesperis) XIX, 1934.

(٤) Bulletin de la Socirte Geographie, I, Cairo 1921

Stillman . N.A., The Eleventh Century Merchant House of Ibn Awkal (A Geniza Study). (1):

الوكالة التجارية فى القرن الحادى عشر الميلادى ، " وكالة ابن عوكل كنموذج " : استعرض الكاتب مراسلات تغطى ٤٠ عامًا تمت بين ابن عوكل وكيل التجار المغاربة بمصر وعملائه ، وكذلك مع جاؤونية العراق والقدس . ويتضح من هذه الوثائق عملاؤه فى القيروان ، والبضائع المتداولة بأنواعها .

Stillman, Y.K. Castume as Cultural Statment : The Estheitcs, Economic and Politics. (2) :

الزى كتعبير ثقافى : فنى ، اقتصادى ، سياسى : يرى الكاتب من خلال هذا المقال أنه حدث تأثر فى صناعة الملابس اليهودية وتطريزها بالعادات الإسلامية ، مثل استعمال زخارف للوقاية من الحسد وما إلى ذلك .

- ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب والجاهلية(٣) : تناول ولفنسون طبيعة عمل الأحبار ، وصلاة اليهود ، وامتزاج العرب واليهود ، وامتزاج العرب واليهود فى بلاد العرب .

ثامنًا : دوائر المعارف(٤) :

اعتمدت الدراسة على دوائر المعارف اليهودية فى التعريف بكثير من المفردات اليهودية الواردة فى متن الدراسة . وكذلك دائرة المعارف الإسلامية (٥)، ودوائر المعارف البريطانية(٦).

---

(١) (Jesho) 16, April 1973 .

(٢) In Daniel Frank ed., The Jews of Medieval Islam, Leiden, 1995 .

(٣) Bulletin de la Societe d'Etudes Historiques Juives D'Egypte, 1, 1929 .

(٤) Jewish Encyclopedia and Judaic Encyclopedia .

(٥) صدرت طبعة حديثة مترجمة لدائرة المعارف الإسلامية عن مركز الشارقة للإبداع الفكرى ، طبعة أولى ، ١٩٩٨م .

(٦) The New Encyclopedia Britannic, 1993 .

تاسعًا : الرسائل الجامعية :

Mohmed Arahou , Juifs et Communautes Judaiques Face aux Pouvoris Musulmans au Magheeb Al-Aksa " X III, XVII, Siecle " . (1) :

اليهود والمجتمعات اليهودية فى مواجهة السلطات الإسلامية فى المغرب الأقصى ، القرن ١٣ - ١٧م : والرسالة وإن كانت متأخرة عن فترة البحث إلا أن الكاتب يورد فى بدايتها معلومات تفيدنا فى مشكلة الاستقرار اليهودى فى المغرب الأقصى ، وكذلك مشكلة التهويد، وكذلك الهجرات اليهودية من أسبانيا فى القرن السابع الميلادى .

Mohmed Laghraib, Role Politique des au Maghreb A travers Les Sources Arabes du VII, au XIII, Siecle (2) :

الدور السياسى لليهود فى المغرب وفقًا للمصادر العربية ق ٧ - ١٣م : فى بداية الرسالة عرض الكاتب للهجرة اليهودية من أسبانيا للمغرب ، فارين من الاضطهاد القوطى ، ثم أكد على يهودية القبائل التى ذكرها ابن خلدون ضمن القبائل التى قال : إن بعضًا منها تنصر وتهود ، وملاحظته الجديرة بالتسجيل هى أن الشتات كان أهم الأسباب التى أدت إلى نجاح تجارة الحرير اليهودى ، حيث كونوا سلسلة من التجمعات التى تمركزت على طريق التجارة ، والملاحظة الأخرى هى أن عمل اليهود فى الأعمال الحقيرة كان نوعًا من العقاب السياسى ضدهم ، كما رأى أن الذمى تعنى اليهودى ، ويرى أن انصراف اليهود عن مهنة الزراعة كان لمشقتها ، كما لجأ لمحاولة غير موثقة لإثبات الأصل اليهودى لبرغواطة .

- نجوى سليم هدايت : اليهود فى قرطبة عصر الخلافة الأموية(٣) : وهى أفادت فى التعرف على العلاقات بين يهود قرطبة والشمال الإفريقى ، كما أشارت إلى أهم العلماء ذات الأصول المغربية الذين برعوا فى الأندلس وخاصة فى قرطبة .

---

(١) Universite De Toulouse- Le Mirail, 1993 .

(٢) Universite Paris, VIII, 1994 - 1995 .

(٣) كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٩٥م .

الفصل الأول
الاستقـرار اليهـودى فـى بلاد المغـــرب
من الفتح الإسلام إلى قيام دولة المرابطين

مقدمة - الاستقرار فى إفريقية (المغرب الأدنى) - الاستقرار فى المغرب الأوسط - الاستقرار فى المغرب الأقصى .

مقدمة :

معلوم أن الجغرافيا مسرح أحداث التاريخ ، وموجهة لكثير من هذه الأحداث ، ومعلوم أيضًا أن اليهود فى الغالب الأعم لم يكن لهم وطن يرتبطون به ؛ وإنما نزحوا إلى أوطان متعددة ومنها الشمال الإفريقى ، واعتنق بعض سكان الشمال الإفريقى اليهودية وظلوا فى مضاربهم . أما النازحون فتخيروا المدن والأماكن التى جذبتهم بأنشطتها الاقتصادية أو بما تمنحه من أمان مثل وعورة المنطقة أو بعدها عن نفوذ السلطة الحاكمة ، إذ خشى اليهود منها اضطهاداً ، أو قريبًا من مركز السلطة ؛ إذا شعروا معها بالأمان . وتنوعت المناطق التى اختارها اليهود لسكناهم حسب تنوع أنشطتها الاقتصادية ، والتى تناسب طبيعة المهن التى عرفها اليهود ، أو حسب حياتهم الاجتماعية وإمكانياتهم المادية ، ومن ثم انتشر اليهود فى بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة ، إفريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، وسكنوا المدن الكبيرة ، والقرى الصغيرة ، والجبال وعرة المسالك ، ومناطق التخوم البعيدة عن هيمنة السلطة الحاكمة .

ودراسة اليهود فى بلاد المغرب وتبيان دورهم ومشاركتهم فى تاريخه سلبًا وإيجابًا ؛ تحتم رصد تواجدهم فى بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة ، استناداً إلى المظان الأصلية واستنارة بكتابات المحدثين ، مع الاعتماد على كل المعطيات التى تؤكد على التواجد اليهودى فى منطقة ما فى ظل ندرة المادة المتاحة ، لذا اختص هذا الفصل برصد ديمغرافى لليهود دون إغفال سبب اختيارهم لمنطقة ما دون غيرها ، وتفضيلهم مدينة عن سواها ، وذلك برصد أهمية المنطقة أو العوامل التي جذبتهم إلى مدينة بعينها . دون استباق الأحداث ، وبسبب شهرة اليهود بالعمل فى التجارة ، اهتمت الدراسة بالمدن الواقعة عن طرق التجارة الدولية بين الشرق

والغرب والشمال والجنوب ، علاوة على طرق التجارة الداخلية . ولضرورة اتباع نهج محدد فى رصد التواجد اليهودى ببلاد المغرب ، تعقبت الدراسة هذا التواجد فى كل قسم من أقسام بلاد المغرب الثلاثة من المشرق إلى المغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب مع التعريف بالمدن غافلة الذكر ، ورصد مميزات المدن التى جذبت اليهود النازحين إليها ، ومضارب القبائل التى دان بعضًا منها باليهودية .

معلوم أن أهل الذمة هم أهم الكتاب[١] من اليهود والنصارى ، وأشار الجغرافيون المسلمون إلى أهل الذمة ؛ الذين استقروا فى بلاد الشمال الإفريقى حينما رصدوا ضريبة الرأس التى فرضت عليهم[٢] . ومعلوم أيضًا أن الروم كانوا على المسيحية [٣]، واستقر معظمهم على الساحل ، ولم يتجاوزوه إلى الداخل [٤]، ولم يكثر اختلاطهم بأهل البلاد بوصفهم الطبقة الحاكمة التى احتلت البلاد ؛ فاختارت المناطق الأفضل مناخًا ، والأغنى اقتصاداً ، وبعدوا عن الداخل الذى غلبت عليه الصحارى بمناخها القاسى وقلة مصادرها الاقتصادية ، وشظف عيشها . أما اليهود الذين استقروا فى الشمال الإفريقى ؛ فلم يكونوا أصحاب سلطان ، ومن ثم خالطوا أهل البلاد ، وتوغلوا فى معظم المناطق اختياراً ؛ طلبًا للكسب ، أو إرغامًا نتيجة اضطهاد الحكام . وعندما فتح العرب المسلمون الشمال الإفريقى أسلم بعض الروم ، وغادر غالبية من ظل على مسيحيته البلاد ، حتى أن من ظل على المسيحية منهم فى بلاد الشمال الإفريقى لم يعد له ذكر فى المصادر العربية إلا قليلاً [٥]. أما أهل الذمة من اليهود فلم يكونوا من أصحاب السلطان ، وربما نقموا على الروم سابق اضطهادهم ، فلم يدخلوا فى

---

(١) " أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، وكتابهم التوراة والإنجيل ، ويجرى المجوس مجراهم فى أخذ الجزية منهم ، وإن حرم أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم " الماوردى ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ١٤٣ .

(٢) اليعقوبى ، البلدان ، ليدن ، ١٨٩٢م ، ص ٣٤٤ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، بيروت ، ص ٧٢ ، ٧٨ ، ٩٤ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٢٧١ .

(٤) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، ص ١٩ .

(٥) انظر ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧١ ؛ مجهول الاستبصار فى عجائب الأقطار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ١٩٨٦م ، ص ١١٣ .

مواجهة مع العرب الفاتحين (١)، وقبلوا حكم المسلمين ، فأظلهم الفاتحون بتسامح الإسلام، وفرضوا عليهم ما شرعه الإسلام من ضرائب ، وخاصة ضريبة الرأس التى عرفت فى المصادر باسم الجوالى (٢). لذلك يمكن القول أن الجوالى تعنى ضريبة الرأس التى فرضها المسلمون الفاتحون على يهود الشمال الإفريقى دون النصارى .

ذكرت المصادر أن هذه الضريبة فرضت على أهل الذمة الذين استقروا فى مناطق تقع فى عمق البلاد وصحاريها (٣)، وسبق القول أن النصارى من الروم أعرضوا عن سكنى هذه المناطق ، فبات بذلك معظم أهل الذمة فيها من اليهود ؛ يؤكد ذلك ما ذكره الرحالة ابن حوقل - الذى عاصر فترة الدراسة - حينما صرح أن ضريبة الرأس (الجوالى) فرضت على اليهود الذين اتخذوا مدينة قابس سكنًا لهم (٤)، ورصد الجغرافيون لمقدار الجبايات التى فرضت على اليهود فى بلاد المغرب فى فترة الدراسة يؤكد كثرة أعداد اليهود بين سكانه ، إذا ما قورن بالبلاد الأخرى التى فتحها العرب المسلمون ، وذلك ما حدا بالمقدسى أن يصف بلاد المغرب بأنه " إقليم طويل يوجد فيه أكثر ما يوجد فى سائر الأقاليم ... كثير اليهود " (٥). واستقر اليهود فى بلاد المغرب ، وتحديد سكناهم فى مناطق الشمال الإفريقى ، يحتم رصد حدود هذه البلاد ، وأقسامها كما اتفق عليها الجغرافيون والمؤرخون المعاصرون ؛ فيحد البلاد

---

(1) Julien, History of North Africa, London, 1970, p. 43 .

(٢) اختص الجغرافيون المسلمون اليهود بالجوالي فى بلاد المغرب ، دون الجزية التى فرضت على أهل على الذمة من اليهود والنصارى معًا ، وربما يرجع ذلك للتفرقة بين ما فرض على النصارى وما فرض على اليهود ، وتعنى كلمة جوالى جمع جالية وهم الذين جلوا عن أوطانهم ، وتسمى فى بعض الأوطان مال الجماجم ، وربما ارتبط المعنى الأول لدى الجغرافيون المسلمون بتشتت اليهود ، وجلاؤهم عن البلاد التى سكنوها ، عن الجوالى والجزية ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، بولاق ١٨٨٢م ، ١ ، ص ٦٢٠ ؛ الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، القاهرة ١٩٢٣م ، ص ٤٠ ، وعلى من تجيب ، انظر : أبو يوسف : الخراج ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ١٣٣ ؛ الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ - ١٤٦ .

(٣) انظر بعده .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٢ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ص ١٩٥ .

من الشمال البحر المتوسط ، وفى الجنوب تمتد صاريه حتى زويلة [١]، وبلاد السودان[٢] ، ومن الغرب المحيط الأطلسى [٣]، ومن الشرق إقليم برقة [٤].

قسم الجغرافيون بلاد الشمال الإفريقى إلى ثلاثة أقسام : إفريقية (التى أطلق عليها بعض المحدثين المغرب الأدنى) ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، وقيل أن هذه الأقسام اتخذت تسميتها من قربها أو بعدها عن مصر [٥]، التى كانت نقطة انطلاق لفتح بلاد المغرب ومركز فتحه ، وتبع وإليها طوال فترة الفتح التى جاوزت سبعة عقود . وحدد الجغرافيون إفريقية (المغرب الأدنى) من برقة شرقًا إلى مليانة أو بجاية غربًا [٦]، ويليها غربًا المغرب الأوسط الذى يمتد حتى غرب مدينة وهران الواقعة على الساحل ، ويضم مدينة تلمسان التى تبعد مسيرة يوم عن مدينة وهران [٧]، ثم المغرب الأقصى الذى يمتد حتى مدينة سبتة شمالاً ومدينة سجلماسة جنوبًا . ويعد المغرب الأقصى امتداداً للمغرب الأوسط لعدم وجود حواجز طبيعية بينهما ، كما يربطهما مضيق تازا مفتاح المغرب الأقصى من جهة الشرق [٨]. ونحاول رصد الجماعات اليهودية فى كل إقليم منها على حدة .

أولاً : إفريقية :

سكن اليهود إقليم برقة منذ قبل الفتح الإسلامى[٩] ، والإقليم صقع كبير اشتمل على مدن وقرى عدة ، وأول هذه المدن مدينة انطابلس ، وتفسير اسمها الخمس مدن[١٠] ، وهى أول

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٢١ .

(٢) البكرى ، المغرب فى ذكر إفريقية والمغرب ، بغداد ، ص ٢١ .

(٣) السلاوى : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر محمد الناصرى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، ص ٦٣ .

(٤) البكرى ، المغرب ، ص ٢١ ؛ الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٣٦ .

(٥) دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة ١٩٦٣م ، ٣ ، ص ٢٤٢ ؛ وهذا هو التقسيم المقبول عمومًا ، انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، " مادة المغرب " ، ص ٩٤٧٧ .

(٦) ابن غالب الغرناطى ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس ، نشر لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطيات العربية ، نوفمبر ١٩٥٥م ، ص ٣٠٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ، ص ٣٠١ .

(٧) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، باريس ١٨٣٠م ، ص ١٢٢ .

(٨) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٣٣ ؛ العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٣.

(٩) انظر الفصل الثانى .

(١٠) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ، ص ٣٣٨ ؛ وتعرف أيضًا (بنتابوليس) .

منبر ينزله القادم من مصر متجهًا إلى القيروان " [١]، وبها من التجارة وكثرة الغرباء فى كل وقت ما لا ينقطع طلابًا ؛ لما فيه من التجارة ، وعابرين عليها مغربين ومشرقين "[٢] . والمدينة وما حولها عامرة بالعرب[٣] وبأهل الذمة [٤]. ويبين استقرار كثير من اليهود بهذه المدينة ما كتبه مؤرخو الفتوح[٥] ومن نقل عنهم من القدامى[٦] ؛ إذ ذكر هؤلاء أن إقليم برقة فتح صلحًا على جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف ديناراً [٧]، والجزية فرضها الإسلام على أهل الذمة ، ويعنى ذلك أن أهل الذمة كثيرون فى إقليم برقة ، وإذا علمنا بنزوح معظم النصارى من الروم عن الإقليم بعد أن فتحه العرب المسلمون فإن معظم هذه الجزية دفعها يهود الإقليم ؛ يؤكد ذلك ما ذكره البلاذرى أن يهود هذا الإقليم عاشوا فى ظل الحكم العربى ، ودفعوا الجزية[٨] . ويوضح ابن عبد الحكم ذلك فيما أورده عن إغارة الروم على برقة بعد خروج حسان بن النعمان (٧٣ - ٨٦ هـ / ٦٩٢ - ٧٠٥م) من بلاد المغرب ، واحتلالهم المدينة لمدة أربعين يومًا ووقع سكان برقة بمن فيهم من أهل الذمة فى يد الروم [٩]، ويذهب بعض المحدثين إلى أن المقصود بأهل الذمة هنا اليهود [١٠]، والغالب على الظن أنه أصاب فى ذلك ؛ لأن الروم من

(١) الإدريسى ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، بيروت ، ص ٣١٠ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(٣) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٣١٠ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧٢ .

(٥) ابن عبد الحكم ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ ؛ البلاذرى ، فتوح البلدان ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٣ ، ص ١٩ ؛ ابن الآبار ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣م ، ١ ، ص ١٣ .

(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٩ .

(٨) فتوح البلدان ، ص ٢٢٢ .

(٩) " وأغارت الروم بعد حسان على إنطابلس ، فهرب ابن النصرانى ، وخلى أهل إنطابلس وأهل ذمتها فى أيدى الروم فرأسوها أربعين ليلة ؛ حتى أسرعوا فيها الفساد " ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧٢ .

(10) Laghraib, Role Politique des Juifs au Maghreb, Du, VII, Au XIIIe; Doctorat University Paris VIII, 1994-95, p. 178 .

النصـارى [١]، ومن ثم رحب نصارى برقة بالروم إخوانهم فى العقيدة ، وانحازوا إليهم عندما أغـاروا على المدينة ، أما أهل الذمـة من اليـهـود فـهم الذين وقـعـوا فى أيدى الروم المغـيـرين ، ولعل ذلك بسبب موقف اليـهود من الفتح العربى [٢]. واستمر تواجد اليهود فى إقليم برقة إبان العصر العباسى ؛ إذ تبين المصادر أن الضرائب التى جمعت من الإقليم زمن هارون الرشيد ومن بينها الجوالى بلغت خمسة عشر عشر ألف دينار [٣]، ويبدو أن مبلغ الجوالى كان كبيراً حتى أنه لفت انتباه بعض جغرافى القرن ٤ هـ / ١٠م [٤].

دانت المنطقة من برقـة شمـالاً حتى زويلة الواقـعـة على حدود بلاد السـودان جنوبًا لطاعـة العرب المسلمين ، وأقر أهل الذمة الجزية [٥]، وانتشر اليهود بين قرى ومدن المنطقة ، واختاروا المناطق التى تناسب طموحاتهم الاقتصادية ؛ فاستقر بعضهم فى طلمثية الواقعة على الساحل[٦]، وفى مدينة الرمادة القريبة منها على الساحل أيضًا[٧] ، والمدينتان لهما أهمية تجارية اكتسباها من وقوعهما على الطريق الساحلى بين الإسكندرية وبرقة [٨]، وهو الطريق التجارى الذى يربط بلاد المغرب بمصر وشرق العالم الإسلامى[٩]، وخطوط التجـارة مناطق جذب اقتصادى وخاصة لليهود الذين برعوا في التجارة بخاصة[١٠]، ولذات السبب استوطن اليهـود مدينة زويلة المتاخمة لبلاد السودان ، لما اشتهرت به كمحطة توزيع الرقيق إلى إفريقية[١١]. ويؤكد على تواجد اليهود فى هذه المنطقة الحدودية ، وعلى امتداد الطريق

---

(١) يقول ابن عبد الحكم " وضع الخراج على عجم إفريقية (الروم) وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر " ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧١ .

(2) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, Leiden, 1974, p. 97 .

(٣) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٤٤ .

(٤) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ١٩٥ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٣٠ ؛ البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٢ .

(٦) ابن سعيد المغربى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠م ، ص ١٤٦ .

(7) Mann, The Jews In Egypt and in Palestine Under The Fatimed Caliphs, New York, 1970, 1, P. 87 .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ، ص ٦٦ .

(٩) انظر ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ليدن ١٩٨٩م ، ص ٨٥ - ٨٦ ، ٢٢٤ .

(١٠) انظر الفصل الثالث .

(١١) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ .

التجارى بينها وبين ساحل البحر المتوسط ، ما ذكره المؤرخ الإباضى - المعاصر لفترة البحث - أبى زكريا (ت : ٤٧١ هـ / ١٠٧٨م) من علاقة اليهود ومجالستهم لشيوخ المذهب الإباضى من رعايا دولة بنى رستم [١]؛ الذين اشتهروا بالتجارة مع بلاد السودان [٢].

يعد إقليم طرابلس أهم مناطق إفريقية ، وتعتبر مدينة طرابلس عاصمة الإقليم الذى يشمل عدة مدن وقبرى غيرها ، ولأهمية الإقليم الاقتصادية جذب إليه اليهود ، واستقروا به منذ العصر الرومانى[٣] ، وترك التواجد اليهودى فى الإقليم منذ القدم أثره على أسماء بعض مدنه ، فنسب بعضها إلى اليهود مثل مدينة اليهودتين الواقعة على الطريق الساحلى بين برقة وطرابلس[٤] ، التى غالبًا ما أخذت هذا الاسم لغلبة اليهود من التجار على سكانها ، حتى أن البكرى أوردها باسم مرسى اليهودية [٥]، وإن صمتت المصادر عن ديانة سكان هذه المدينة؛ فإن التسمية تنم عن غلبة اليهود على سكانها ، أما اختلاف اسمها عند الجغرافيين ، فيفسره أحد الرحالة المتأخرين حين ذكر أن المدينة تكونت من عدة قرى متقاربة [٦]. ولم يتقصر التواجد اليهودى فى إقليم طرابلس على هذه المدينة ، وإنما سكنوا مدنًا ساحلية أخرى منها مدينة سرت[٧] الواقعة على الطريق الساحلى بين مرسى اليهودية وطرابلس [٨]، وزادت أعدادهم فى مدينة لبدة الساحلية القريبة من مدينة طرابلس ، يفصح عن ذلك تأسيس جالية يهودية بها إبان القرن ٤ هـ / ١٠م ، وغلب على يهودها العمل بالتجارة ، وقاموا برحلات تجارية إلى شرق آسيا وتوثقت علاقاتهم التجارية مع الهند بصفة خاصة [٩]. ولاجدال أن مدينة طرابلس عاصمة الإقليم جذبت اليهود إليها واستقروا بها ؛ فهى من أهم موانىء إفريقية، وكثرت أسواقها ، وسكنها العديد من مختلف الأجناس [١٠].

---

(١) سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربى ، الجزائر ١٩٧٩م ، ص ١٦٢ .
(٢) محمود إسماعيل ، الخوارج فى المغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٧٦م ، ص ١٣٧ .
(٣) انظر الفصل الثانى .
(٤) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٢٤ ؛ المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٢ .
(٥) المغرب ، ص ٨٥ .
(٦) العياشى ، ماء الموائد ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد وآخرين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٩٦م ، ص ١٤٩.
(7) Mann, Texts and Studies in Jewish History and Litrature, New York, 1972, 1, p. 465 .
(٨) ابن حرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٨٦ .
(9) Goitein, Mediterranean Society , University of California, Paress, 1983, 4, p. 37 .
(١٠) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٤٦ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧١ ، ٧٢ .

سكن اليهود مدن غير ساحلية أيضًا فى إقليم طرابلس وإن شاركت المدن الساحلية فى الأهمية الاقتصادية على صعيد التجارة بخاصة ، فقد استقر اليهود فى جبل نفوسة [١]، الذى يبعد عن طرابلس جنوبًا مسيرة ثلاثة أيام [٢]، وتكثف الوجود اليهود فى أهم مدينتين فى هذا الجبل هما شروس التى تتوسط الجبل ، وجادوا التى تقع غربية بالقرب من نفزاوة[٣]، وأطلق عليها أم قرى جبل نفوسة لاتساع عمرانها وكثرة أسواقها [٤]، وذكر بعض الجغرافيين أن أهلها يهود [٥]. لامراء فى ذلك ؛ لأن الجبل مضارب قبائل نفوسة ، واشتق اسمه من اسمها ، وذكر ابن خلدون - أفضل من كتب عن قبائل البربر - أن بطونًا من قبيلة نفوسة اعتنقت اليهودية [٦]. وينم عن كثرة اليهود الذين استقروا فى جبل نفوسة ، ما دار بينهم وبين الرئاسة الروحية لليهود فى العراق [٧]، إذ تبودلت رسائل بينهما عن مسائل دينية طلب منها أهل الجبل إجابات عن أسئلة استغلقت عليهم ، وفتاوى عن أمور استجدت عليهم ، وترجع إحدى هذه المراسلات لعام ٣٢٧ هـ / ٩٣٨م ، وتفصح الرسالة عما حل بالمنطقة من خراب إبان تلك الفترة ، وحاق بالمدينة من دمار ؛ إذ أحرقت ونهبت ، وأكره يهودها على تركها ، ثم أعيد بناؤها مرة أخرى ؛ فعاد إليها أهلها بمن فيهم من اليهود[٨] ، وإن لم تشر الرسالة إلى سبب

---

(١) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ٦ ، ص ١٠٧ ؛
Hirschberg, A History of The Jews in North Africa,I, p. 131 .

(٢) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٢٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٩٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٤) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٤٤ .

(٥) البكرى ، المغرب ، ص ٩ ؛ مجهول الاستبصار ، ص ١٤٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ، ٩٢ .

(٦) العبر ، ٦ ، ص ١٠٧ ، ١٤٤ .

(٧) تأسست فى العراق (بابل) مدرسة سورا وبمبادثه ، واضحى رؤساؤها أنوار يستضىء بعلومهم العالم اليهودى لمدة أربعمائة وخمسون عامًا (يوسف غنيمة ، نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ، دار الوراق ، لندن ، ط ٢ ١٩٩٧، ص ١١٤) . فقد بدأت مع تلك المدارس فترة عرفت باسم الفترة الجاؤونية نسبة إلى لقب جاؤون الذى كان يسبق باسم رؤساء هذه المدارس ، ويعنى بالعبرية نيافة أو سمو (عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، الأهرام ، ١٩٧٥م ، ص ١٤٩) . امتدت فترة الجاؤونية بتواز مع الفتح الإسلامى ، حيث بدأت حوالى سنة ٥٨٩م فى بمبادثة وفى سورا سنة ٦٠٩م ، وانتهت فى بمبادثة سنة ١٠٢٨م وفى سورا سنة ١٠٣٤م . The Jewish Encyclopedia, 5, pp. 567 - 568

وتولت هذه المدارس مسئولية تعليم التلمود ، وإصدار الفتاوى الدينية ليهود الشرق والغرب (أحمد سوسة ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ١٩٤) .

(8) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916-17, pp. 482, 484 .

الحرق والتدمير ، فإنه كان بسبب حركة أبى يزيد مخلد بن كيداد الخارجى الإباضى النكارى ، الذى خرج على طاعة الفاطميين ، وكاد أن يقضى على دولتهم(١) .

لم تخل منطقة إفريقية (التونسية) من اليهود فقد سكن بعضهم جزيرة جربة منذ القدم(٢)، والجزيرة تتميز بموقع جغرافى فريد ؛ إذ يفصلها عن البر مجاز ضيق ، وتقع على مقربة من مدينة قابس (٣)، فمنحها موقعها ميزة تجارية . وتشير وثائق الجنيزا التى ترجع للقرن ٥ هـ / ١١م إلى اليهود من سكان تلك الجزيرة (٤). استوطن اليهود مدينة قابس(٥) أيضًا وذلك لأن المناطق ذات اللأهمية التجارية بخاصة تجذب اليهود . واشتهرت قابس بصناعة الحرير وتصديره إلى كافة الأنحاء (٦)، وبأسواقها العامرة وفنادقها وحماماتها الكثيرة (٧)، وأبان عن كثرة اليهود فى قابس كبر مقدار الجوالى التى فرضت عليهم ؛ والذى ترك صداه عند ابن حوقل (٨)، يؤكد ذلك أيضًا مراسلاتهم مع علماء مدينة الفسطاط (٩)،

---

(١) بدأ أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتى الإباضى الخارجى إثارة سكان إفريقية على الفاطميين سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨م ، ودعا إباضية جبل نفوسة إلى الثورة على الفاطميين (الدرجينى ، طبقات الإباضية ، ١ ورقة رقم ٤٣) فأرسل المهدى الفاطمى إلى واليه هناك يأمرة بالقبض على أبى يزيد الذى اختفى فترة (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ ، ص ٢٢٥) وثار أهل جبل نفوسة على الفاطميين حتى أرسل الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله بالقبض عليه (الدرجينى ، طبقات الإباضية ، ١ ورقة ٤٤) ، وتضمت المصادر عما أنزله الفاطميون بأهل جبل نفوسة ، والغالب على الظن أنه فى مطارداتهم لأبى يزيد الذى اشعل نار الثورة فى الجبل عليهم عملوا على قمع هذه الثورة بالعنف والقوة ، مما أحدث بمدن الجبل حالات من النهب والخراب .

(2)Udovitch, The Last Arab Jews, The Communities of Jerba Tunisia, New York, 1984, p.8.

(٣) البكرى ، المغرب ، ص ١٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ، ص ١١٨ .

(4) Goitein, The Main Industries of The Mediterranean. Area as Reflected in The Records of Cairo Geniza (Jesho) 4, Part 2, August 1961, p. 1709; Udovitch, op. Cit, p. 11 .

(5)Hirscfeld, Family of The Qabisi From Kairowan, (J.Q.R.) 16, 1904, pp. 573-578 .

(6) Goitein, Mediterranean Society, 4, p. 168 .

البكرى ، المغرب ، ص ١٧ .

(٧) البكرى ، المغرب ، ص ١٧ ؛ الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٧٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ، ص ٢٨٩ .

(٨) صورة الأرض ، ص ٧٢ ؛ هوبكنز ، النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، ليبيا ، ١٩٨٠م ، ص ٧٠ .

(9) Mann, Texts and Studies, 1, pp. 140 - 141 .

وعلماء العراق [١]. واستقر اليهود كذلك في مدينة نفزاوة ، وباتوا مطمعًا للبربر - لعل ذلك بسبب ما حازوه من ثروة - في عهد الوالي الأموي حنظلة بن صفوان سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٢م ، الذي أنصفهم وفك أسرهم [٢]. كما قطن اليهود مدينة صفاقس [٣]، تلك المدينة البحرية ، التي اشتهرت بزراعة الزيتون واستخراج زيته ، وبأنواع أسماكها المتعددة [٤]، والغالب على الظن أإن أهمية موقعها الجغرافي علاوة على اقتصادياتها كانا السبب الرئيسي في جذب اليهود عليها واستقرارهم بها .

لاشك في أن القيروان أمست أهم مدن إفريقية ، ومن ثم توافد اليهود عليها منذ أن أسسها عقبة بن نافع الفهري سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤م في خلافة معاوية بن أبي سفيان [٥]، وعقب استشهاد عقبة ، هاجم كسيلة المدينة ، واضطر العرب إلى تركها ، ولم يبق فيها إلا كل مثقل من التجار وأهل الذمة [٦]، ومعظم هؤلاء من اليهود . وباتت القيروان منذ تأسيسها عاصمة دينية ليهود الشمال الإفريقي ، ومركزًا للعلوم الدينية من خلال مدرستها التوراتية المشهورة [٩]. تزايدت أعداد اليهود بالمدينة ، وعاشوا في حماية وأمن العرب[١٠] ، يؤكد ذلك ما أورده الرقيق القيرواني من وجود سوق لليهود في المدينة [١١]، ومن ثم أمست

---

(1) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916-17, p. 483, 11, 1920-21, p. 443 .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٣٠٠ .

(3) Mann, Texts and Studies, 1, p. 344 .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٣ ؛ البكري ، المغرب ، ص ٢٠ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٧ ؛

Hill, Islamic Architecture in North Africa, London, 1976, pp. 91-94 .

(٦) الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تعليق إبراهيم شبوخ ، الخانجي ، ١٩٦٨م ، ١ ، ص ٥٥ ؛ يأتي أول ذكر لأهل الذمة في مدينة القيروان بعد تأسيسها عندما غزاها كسيلة البربري ٦٤ هـ / ٦٨٤م، وبالتالي فإن الفترة ما بين تأسيس المدينة وهجوم كسيله شهدت توافد أعداد كبيرة من اليهود إلى المدينة لفتت انتباه المؤرخين .

(7) Slousch, Travels in North Africa, Philadephia, 1927, p. 247 .

(10) Chouraqui, Between East and West, A History of The Jews of North Africa, New York 1973, p. 79 .

(١١) فتح إفريقية والمغرب ، تحقيق المنجي الكعبي ، تونس ، ص ١٦٧ .

القيروان مزاراً لكثير من عامة اليهود وعلمائهم (١)، وتوثقت الصلات بين مدارس العراق والمجتمع اليهودي في القيروان(٢) ، فكان حافزاً على تدعيم علاقات مدارس القدس مع إخوانهم في المدينة (٣)، وتبوأت مركز الصدارة عند يهود الغرب الإسلامي بعد أن أصبحت حلقة الوصل بين الأندلس ويهود كل من العراق والقدس(٤) . سمح المسلمون لجماعة اليهود بالقيروان بإنشاء معابد يهودية وإقامة شعائرهم الدينية داخلها بكل حرية(٥) ، مما أدى إلى صعود نجم القيروان وذيوع شهرتها بين يهود العالم خلال القرن ٤ ، ٥ ق / ١٠ ، ١١ م . واستمر لها هذا الصيت حتى اجتاح الهلاليون المدينة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧م ، فأفل نجم المدينة وخبت شهرتها (٦).

ربط كثير من المؤرخون القدامى بين الفاطميين واليهود (٧)، ونال اليهود أرفع المناصب في الدولة الفاطمية (٨)، لذلك لم يكن غريبًا أن يتوافد اليهود على مدينة المهدية التي بناها عبد الله المهدي ، وانتقل إليها سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م (٩). واتخذها عاصمة لدولته ، وهي جزيرة متصلة بالبر على هيئة كف متصلة بزند ، وعلى بعد مرحلتين أو ستين ميلاً شمال

---

(1) Mann, Texts and Studies, 1, p. 328 .

(2) Mann, (J.Q.R.) 11, 1920-21, pp. 447-448 .

(3) Ibid, pp. 453 - 454 .

(4) Mann, The Jews in Egypt and in Palestine, 1, p. 102 .

(5)Stillman, The Jews in The Medieval Islamic city, In Daniel Frank ed., The Jews Medieval Islam, Leiden 1995, p. 10 .

(6) Vajda, Problems et Toches de L'investion du Passe Juif en Tunisie, " Cahiers de Tunisie" 3et 4 Trimestre, 1954, p. 309 ;

دائرة المعارف الإسلامية " مادة القيروان " ، ص ٨٤٥٤ .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ، ص ٢٣٠ .

(8) Goitein, Mediterrsnean Society, 2, p. 243 .

(٩) بدأ المهدي في بناء المهدية آخر سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٦م (ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ١ ، ص ١٩٢؛ أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ١٩٠٧م ، ٢ ، ص ٢٦٨ ؛ الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر، القاهرة ١٩٦١م ، ص١٠٨) وانتهى من بناتها ، وانتقل إليها في شوال ٣٠٨ هـ / فبراير ٩٢١م (ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ١ ، ص ١٩٢) .

القيروان (١)، وأصبحت من أهم موانى إفريقية(٢)، ناهيك عن قربها من القيروان ذات المجتمع اليهودى الكبير ، ولرواج الأنشطة الاقتصادية فيها من تجارة وصناعة ، استقطبت المهدية أعداداً كبيرة من اليهود ، يوضح ذلك كثرة الوثائق التجارية التى تشير إلى سكان المدينة ونشاطهم التجارى بها(٣).

حرص اليهود على الاستقرار بالمدن الساحلية خاصة ؛ فنجد أن مدينة سوسة ، التى تقع على الساحل وتبعد عن القيروان ستًا وثلاثين ميلاً ، ويحيط بها البحر من نواح ثلاث ، اشتهرت بجودة الحياكة والغزل حتى أنه كان يباع زنة المثقال منه بمثقالين ذهب (٤)، كما اشتهرت بالأسواق والفنادق والحمامات الكثيرة مما يفصح عن أهميتها التجارية وكثرة التجار بها ، حتى أنه تحصل منها جباية غزيرة (٥)، وهذه الجباية حتمًا تتضمن جوال فرضت على سكان يهود استوطنوا المدينة ، فهذا ما يستشف من وثائق الجنيزا ، حيث امدتنا بوثائق تتعلق بوكيل التجار المغاربة فى مصر ابن عوكل اليهودى (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨م) ، الذى يرجع أصله إلى مدينة سوسة (٦)، وتبين أنه أثناء إقامته بمصر لم تنقطع صلته بأقاربه فى سوسة ، مما أسفر عن وجود جماعة يهودية بالمدينة تعمل بالتجارة خلال القرن ٤ ، ٥ هـ / ١٠ ، ١١م، هذا المجتمع أفرز ابن عوكل وغيره من التجار اليهود .

تقع مدينة تونس(٧) أيضًا علي الساحل شمال غرب سوسة ، وهى ملاصقة لمدينة قرطاج القديمة ، ورغم أن المصادر العربية لم تمدنا بأخبار عن أى تواجد لليهود فى تونس ، لكن قربها

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٣ ، ٨٣ .

(٢) البكرى ، المغرب ، ص ٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ، ص ٢٣٠ .

(3) Goitein, Mediterranean Society, 1, p. 276: Hirschberg, A History of The Jew in North Africa, 1, p. 103 .

ولمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثالث .

(٤) البكرى ، المغرب ، ص ٣٤ ، ٣٦ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٤ .

(6) Stillman, The Eleventh Century Marchant House of IBN Awkal, (Jesho) 16, 1963, pp. 17, 30 .

(٧) سميت المدينة قبل ذلك ترشيش ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٥ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ٤٠؛ معجم البلدان ، ٢ ، ص ٦٠ ، ٦١ .

من مدينة قرطاج القديمة يجعل من الراجح استقرار أعداد من السكان اليهود فيها ، كما أن العثور على آثار يهودية فى منطقة قرطاج ترجع للقرن ٦م[١] يؤكد على استمرار الاستقرار اليهودى فى منطقة تونس خلال الحكم الإسلامى ، ويجزم بذلك ما تمدنا به وثائق الجنيزا من معلومات عن أحد التجار اليهود الذى استقر فى تونس وكان من عملاء ابن عوكل[٢] . معلوم أن مدينتى بلزمة وطبنة الواقعتين فى عمالة الزاب من أهم المدن الواقعة على أحد خطوط التجارة مع بلاد السودان ، وبها سكن اليهود ، إذ يورد ابن عذارى أن انتزاع أبى عبيد الله الشيعى المدينتين من يد الأغالبة سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥م مكنه من الاستيلاء على جزية اليهود [٣]، وهذا ما تؤكده أيضًا المراسلات المتبادلة بين العراق والمجتمعات اليهودية فى الشمال الإفريقى[٤] ، ولم يقتصر استقرار اليهود فى المدن فقط الساحلية منها والداخلية ، بل استوطنوا أيضًا الجبال ، نتعرف على ذلك عندما يحدثنا ابن خلدون عن قبيلة جراوة التى تضرب ببطونها فى جبال الأوراس ويقرر اعتناق بعض بطونها لليهودية [٥].

ثانيًا : المغرب الأوسط :

استقر اليهود أيضًا بالمغرب الأوسط ، وغلب تواجدهم فى المراكز التجارية الكبيرة ، وعلى طرق التجارة بعامة ، فمدينة تنس التى تقع على البحر المتوسط وشيدها جماعة من البحريين من أهل الأندلس سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥م [٦]؛ لتكون مرفأ لتجارة الأندلس مع بلاد المغرب ، غدت وجهة الأندلسيين ومقصدهم بتجاراتهم ، ينطلقون منها إلى غيرها من مدن المغرب أو بلاد السودان أو المشرق [٧]. ونظراً لما تتمتع به المدينة من موقع جغرافى وما فيها من موارد اقتصادية وتجارية استقر بها اليهود ودفعوا الجوالى [٨]. أما قلعة بنى حماد فهى مدينة

---

(1) Slousch, Travels in North Afica, p. 271 .

(2) Stillman, The Eleventh Century Marchant, p. 23 .

(٣) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وبرفنسال ، ليدن ١٩٤٨م ، ١ ، ص١٤١.

(4) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916-17, p. 484 .

(٥) العبر ، ٦ ، ص ١٠٧ .

(٦) البكرى ، المغرب ، ص ٦٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ، ص ٤٨ .

(٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٨ .

(٨) نفس المصدر والصفحة .

مُحْدثة بناها حماد بن بلكين سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م ، واتخذها عاصمة لدولة بنى حماد [١]، ومع أن هذه المدينة لم تزدهر طويلاً إذ استمر وجودها ستة عقود وبضع سنين (٣٩٨ - ٤٦٠هـ / ١٠٠٧ - ١٠٦٧م) [٢]، إلا أنها من المدن التى استوطنها اليهود ، لأنها كانت (مقصد التجار ، وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب)[٣]، هذا علاوة على أن اليهود بعامة يرغبون فى الإقامة بجوار السلطة، وفيها ولد أحد العلماء اليهود الذى ذاع صيته فى شمالى إفريقيا والأندلس ويدعى إسحق الفاسى Issac Alfasi[٤]، كما ينسب إليها أحد رجال الدين اليهود ويدعى إبراهام القلعى Abraham Al-Qali[٥].

تأتى بعد ذلك مدينة وارجلان الواقعة فى الصحراء الكبرى جنوبى المغرب الأوسط ، وعلى أهم أحد خطوط التجارة بين الشمال الإفريقى وبلاد السودان[٦] ، وقيل إنها مدخل عبيد السودان إلى المغرب الأوسط وإفريقية [٧]، حتى إن أعداد العبيد السود زاد فى وراجلان وقسطيلية [٨]؛ " وأهلها مياسير أغنياء "[٩] حتى اعتبرها البعض رأس طريق القوافل القادمة من إفريقية والمغرب الأوسط إلى بلاد السودان [١٠]. يؤكد ذلك أنه كان يخرج منها

---

(١) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٥٥ .

(2) Latrie, Relation of Commerce de L'Afrique Septentarinate au Maghreb avec Les Nations Chretiennes au Moyen Age, Paris 1886, P.32 .

خرب الهلاليون القلعة سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧م ، انظر : عبد الحليم عويس ، دولة بنى حماد ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٩٠ .

(٣) البكرى ، المغرب ، ص ٤٩ .

(٤) ابراهام شتال ، تاريخ يهود المغرب (بالعبرية) القدس ١٩٧٤م ، ص ٥٥ ؛ سليم شعشوع ، صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس ، ١٩٩٠، ص ٢٣٦ ؛

Abbou, Muslemans Andalous et Judeo - Espangols, CAsablanca 1953, p. 293 .

(5)Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, p. 344 .

(٦) البكرى ، المغرب ، ص ٨٢ ؛ ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٦ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٢٤، ٢٢٥ ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، المغرب العربى ، ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٧) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٦ .

(٨) سعد زغلول عبد الحميد ، المغرب العربى ، ٢ ، ص ٥٦ .

(٩) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٩٦ .

(١٠) سنوسى يوسف ، دور زناتة فى المغرب الإسلامى من خروج الفاطميين حتى قيام المرابطين ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، عن شمس ١٩٩٥م ، ص ٣٤٦ .

اثنى عشر ألف رحلة إلى بلاد السودان كل عام[١] ، ومن ثم كانت منطقة جذب لليهود ؛ فاستوطنوها وعملوا فيها بالتجارة ولعبوا فيها دوراً سياسيًا ، إذ تضامنوا مع أهلها من الخوارج الإباضية ضد عبيد الله الشيعي [٢]. استوطن اليهود أيضًا مدينة أشير ، وهى مدينة محدثة تقع مقابل مدينة بجاية الواقعة على الساحل ، شرع زيرى بن مناد الصنهاجي فى بنائها سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥م[٣]، وأعانه الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله بالمال ومواد البناء[٤] ، وعندما آل الأمر لبلكين يوسف بن زيرى ، نقل إليها عدداً من السكان المتمردين فى تلمسان أعوام ٣٦١ ، ٣٦٢ هـ / ٩٧١ ، ٩٧٢م [٥]، حيث ضمت قوافل القادمين

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ٥٢ ؛ وإن كانت هذه مبالغة من ابن خلدون ، بيد أنها تدل على كثرة القوافل التجارية من وارجلان إلى بلاد السودان .

(٢) تضامن اليهود مع الخوارج الإباضية فى وراجلات وهربوا معهم وظلوا محاصرين فوق هضبة عالية حتى أشار أحد اليهود بإحدى الحيل التى خلصتهم من الحصار ، انظر : أبو زكريا ، سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربى ، الجزائر ١٩٧٩م ، ص ١١٣ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ، ص ٢٠٢ .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣ ، ص ٢٦٢ .

(٥) هاجم بلكين بن زيرى مدينة تلمسان ، حيث تجمع قبيلة مغراوة الزناتية سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م ، انتقامًا لمقتل أبيه زيرى بن مناد فشرد أهلها ، (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٢٧ ، ٧٧ ؛ مجهورل ، نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤م ، ص ٨ ؛

Gautier, Le Passe de L'Afrique du Nord Paris, 1937, 0. 402 .

وبعد أن رحل المعز إلى مصر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م (مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ١٣ ؛ ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ٢ ، ص ٢٩٣) قامت دولة بنى زيرى الصنهاجين فى الشمال الإفريقى ، فثار أهل تلمسان سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣م (ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٥٦ ؛ العبادى ، فى التاريخ العباسى الفاطمى ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ٣١٦) حاصر بلكين مدينة تلمسان حتى استسلم أهلها (بيبرس الدويدار ، زبدة الفكرة ، ٦ ، ورقة رقم ١٢٣ ؛ ابن أبى دينار ، المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م ، ص ٩٦ ؛ Julien, History of North Africa, p. 67) فنقل منهم أعداد كبيرة إلى مدينة أشير (النويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٨٣م ، ٢٤ ، ص ١٧١ ؛ Gautirer, Op. Cit, p. 402) .

(6) Mann, (J.Q.R.), 7, 1916-17, p. 484; Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1,p. 105 .

أعداداً من السكان اليهود ، وزادت أعدادهم فى المدينة بقدوم إخوانهم القادمين من فاس عام ٣٧٧هـ / ٩٨٧م (١)، ويشير أحد الباحثين المغاربة إلى أن تسمية المدينة جاءت متشابهة مع اسم قبيلة يهودية قديمة ورد ذكرها فى التوراة باسم (أشير) (٢)، والغالب على الظن أنه ليس هناك ثمة علاقة بين ذلك وتسمية المدينة .

أقام اليهود فى مدينة تاهرت المحدثة التى تعد من أهم مدن المغرب الأوسط بعد أن أسسها بنو رستم على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة (٣)، فازدهرت مدينة تاهرت وأمست محطة تجارية هامة بعد قيام علاقات تجارية بينها وبين بلاد السودان (٤)، ولكن اضمحلت أهميتها السياسية والثقافية بعد أن قضى الفاطميون على دولة بنى رستم وخربوا المدينة سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨م (٥)، بيد أن المدينة لم تفقد قيمتها الاقتصادية ، ومن ثم ظل بها اليهود الذين نزحوا إليها منذ نشأتها (٦)، وتزايد وجودهم بعد قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب ، يبين ذلك ما تعكسه مراسلات مدارس العراق إلى المدينة، وكذلك مراسلات سلمون بن يهودا Soloman

---

(١) قدم الحسن بن قنون الإدريسى بحثًا عن سلطانه الضائع (مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ١٩) والتفت حوله بعض القبائل ومنهم بنى يفرن (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ٢٤١) فتصدى له زيرى بن عطيه وألحق بهم هزيمة قاسية فى ذى الحجة ٣٧٤ هـ /أبريل ١٩٨٥م) (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ١ ، ص ٢٤١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٥٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ، ص ٦٤٤) ثم واصل زيرى بن عطيه حربه حتى استولى على عدوة الأندلسيين من واليها الصنهاجى (ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣م، ص ١٠١) ثم استولى على عدوة القرويين من عاملها الصنهاجى أيضًا سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م (السلاوى ، الاستقصا ، ١ ، ص ١٩٠ ، ١٩١) ومن ثم اضطر بعض اليهود الذين سكنوا منطقة فاس الخروج مطرودين بسبب تبعيتهم لبنى زيرى ، وخشية أموى الأندلس وحليفتهم زناته من وجود هؤلاء وأتباع الزيريين ؛ Mann, (J.Q.R.) 11, 1920-21, p. 438 .

(2) Laghraib, Role Politique des Juifs au Maghreb, p. 79 .

(٣) البكرى ، المغرب ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، إبراهيم بحاز ، الجزائر ١٩٨٦م ، ص٣٢ ، بلغ ازدهار المدينة الاقتصادى بعد قيامها أن مؤسسها عبد الرحمن بن رستم رفض معونة أرسلها إليه إباضية المشرق ، انظر : الدرجينى ، طبقات الإباضية ، ١ ، ورقة ٢١ .

(٥) البكرى ، المغرب ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(6) Mann, (J.Q.R.), 11, 1920-21, p. 443 .

مع أحـد علمـاء تاهرت ويدعى صمـويل بن أبراهام Samuel B. Abraham B. Judah [١]. عمل يهود تاهرت فى التجارة [٢]، وانتقلت عائلات منهم إلى القاهرة وعملوا فى تجارة الكتان ، واتخذوا من مدينة أبو صير - منطقة إنتاجه - مقراً لهم [٣]، كما عاش فى تاهرت خلال القرن الـ ١٤ هـ / الـ ١٠م عالم اللغويات اليهودى يهودا بن قريش [٤].

أضحت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناته[٥] - مقصداً للتجار[٦] ، وقفل بلاد المغرب الأقصى ، لابد للداخل أو الخارج الاجتياز بها [٧]، ذلك لموقعها الجغرافى المتميز حيث تقع على مضيق تازا [٨]. سكن هذه المدينة مجتمع يهودى شمل ممثلين للعلماء اليهود ، وأصبحوا حلقة وصل مع يهود المغرب الأقصى[٩] ، هاجر منها أعداد من اليهود إلى مدينة أشير كما سبقت الإشارة ، وتظهر أهمية تلمسان التجارية وثراء اليهود فيها مع نهاية العصور الوسطى من خلال زيارة الرحالة ليون الإفريقى لتلك المدينة ، حيث وجد بها قرابة خمسمائة منزل يهودى كلهم أغنياء [١٠]. كما انجذب اليهود لسكنى مدينة نكور لكونها ميناءً بحريًا يقابل مدينة بجانة فى الأندلس [١١]، وتواجد بها عدد كبير من اليهود حتى أنه كان بالمدينة باب يسمى باب اليهود[١٢] ، ومن المرجح أن يكون ذلك الباب هو المدخل إلى تجمعاتهم أو إلى سوقهم فى المدينة ، ومن ثم تم تبادل تجارى بين يهود الأندلس وبلاد المغرب من خلال مدينة نكور .

---

(1) Mann, (J.Q.R.), 9, 1918-19, p. 163 .

(2) Goitein, Mediterranean Society, 1, p. 279 .

(3) Stillman, (Jesho) 16, 1973, p. 20 .

(4) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, p. 308 .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٢٢ .

(٦) البكرى ، المغرب ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٧) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٥٠ .

(٨) الإدريسى ، نفس المصدر والصفحة ؛ الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٣٣ .

(9) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916-17, p. 484 .

(١٠) وصف إفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن حميده ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ١٩٧٩م ، ص ٣٩٠ .

(١١) يشير المقدسى إلى أن مدينة بجانة الأندلسية كانت تعج باليهود ، راجع ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٠ .

(١٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ١٧٦ .

ثالثًا : المغرب الأقصى :

فاق المغرب الأقصى نظيريه فى جذب اليهود[١] ؛ إذ تشير المصادر العربية إلى تمركز أعداد كبيرة من اليهود فيه ، وخاصة من البربر أهل البلاد [٢]، إذ يذكر ابن خلدون أن عدداً من القبائل دان باليهودية فى أقاليم المغرب الأقصى هى " فندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازاز " ويضيف أن " إدريس الأول محا ما كان فى نواحيه من بقايا الأديان والملل " [٣]، والأرجح أن إدريس لم يمح أثرهم لأن الأحداث التاريخية تشير إلى أعداد كبيرة منهم زمن المرابطين ، وفرض يوسف بن تاشفين عليهم الجزية[٤] ، ومرد تزايد أعداد اليهورد فى المغرب الأقصى إلى كون المنطقة محطة للدخول والخروج من وإلى المغرب وأوربا ، فحينما حدث اضطهاد لليهود فى أوربا وشبه الجزيرة الأيبرية تدفقوا إلى المغرب الأقصى منتظرين سنوح فرصة العودة ، ومن ثم استقروا فى بلاد المغرب الأقصى بجانب إخوانهم فى الدين من البربر سكان البلاد الأصليين ، ومن المرجح أن عمليات المد والجزر أدت فى كل مرة إلى زيادة عدد المتهودين من البربر .

باتت سبتة معبراً إلى بلاد المغرب الأقصى ، فهى تقابل جزيرة الأندلس ، وأقرب نقطة التقاء معها ، ومنها جاز طارق بن زياد بالجيش العربى إلى الأندلس بمساعدة صاحبها إليان[٥]، وقد استقر اليهود فى سبتة قبل الفتح الأسلامى للبلاد فراراً من الاضطهاد القوطى فى شبه الجزيرة الأيبرية [٦]، ومن الملاحظ أن المصادر العربية لم تشير إلى استيطان يهودى فى المدينة ، كما أن وثائق الجنيزا لم تذكر سبتة ضمن مدن الاستيطان اليهودى إلا فى القرن

---

(١) جذب المغرب الأقصى السكان اليهود لخصوبة أرضه وكثرة أنهاره ، ولأنه أخر اليابس غربًا آنذاك ، كما أن قربه من أسبانيا أدى إلى نزوح يهودها إليه هربًا من الاضطهادات .

(٢) عن إشكالية تهويد البربر ، انظر الفصل الثانى .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٠٧ .

(٤) مجهول ، الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل ذكار ، عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩م ، ص ٢٥ .

(٥) البكرى ، المغرب ، ص ١٠٣ .

(6) Goulven, Notes Sur Les Origines Anciennes des Israelites du Maroc, (Hesperis), I, 1921, p. 328 .

٥ هـ / ١١م(١)، ويبدو أن اليهود المهاجرين انتهزوا الفرصة ونزحوا إلى بلادهم فى ركاب الفاتحين مما ساعد على تفريغ المدينة من السكان اليهود لفترة من الزمن جاوزت الثلاث قرون.

تمدنًا المصادر العربية بكثير من المعلومات عن يهود استقروا فى منطقة فاس قبل بناء المدينة على يد إدريس الثانى (١٩٢ - ١٩٣هـ / ٨٠٧ - ٨٠٨م) من قبائل زناتة وزواغة وبنى يزغت(٢). قسمت مدينة فاس إلى عدوتين عرفت إحداهما بعدوة الأندلسيين والأخرى بعدوة القرويين ، وهاجر إليها كثير من يهود الضاحية الجنوبية بقرطبة أيام إدريس الثانى ، بعد إبعادهم منها نتيجة ثورة ٢٠٢ هـ / ٨١٨م (٣). ازداد عدد اليهود فى فاس حيث كانت مقصداً لهم من كل الأنحاء ، والبكرى يصفها بأنها " أكثر بلاد المغرب يهوداً ، ويختلفون منها إلى جميع الآفاق " ومن أمثال أهل المغرب للتدليل على كثرة اليهود فى المدينة " فاس بلد بلا ناس "(٤) أى ليس فيها غير اليهود . كما كثر عددهم زمن المرابطين (٥)، وامتلكوا الثروة والجاه حتى عصر الموحدين(٦) . حظيت فاس باهتمام بالغ من يهود الشرق وخاصة من العراق(٧)، كما كانت قبلة اليهود فى المغرب الأقصى والأندلس ، وخرج من أبنائها علماء يهود إلى الأندلس والمشرق(٨) .

---

(1) Goitein, Evidence Sources, Geniza Study, (Jesho) 6, 1963, p. 355 .

(٢) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٤ ، ص ١٣ ؛ السلاوى ، الاستقصا ، ١ ، ص ١٥٠ ؛ تقع فاس على نقطة تقاطع بين محورين كبيرين للاتصالات يحددها الخط الساحلى للبلاد ، أما المحور الأول فيمتد من الشمال إلى الجنوب بين البحر المتوسط وبلاد السودان ، أما المحور الثانى فيمتد من الغرب إلى الشرق بين ساحل المحيط ووسط المغرب ، دائرة المعارف الإسلامية " مادة فاس " ص ، ٧٦٨٥ .

(3) Ashtor, The Jews of Moslem Spain, Philadelphia, 1973, 1, p. 62 ; Abbou, Muslimans Andalous, p. 281 .

(٤) المغرب ، ص ١١٥ .

(٥) مجهول ، الحلل الموشية ، ص ٢٥ .

(٦) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ .

(7) Cowley, (J.Q.R.) 18, 1906, pp. 403 - 405 .

(٨) عين الرابى سلمون بن يهودا سنة ٤١٦ هـ / ١٠٥٢م رئيسًا لأكاديمية القدس ، واستمر فى منصبه ٢٥ عامًا وهو من أبناء مدينة فاس (أبراهام شتال ، يهود المغرب ، ص٥٤) وعن فترة عمله ونشاطه فى القدس ، انظر : Mann, Jews in Egypt and in Palestine, 1, pp. 106-152 . وعن العلماء المهاجرين من فاس وبلاد المغرب ، راجع الفصل الخامس .

استوطن اليهود الأقاليم والبوادى مثلما استقروا فى المدن والحضر ، وحسب رواية ابن خلدون فإنهم قطنوا إقليم تامسنا وتادلا ، وأسلموا على يد إدريس [١]، ولكنه لم يمح أثرهم كما سبقت الإشارة ، بل ظل كثير منهم على اليهودية ، بدليل أن منطقة تادلا حوت شتات اليهود من قبيلة جراوة [٢]، بعد هزيمتهم على يد حسان بن النعمان ، حيث وجدوا فى ذلك الإقليم بيئة مشابهة لجبال الأوراس التى رحلوا عنها ، وظل اليهود يسكنون الإقليم حتى عصر الموحدين [٣]. ورصدهم ليون الإفريقى فى وقت متأخر فى عاصمة الإقليم تفزة وأشار إلى ثرائهم [٤]. كما استوطن اليهود جبال فازاز[٥]، بذلك يتضح أن اليهود لم يسكنوا المدن وحدها وإنما ضربوا فى الهضاب والجبال والأقاليم المختلفة فى بلاد المغرب .

انتقل اليهود لسكنى مدينة سجلماسة عندما بنيت سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م على حدود الصحراء فى بلاد السودان [٦]، وجذب اليهود إليها وقوعها على خط التجارة مع بلاد السودان حتى بات " التبر بها أمكن منه بغيرها لكونها بابًا لمعدنه " [٧]. وقد تعرض اليهود فى المدينة لبعض المضايقات عندما أفشوا سر المهدى الفاطمى [٨]، حيث فرض عليهم العمل فى مهن حقيرة مثل الكنافة والبناء [٩]، إلا أن ذلك لم يكن سببًا لجلائهم عن المدينة ، وإنما عاشوا بها ، وكانت لهم علاقات مع يهود القيروان [١٠]، ومع الرئاسة الروحية فى العراق بطبيعة الحال . وفى الجنوب الغربى من سجلماسة تقع منطقة درعة [١١]، التى كانت (قرى

---

(١) العبر ، ٤ ، ص ١٢ .

(٢) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٣٥ .

(٣) ابن سعيد ، الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، ط٢، دار المعارف ، ١٩٦١م ، ص ٩٨ .

(٤) وصف إفريقيا ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٥) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠ .

(٦) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٨ .

(٧) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ .

(٨) انظر الفصل الثانى .

(٩) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ .

(10) Mann, (J.Q.R.) 11, 1920-21, pp. 444 - 445 .

(١١) ياقوت ،. معجم البلدان ، ٢ ، ص ٤٥١ .

متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة)[١] بمحاذاة نهر درعة . وتشير الروايات إلى الاستيطان اليهودى فى الإقليم قبل قدوم المسلمين[٢] ، واستمر وجودهم فيه خلال القرن ٧ هـ / ١٣م ، حيث وصف أحد الجغرافيين المنطقة بأن (أكثر تجارها يهود) [٣]، و،تواصلت إقامة اليهود بها حتى نهاية العصور الوسطى [٤]، ويأتى استقرار اليهود فى الإقليم بسبب حرصهم على التواجد بالقرب من مناطق إنتاج الذهب ، فضلاً عن اتصال الإقليم ببلاد السودان وما فيها من تجارات [٥].

استوطن اليهود مدن جنوب المغرب الأقصى ، حيث استقروا فى مدينة أغمات وهى عبارة عن مدينتين ، إحداهما أغمات إيلان ، والأخرى أغمات وريكة [٦]، وتبعد إغمات إيلان عن أغمات وريكة بستة أميال . يذكر الإدريسى أن بهذه المدينة " يسكن يهود تلك البلاد "[٧] وينفرد بتلك الرواية ولم يسبقه إليها البكرى ، مما يفصح أن استيطان اليهود فى أغمات إيلان نجم عن قرار على بن يوسف بن تاشفين بمنع اليهود من الإقامة فى مدينة مراكش [٨]، أقرب المدن إلى أغمات إيلان [٩]، ولعل أعدادهم بالمدينة كان قليلاً قبل ذلك وتزايد بعد قرار على بن يوسف . أشار الإدريسى أيضًا إلى وجود يهود عملوا بالتجارة فى منطقة قمنورية [١٠]، وهى حاليًا فى دولة موريتانيا [١١]، ولحرص اليهود على العمل بالتجارة والتواجد فى مناطق

---

(١) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٢٧ .

(٢) المكى ، طليعة الدرعة فى تاريخ وادى درعة ، ورقة رقم ٤ ، ٥ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ، ص ٤٥١ .

(٤) ليون الإفريقى ، وصف إفريقيا ، ص ٤٩١ .

(٥) انظر اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٥٩ ؛ ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٨٨ .

(٦) البكرى ، المغرب ، ص ١٥٣ .

(٧) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٣٥ .

(٨) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٣٥ .

(٩) ياقوت . معجم البلدان ، ١ ، ص ٢٢٥ .

(١٠) نزهة المشتاق ، ص ١٠٥ .

(11) Hirschberg, The Problem of The Judaizd, The Journal of African History. 4, 1963, p. 321.

مصادرها وعلى أهم خطوطها كانت منطقة جذب لهم ، نظراً لوقوعها على طريق التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، وأن وجود اليهود فيها ربما يرجع إلى فترة ما قبل المرابطين بعكس ما أقره هيروشبرج Hirschberg بأن يهود منطقة قمنورية جاءوا مع المرابطين [١]. ويظهر ذلك جليًا عندما اجتمعت قبائل لمتونة على زعامة محمد بن تيفاوت اللمتونى سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤م وغزا قبائل بلاد السودان الغربى الذين يسكنون على مقربة من مدينة تاتكلاتين وكانوا على دين اليهودية [٢].

وخلاصة ما تقدم يتضح لنا أن مصطلح الجوالى الذي يعنى ضريبة الرأس كان يخص اليهود دون غيرهم من أهل الذمة ، وأن مصطلح أهل الذمة عند مؤرخى المغرب المسلمين عنى اليهود فى أغلب الأحوال . كما أن الحكومات الإسلامية المختلفة أتاحت فرص الاستقرار لليهود فى المدن الجديدة التى قامت مثل القيروان وغيرها ، وهو ما سنفصله فى الفصل القادم . كما تمتع اليهود بالإقامة فى هذه المدن فى ظل التسامح الإسلامى . وقد سمحت السلطات الإسلامية على اختلاف مذاهبها الدينية بحرية الاتصال والتنقل لليهود فى بلاد المغرب رغم أنه لم يكن مسموحًا به أحيانًا لبعض فرق المسلمين . ويظهر جليًا العامل الاقتصادى الذى قصد اختيار المدن التى فضلتها الجاليات اليهودية ، ولم تقتصر سكناهم على المدن فقط بل امتد أيضًا إلى المناطق الجبلية والهضاب والبوادى .

---

(1) Ibid, p. 321 .

(٢) ابن أبى زرع ، الأنيس الطرب ، ص ١٢١ ، ومنطقة تاتكلاتين تقع بالقرب من المحيط جنوب خط عرض ٢٥ مباشرتا ، وهى دولة موريتانيا فى العصور الوسطى ، انظر حسين مؤنس ، أطلس التاريخ الإسلامى ، خريطة رقم ٨٣ .

الفصل الثانى
اليهود واليهودية فى بلاد المغرب

الوجود اليهودى فى بلاد المغرب - إشكالية التهويد - المتهودون من البربر « نفوسة ، جراوة ، مديونة ، قبائل المغرب الأقصى ، برغواطة » - المجتمعات اليهودية فى الحواضر الإسلامية « القيروان ، المهدية ، تاهرت ، فاس ، سجلماسة » .

الوجود اليهودى فى بلاد المغرب :

تختلط الأسطورة بالتاريخ عندما نحاول الوقوف على بداية الهجرة اليهودية إلى بلاد المغرب ، ويظل تحديد تاريخ معين لدخول اليهود واليهودية بلاد المغرب مجالاً خصبًا لقصص الكتاب اليهود [1]، التى تعتمد على الافتراضات ، والأرجح هو قدومهم فى أعقاب هدم الهيكل الأول ٥٨٦ ق.م على قوارب فينيقية[2] إلى قرطاج ، تلك المستعمرة التى أسسها

---

(١) يروى الكاتب الأسبانى أبراهام لاريدو فى كتابه " اليهود البربر فى المغرب " باللغة الأسبانية أحد هذه الأساطير مفادها : أن الفاتح الأشورى (سنحريب) تقدم بعرض لليهود للتخلى عن ملكهم مقابل استخلافهم فى أرض تضاهى أرضهم " حت أتى وأخذكم إلى أرض مثل أرضكم ، أرض حنطة وخمر ، أرض خبز وكروم ، أرض زيت وعسل ... " سفر الملوك (٢) - ١٨ : ٣٢ ، ثم ينقل لاريدو ما ورد فى التلمود البابلى تعليقًا على وعد (سنحريب) ، ويلخص تصور أقطاب الربيين لعملية الجلاء وجغرافيته " وإلى أين تم إجلاؤهم ؟ يجيب مارزوطر قائلاً : جبال زالوغ ، وعلى العكس فإن بنى إسرائيل سيذكرون أرض إسرائيل بسوء فهم لما نزلوا سوس قالوا شاوايا أى مساوٍ لأرضنا لكن لما توغلوا فى سوس الثانى صاحوا منبهرين : إنه الواحد يقوم مقام الاثنين ، وهو ما يفيد أن تلك الأرض تفضل أرضهم مرتين . ويعلق لاريدو بأن جبال زالوغ هى جبل زلاغ فى محيط فاس ، وكلمة شاوايا الآرامية تعنى مساوٍ أو مضارع ، وكذلك وجد العرب الفاتحون سكان المغرب يطلقون على الجزء الشمالى سوس أدنى وعلى الجنوبى سوس أقصى وأن الجزء الشمالى لايزال يسمى الشاوية ، نقلاً عن محمد المدلاوى ، صورة المغرب فى بعض المكتوبات العبرانية واليهودية ، شئون مغربية ، العدد ١٥ سبتمبر ١٩٩٧م ، ص ١٨ .

(٢) عبد الهادى التازى ، التاريخ الدبلوماسى للمغرب ، الرباط ١٩٨٧م ،٣ ص ١١٣ ؛ جمال حمدان ، اليهود أنثروبولوجيا ، كتاب الهلال ، العدد ٥٤١ لسنة ١٩٩٦م ، ص ٦٥ ؛ محمد المدلاوى ، المرجع السابق، ص ١٧ ؛ حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الثالث ، تونس ١٩٧٢م ، ص ٢٤٥ .

الفنيقيون فى الشمال الإفريقى سنة ٨١٤ ق.م [١]. وتتفق معظم الدراسات على أن الهجرات اليهودية المكثفة إلى الشمال الإفريقى بدأت أوائل القرن الثالث ق.م. فترة حكم بطليموس الأول ، وخضوع قورنائية (برقة) الواقعة على الشاطىء الليبى للسيطرة البطلمية[٢]، حيث نقل بطليموس الأول أعداداً من اليهود إلى مدينة قورينى عاصمة الإقليم[٣]. يؤيد ذلك عدد من الأدلة المادية التى تتضمن نقوشًا ولقا أثرية ترجع إلى الفترة الواقعة بين القرنين الثالث ق.م والأول الميلادى [٤]، إذ عثرت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو على عملة من البرونز (فئة الربع شاقل) يعود تاريخ ضربها إلى سنة ١٣٩ -١٣٥ق . م فى مدينة طلمثية[٥]، مما يؤكد تواجداً يهوديًا فى هذا الميناء الهام . وفى مدينة برينق (Berenice)

---

(١) أحمد سوسة ، مفصل العرب واليهود فى التاريخ ، ط خامسة ، بغداد ١٩٨١م ، ص ١٢٦ ، وقرطاجنة فى الأصل سميت قرطاماجنا ، وتعنى باللغة الفينيقية المدينة الجديدة ، وهى تقع فى بطن خليج تونس ، انظر ج . كونتنو ، الحضارة الفينقية ، ترجمة عبد الهادى شعيرة ، القاهرة ١٩٤٨م ، ص ٩٨ .

(2) Smallwood, The Jews Under Roman Rule, Leiden, 1976, p. 120; Slousch, Travels in North Africa, p. 212; Hirschberg Ahistory of The Jews in North Africa, 1,p. 24; Abbou, Muslimans andolous, p. 277; Grazel, A History of The Jews, p. 250; Tcherikover, Hellenistic Civilization and the Jews, Philadelphia, 1959, p. 290.

الطيب محمد حمادى ، اليهود ودورهم فى دعن الاستيطان البطلمى والرومانى فى إقليم برقة ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ١٩٩٤م ، ص٦٤ ، استولى بطليموس الأول على فلسطين سنة ٣٠١ ق.م، وظلت تحت الحكم البطلمى حتى سنة ٢٠٠ق.م، وقد هجر بطليموس الأول عدداً من اليهود إلى الإسكندرية ، وظلوا يواصلون الهجرة إلى مصر طوال القرن الثالث ق.م ونزلوا بوجه عام الإسكندرية حتى أصبح يهودها فى القرن الأول للميلاد يمثلون أكبر جالية يهودية خارج فلسطين ، انظر وليم وود ثورب تارن ، الحضارة الهلنيستية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، زكى على ، الأنجلو المصرية ١٩٦٦م ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٣١ .

(٣) تعتبر قورينى أقدم مستعمرة إغريقية أنشأها الإغريق فى ليبيا حوالى سنة ٦٣١ ق.م- (انظر ، إبراهيم نصحى ، إنشاء قورينى وشقيقاتها ، ليبيا ١٩٧٩م ، ص ٧٢ - ٧٣ ، ٧٥) ، قيل أن ربع سكان قورينى على عهد الإسكندر الأكبر ٣٣٢ ق.م كانوا يهوداً ولهم مجتمع مشهور هناك ، انظر ، ميخائيل إسكندر ، تاريخ كنيسة بنتابوليس (المدن الخمس الغربية) ، مطرانية البحيرة ١٩٨٧م ، ص ٤٥ .

(٤) الطيب محمد حمادى ، اليهود ودورهم فى دعم الاستيطان البطلمى والرومانى فى إقليم برقة ، ص ٧٦ .

(٥) ميخائيل إسكندر ، تاريخ كنيسة بنتابوليس ، ص ٨٠ .

بنغازى . سمح الإغريق لليهود بتشكميل مجلس يدير شئونهم الداخلية[١]، وعثر فى المدينة على نقوش ترجع إلى سنة ٥٦ / ٥٥ ق.م. ، تفيد قيام مجتمع يهودى فى المدينة ، وتلقى الضوء على تنظيمات الجماعة اليهودية داخلها . ويبدو أن أعدادهم كانت كبيرة ، لدرجة أنها شكلت مجلسًا من عشر أراخنة (Archons) مفردها أرخون أى رئيس باليونانية [٢]. تشير الكشوف الأثرية التى ترجع إلى عام ١٣ ق.م. فى نفس المدينة إلى وجود مجلس من تسعة رؤساء (أراخنة) تخضع له الجماعة اليهودية[٣]. كما عثروا أيضًا على مجموعة من النقوش وشواهد القبور فى الحفريات التى أجريت فى مقابر توكرة وقورينى وبرقة وطلمثية ، ترجع لأفراد من جاليات يهودية فى تلك المدن [٤]، تعود إحداها إلى أشخاص ولدوا فى أواخر القرن الثانى ق.م، واستخدموا الشهور القبطية فى كتابة تاريخ الشاهد . وترجع أهمية تلك المنطقة - منطقة برقة - لكونها موطنًا لعدد من المهاجرين ولازدهارها التجارى ، فضلاً عن موقعها الذى ساعد على إقامة الشعائر الدينية بحرية [٥]. وفى بلاد المغرب الأقصى تم العثور على نقوش تحمل رموزاً يهودية مثل الشمعدان اليهودى وخاتم سليمان ، تعود للفترة الإغريقية الرومانية [٦].

انتزع الرومان إقليم برقة من البطالمة سنة ٩٦ ق.م[٧] ، وأضحى الإقليم منطقة جذب لليهود ؛ لسماح الرمان لهم بحرية التنقل فى حوض البحر المتوسط وفقًا للسلام الرومانى[٨] .

---

(١) تارن ، الحضارة الهلنيستية ، ص ٢٣٣ .

(2) Lloyd, Reece, Reynolds and sear, Excavation At Sidi Khrebish Benghazi (Berenice), vol.1, In Supplements to Libya Atiqueties, V, Tripoli 1977, pp. 243 - 245 .

(٣)تارن ، الحضارة الهلنيستية ، ص ٢٣٤ .

(٤) الطيب محمد حمادى ، اليهود ودورهم فى دعم الاستيطان البطلمى والرومانى فى إقليم برقة ، ص٦٧ ، ١٤٢ .

(٥) ميخائيل إسكندر ، تاريخ كنيسة بنتابوليس ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٦) محمد المدلاوى ، صورة المغرب فى بعض المكتوبات العبرانية واليهودية ، ص ١٧ .

(7) Amallwood, The Jews Under Roman Rule, p. 120 .

(8) Arahou, Juifs et Communtes Judaiques Face Aux POuvoirs Muslmans au Maghrab Al-Aksa (XII-XVII Siecle). Doctorat d'Histoire et Civilisation, Un. De Toulous, 1993, p. 82.

استمر تيار الهجرة من الشرق خلال العصر الرومانى[١] ؛ نتيجة لما حل بالمنطقة من أحداث ألمت باليهود ، فقد لجأت مجموعات منهم إلى بلاد المغرب بعد تحطيم الهيكل سنة ٧٠م على يد الرومان ، واستقروا فى إقليم برقة [٢]، وفى قرطاج[٣] . تشير الروايات إلى توغل اليهود غربًا حتى المغرب الأقصى وخاصة فى منطقة درعة[٤] التى استوطنها اليهود منذ القدم[٥] . نجم عن الهجرة المستمرة من مصر إلى إقليم برقة المتاخم لها أن زادت أعداد اليهود فى مدن الإقليم المختلفة ، وانتظموا فى مجتمع سمى (Politeuma) وشكلوا جانبًا مهمًا من سكان الإقليم[٦] ، وسمح الرومان لهم بتنظيم مجتمعهم فى إطار حكم ذاتى . إفضت هذه الامتيازات إلى إحساس اليهود بتعاظم عددهم وتميزهم ؛ مما جعلهم فى تنافس وشجار دائم مع سكان الإقليم من الإغريق . انتهى ذلك إلى انتفاضتهم سنة ١١٥م [٧]؛ التى بدأت بتحرشات بين اليهود من جانب والإغريق والرومان من جانب آخر ، انضم إلى اليهود المقيمين إخوانهم المهاجرين الجدد الذين فروا من القدس سنة ٧٠م ، واهتبلوا الفرصة للنيل من الرومان الذين أبعدوهم عن ديارهم قسراً . تزعم الانتفاضة يهودى يدعى جوناثان Jonathan [٨]، وزاد إوارها ، فامتدت من برقة إلى مصر وقبرص . لم يتمكن الإمبراطور تراجان من قمع الانتفاضة؛

---

(1) Goulven, (Hesperis), Vol. 1, 1921, p. 326 .

(2) Flavius Josephus, The Works of Flavius Josephus, Translated by William Whiston, London, 1904, p. 678 .

(3) Goulven, (Hesperis), Vol. 1, 1921, p. 326 .

(٤) المكى ، طليعة الدرعة ، ورقة رقم ٥ .

(٥) تشير إحدى الدراسات الحديثة إلى أن موجات من الهجرة المنظمة لليهود قدمت من الشرق إلى المغرب الأقصى خلال القرن ١١ ق.م، واستقروا فى منطقة درعة فى وادى النون ، وترى الدراسة أن اسم هذين المكانين من أصل عبرى (Laghraib, Role Politique de Juifs, pp. 24-25 Note(1)) .

ويرى آخر أن خط الهجرة إلى بلاد المغرب بدأ من المناطق الجنوبية للجزيرة العربية إلى الحبشة وبلدان البحر الأحمر ثم إلى الواحات الواقعة على خط القصور من مصر حتى المغرب على طول الأطراف الشمالية للصحراء (موريس لومبار ، الإسلام فى مجده الأول ؛ ص ٣٠٦) ، وهذه الاجتهادات لا ترقى إلى مصاف الحقيقة التاريخية .

(6)Smallwood, The Jews Under Roman Rule, P. 120; Tcherikover, Hellenistic Civilization and The Jews, pp. 290, 331 .

(7) Smallwood, The Jews Under Roman Rule, p. 371 .

(8) Flavius Josephus, the Works of Flavius Josephus, p. 678 .

فاستمرت فى عهد سلفه هادريان ، الذى نجح فى إخمادها سنة ١١٧م (١)، وأنزل باليهود عقوبات قاسية ، مما أجبرهم على الهجرة إلى الغرب .

استمر تدفق تيار الهجرة من الشرق إلى الغرب وخاصة عند بداية غزو الوندال للشمال الإفريقى سنة ٤٣٠ م (٢)، حيث تمتع اليهود فى عهدهم بسلام نسبى ، ولكن تبدل الحال بعدما انتصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) على الوندال ، واستعاد الشمال الإفريقى سنة ٥٣٣م ؛ إذ أمر اليهود باعتناق النصرانية (٣). أدت اضطهادات جستنيان إلى فرار كثير من اليهود إلى الداخل فى عمق الأقاليم الجنوبية وإلى الغرب فى أقاليم المغرب الأقصى ، واندمجوا مع قبائل البربر الذين سكنوا الصحراء والجبال والأودية ، للتخلص من السيادة الرومانية ، بذلك تخلى المهاجرون اليهود عن سكنى المدن تحت وطأة الاضطهاد الرومانى ، خاصة بعدما وجدوا ترحيبًا من هذه القبائل (٤).

جذبت منطقة المغرب الأقصى بأقاليمها المتنوعة عدداً من اليهود خلال العصور المختلفة من خلال تيار الهجرة القادم من الشرق ، وهبط إليها النازحون من بلاد الأندلس هربًا من اضطهاد القوط خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين : فعندما اعتنق الملك القوطى ريكارد الأول (Reccared 1) المذهب الكاثوليكى سنة ٥٨٩ ؛ عد اليهود من الهراطقة ، ومن ثم شملهم

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الانتفاضة اليهودية فى برقة ١١٥م ومقدماتها ونتائجها ، انظر :
Smallwood, The Jews Under Roman Rule, pp. 389 - 427 .

مصطفى كمال عبد العليم ، اليهود فى مصر عصرى البطالمة والرومان ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ١٧٧ - ١٩٤ .

(2) Goulven, (Hesperis), Vol. 1, 1921, p. 328 .

(3) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, pp. 55 , 56; Grayzel, A History of the Jews, p. 251; Abbou, Musliman Andolous, p. 278; Renzo, Jews in an Arab Land, (Libya, 1935-1970), U.S.A. 1985, p. 2 .

(4)Slousch, Judeo - Hellenes et Judeo - Berbres, P. 164; Idem, L'Ethnographie Juive de L'Afrique de Nord, Extrait du Bullentin de La Societe de Geographie , T.X. Cairo 1921, p. 256; Goulven (Hesperis) vol. 1, 1921, p. 328; Grazel, A History of The Jews, p. 251; Renzo, Op. Cit, p. 1; Laghrab, Role Politique, p. 39 .

الاضطهـــاد[١] . تفاقم اضطهاد اليهود فى عهد خلفاء ريكاد الأول الذين اتفقوا مع الأساقفة ، ووضعوا قوانين صارمة ضد اليهود بلغت ذروتها سنة ٧٠٠ م [٢]؛ عندما صدر مرسوم ينص على أن العبودية مصير من يمارس الشعائر اليهودية ، وأن الأطفال الذين يشك فى أنهم على اليهودية يؤخذون قسراً من عائلاتهم ويتم تربيتهم بمعرفة الأكليروس المسيحى[٣]. أدى هذا المرسوم إلى فرار أعداد كبيرة من اليهود إلى المغرب الأقصى [٤]. وجدت هذه الجماعات فى الفتح الإسلامى للأندلس فرصة للنيل من القوط الذين ساموهم سوء العذاب ، فانضمت أعداد منهم إلى جيوش الفتح عائدين من منفاهم إلى بلادهم التى أكرهوا على مغادرتها . وفى كنف الحكم الإسلامى للأندلس استعاد اليهود حقوقهم ، وأفاد المسلمون من معرفتهم بالبلاد بأن تركوا أعداداً منهم فى المدن لمساعدة الحكام المسلمين [٥].

نخلص من ذلك إلى أن الهجرات اليهودية المتتالية إلى بلاد المغرب خلقت مجتمعات يهودية عاشت فترات ازدهار ، مما أسفر عن زيادة إقبال المهاجرين وإن ظل غالبيتهم فى المناطق الساحلية ، وعندما حاق بهم الاضطهاد خلال القرون الأولى بعد الميلاد نزحت هذه

---

(١) من المحتمل أن تكون اليهودية قد وصلت إلى الأندلس مع رحلات الفنيقيين ، ثم زادت أعداد اليهود بالمهاجرين فى أعقاب هدم الهيكل الأول ، وبالمبعدين على أثر ثورة اليهود فى برقة ١١٥م ، وكونوا جاليات كبيرة تمتعت باحترام كبير فى البلاد ، وصل أن النصارى كانوا يتبركون باليهود فى زراعاتهم ومحاصيلهم ، ومنذ بداية العهد القوطى اضطربت أحوالهم وخاصة عندما اعتنق ملك القوط المسيحية ، انظر:
Goulven, (Hesperis) vol. 1, 1921, p. 331 .

وكذلك انظر : Sachar, A History of The Jews, New York, 1953, p. 68. ، ومن المرجح أن هذا الاضطهاد يرجع إلى النشاط التبشيرى الذى مارسه اليهود فى الأندلس ، وإلى تفشى ظاهرة الزواج المختلط بين اليهود والنصارى ، لذلك أصدرت المجالس الكنسية فى العصور الوسطى قرارات حاسمة لمنع زواج النصارى باليهود ، انظر : جمال حمدان و اليهود ، ص ١٦٢ .

(٢) من هذه القوانين الفرمان رقم ١٧ ، ١٨ لمجلس بلدية طليطلة فى ٩ نوفمبر ٦٩٤م الذى ينص على طرد اليهود من أسبانيا ، وتتهم الفرمانات كل من يقوم بتسهيل اتصال يهود أسبانيا بإخوانهم فى إفريقيا بأنه يقيم علاقة آثمة ، ويعتبر هذا إضرار ليس بالدولة فقط وإنما بالدين المسيحى نفسه ، انظر :
Goulven, Op. Cit, P. 303 .

(3) Ibid., p. 303 .

(4) Slousch, Travels in North Africa, p. 364 .

(٥) المقرى ، نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، بيروت ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٩ .

الجماعات إلى مناطق أخرى فى بلاد المغرب ، وخاصة إلى الأقاليم الداخلية جنوبى البلاد هربًا من السيطرة الرومانية ، فارتقوا الجبال التى تبعد عن هيمنة القوات الرومانية ويصعب وصول الرومان إليها إلا بشق الأنفس ، ومنهم من توغل فى الصحراء متلمسًا طرق القوافل التجارية بين الشمال الإفريقى وبلاد السودان ، بينما فضل آخرون النزوح غربًا إلى المغرب الأقصى حتى بلغوا المحيط . ولكن رغم استمرار الهجرة ظل عدد اليهود قليلاً فى الشمال الإفريقى ، ولم يجدوا من سبيل إلى زيادة هذا العدد سوى استمالة البربر إلى عقيدتهم .

فطن اليهود الذين أتوا من الشرق إلى ضآلة عددهم فى هذه البلاد الواسعة وأدركوا ما تمثله قبائل البربر من قوة وسلطان ، فبدءوا عملية تهويد واسعة النطاق بينهم . تبرز هنا إشكالية التهويد ، مع الفكرة الشائعة عن انغلاق اليهودية وتمركزها حول نفسها فى جنس معين ؟ وكيف عمل اليهود على تهويد القبائل البربرية ، أكان تبشيراً أى دعوة مباشرة بين البربر أم تم بطرق أخرى ؟ بحثًا لحل هذه الإشكالية ووجود بعض البربر على دين اليهودية ، حاول الكتاب اليهود[1] الخروج من مأزق انغلاق اليهودية ، فزعموا أن من تهود من قبائل البربر يرجع فى أصوله إلى قبائل فلسطينية هاجرت إلى الشمال الإفريقى فى سالف الزمان ؛ ليؤكدوا أن اليهودية لم تخرج عن انغلاقها ، وتمادوا فى زعمهم بأنه من خلال التهويد تكونت قبائل بربرية ذات أصل فلسطينى على أساس دينى مثل قبيلة جراوة ، واعتقدوا أن تفسيرهم هذا أعطى تبريراً للحفاظ على النقاء العرقى رغم منافاته للواقع التاريخى وأصول قبيلة جراوة؛ فلو سلمنا جدلاً بقولهم بأن أصول قبيلة جراوة تعود إلى فلسطين فإن موجات الهجرة المتكررة من كل الأنحاء إلى بلاد المغرب على مر العصور طمست الهوية الإثنية للسكان فى المنطقة [٢]، يؤكد ذلك ما قاله سلوش Slousch بأن اليهود الأوائل اندمجوا مع البربر عن طريق المصاهرة [٣]، وبالتالى فإن عدداً من جينات اليهود المهاجرين قد توزع بين مجموع

(1) Slousch, Judeo - Hellenes, p. 164, Idem, L'Ethnographie, p. 256; Hirschberg, The Problem of the Judaized Berbers, (The Journal of African History, Vol. 4, 1963, p. 319) ; Grazel, A History of The Jews, p. 250 .

(٢) على إبراهيم ، خيرية قاسم ، يهود البلاد العربية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧١م ، ص ٢١٩ .

(1) L'Ethnographie, p. 256 .

السكان، وأصبحت الجماعات اليهودية فى الشمال الإفريقى تشبه السكان المحليين فى كثير من الخصائص وبالتالى ذابت الهوية [١]، مما يعنى استحالة تحديد قبائل بعينها تجرى فى عروقها دماء نقية لأصول فلسطينية . لذلك يمكن القول بأن الظروف التى ألمت باليهود من شتات واضطهاد وقذفت بهم فى أحضان القبائل البربرية اضطرتهم إلى التغاضى عن مبدأ الانغلاق ، وأبرزت فكرة التهويد للبربر تعزيزاً لمكانتهم السياسية والاجتماعية فى المنطقة قبل وصول تيار التبشير المسيحى الذى دخل فى منافسة مع التهويد[٢] ، ولذلك خرجوا عن الالتزام العرقى وسمحوا للبربر بالتهويد .

التهويد فى بلاد المغرب :

أما إشكالية طريقة التهويد ، فالغالب على الظن أن بعضًا من البربر دان بالحنفية ملة إبراهيم عليه السلام وهى مثل اليهودية ديانة توحيد ، كما أن اختلاط اليهود بالبربر أفرز عادات وتقاليد مشتركة [٣]، ناهيك عن أن البربر عاشوا حياة الصحراء وما تكسبه هذه الحياة من صفاء روحى [٤]. كل هذا تكاتف على قبول البربر اليهودية من خلال التأثر المباشر بالمجتمعات اليهودية الصغيرة والكبيرة المتناثرة فى بلاد المغرب دون الحاجة إلى عملية دعوة وتبشير . بذلك تسربت اليهودية فى بلاد المغرب دون الحاجة إلى عملية دعوة وتبشير . بذلك تسربت اليهودية إلى البربر بمرور الزمن دون تبشير مباشر ، ونفذت إلى داخل القبائل البربية دون صعوبة . ولم يشمل التهويد قبيلة بأكملها ، كم زعم سلوش Slousch ، بل الأرجح أن أفراداً أو عائلات أو قطاعات أو بطون من هذه القبائل اعتنقت اليهودية[٥] ، بيد أن سلوش Slousch سحب صفة الجزء على الكل من باب التضخيم ، وقطع بأن هناك على الأقل قبيلتين تشكلتا خلال القرن الرابع الميلادى على أساس دينى[٦] .

---

(١) جمال حمدان ، اليهود ، ص ١٧٥ ؛ Renzo, Jews in Arab Land, p. 2 .

(٢) أحمد سوسة ، مفصل العرب واليهود فى التاريخ ، ص ٦٢٧ .

(3)Hirschberg, The Problem of The Judaized, p. 319 .

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ١٩٥٨م ، ٢ ، ص ٦٢ .

(5) Arahou, Juifa et Communautes Judaiques, p. 93 .

(6) Judeo - Hellenes, p. 164 .

فـتح العـرب المسلمـون بلاد المغـرب [١] وتمتع اليـهـود بالحرية الدينيـة ، وبـاتوا أهل ذمـة يدفـعون الجزية مـقـابل الدفـاع عن حيـاتهم وضـمـان ممتلكاتهم واحتـرام عـقـائدهم وقوانينهم الشـخـصـيـة [٢] ، بخلاف مـا حاق بهم من ظلم وعسف في ظل الحكم الرومانى ، ناهيك عن وضعهم الاجتماعى إذا صنفهم الرومان مواطنين من الدرجة الرابعة [٣]. أجـمـلت المصــادر العربية ذكر اليهود فى بلاد المغرب بصفتهم العقدية فقط ، ولم تشير إلى القبائل التى اعتنق بعضها اليـهـودية فـيمـا عدا ابن خلدون الذى ذكر أنه " ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليـهـود أخذوه عن بنى إسرائيل عند استـفحـال ملكهم لقرب الشـام وسلطانه منهم ، كـمـا كـان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح ، كما كانت نفوسه من برابرة إفريقية ، وفندلاوة ومديونه وبهلولة وغياتة وبنو فازاز من برابرة المغرب الأقصى " [٤]. اعتلى كتاب اليهود هذا النص واتخذوه سنداً ، وأطلقوا لخيالهم العنان ، وضخموا أعداد اليـهـود فى المنطقة ، مؤكدين أن كل هذه القبائل دانت باليهودية ، بل جزم أحدهم بوجود ممالك يهودية فى جبل أوراس ومنطقتى تلمسان وسجلماسة [٥]. يحمل النص فى طياته إجابة هذه المغالطة ، بما ضمنه ابن خلدون فى ذات النص من كلمات مثـل (ربما) التى تعنى الاحتمال وليس اليقين ، وكلمـة (بعض) التى تعنى القلة وليس الكثرة ، مـؤكداً بذلك مـا ذهبت إليـه الدراسة بأن أيًا من هذه القبـائل لم تتـهـود بأكملها وتأكيـد ذلك يحتم رصد مضـارب القبائل التى ذكرها ابن خلدون لتوضيح الصورة والبعد عن التعميم الذى أراد منه الكتاب اليهود التعميم ، ويتم رصد هذه القبائل من الشرق إلى الغرب ، ومن ثم تحوز نفوسة البداية .

---

(١) استـمـر فـتح العـرب المسلمين لبلاد المغرب مـا يقرب من سبـعين عـامًا ، إذ بدأ الفتـح سنة ٢١هـ / ٦٤١م على يد عـمرو بن العـاص وانتـهى فى ولاية موسى بن نصـير قبل فـتح الأندلس ٩٢ هـ / ٧١٠م ، راجع ابن عبـد الحكم ، فـتـوح مصـر والمغـرب ، ص ٢٦٠ - ٢٧٥ ؛ ابن عذارى ، البيـان المغرب ، ١ ، ص ٣٩٠ ؛ حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٥١م .

(2) Ayach, La Minorite Juive Dans La Marco Precoloniad, (Hesperis), Vol. 15, 1987, p. 148 .

(3) Slousch, Travels in North Africa, p. 71 .

(٤) العبر ، ٦ ، ص ١٠٧ .

(5) Abbou, Muslimans Andolous, p. 278 .

المتهودون من البربر :

نفوسة :

ظعنت بطون قبيلة نفوسة فى الجبل المسمى باسمها جنوب غرب طرابلس[(١)] ، وعندما فتح عمرو بن العاص الجبل وجد بعضًا من أهله يدينون باليهودية والنصرانية ، واتخذ كثير من اليهود أكبر مدن الجبل (جادوا) - التى تقع فى الجزء الغربى منه - مستقراً ومقامًا [(٢)]، ووجود اليهود واليهودية بهذه المنطقة يعود إلى سهولة الاتصال بين الجبل ومدينة طرابلس ، واعتماد الأخيرة على اقتصاديات الجبل [(٣)]، مما مكن الديانات من طرق هذا المكان . حسمت المواجهة بين العرب والنصارى لصالح الإسلام ، حيث لم نسمع عن المسيحية فى هذه المنطقة بعد ذلك ، واللافت للنظر فى سكان هذا الجبل أن تحول بعضهم إلى اليهودية والمسيحية نبع عن وعى دينى وسياسى ، تجلى ذلك فى اتباع أهل الجبل مذهب الخوارج الإباضية [(٤)]، حيث يشير ابن حوقل إلى أن أهل الجبل لم يذعنوا للسلطة الحاكمة فى بلاد المغرب ، واعتنق أهله مذهب الخوارج منذ بداية الفتوحات الإسلامية [(٥)].

ويحاول هيروشبرج Hirschberg الربط بين أتباع أهل الجبل لمذهب الخوارج وبين الاعتقادات القديمة لهم قبل الإسلام [(٦)]. رغم عدم وجود أية تأثيرات يهودية على مذهب الخوارج . وربما يرجع اتباع أهل الجبل لمذهب الخوارج إلى بداوتهم وتطلعهم للمساواة والاشتراك فى الحكم ، لأن مذهب الخوارج يناسب مزاج القبائل البربرية [(٧)]؛ إذ أنه أكثر المذاهب

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١١٤ .

(٢) البكرى ، المغرب ، ص ٢٩ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٤٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ، ص ٩٢ .

(٣) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) أبو زكريا ، سير الأئمة ، ص ١٠ .

(٥) صورة الأرض ، ص ٩٣ .

(6) A History of The Jews in North Africa, I,p.

(7) Julien, History of North Africa, pp. 20 - 21 .

الإسلامية ديمقراطية فى شأن نظم الحكم ، فالخلافة فيه لأى شخص عارف بالكتاب والسنة[١]. على عكس مذاهب أهل السنة آنذاك ؛ التى اشترطت أن يكون خليفة المسلمين من قريش [٢]، ومذاهب الشيعة التى نصت على أن الخلافة فى نسل على بن أبى طالب [٣].
والمصادر اليهودية تشير إلى وجود جماعة يهودية فى جبل نفوسة فى فترة باكرة ، إذ أرسلت إليه الفتاوى الدينية من الجاؤون حنانيا رئيس مدرسة بمبادثة فى العراق سنة ٢٢٥ هـ / ٩٣٨م[٤]، أما المصادر الإسلامية العربية فإن أول ذكر ليهود جبل نفوسة جاء عند البكرى ومن بعده صاحب كتاب الاستبصار ، ولا يعنى ذلك أن التواجد اليهودى فى جبل نفوسة لم يسبق زمن البكرى الذى توفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م [٥]. فمن الثابت أن البكرى لم ينزل أرض الشمال الإفريقى ، وإنما عاش فى الأندلس ، واعتمد على كتابات الجغرافيين السابقين وخاصة محمد بن يوسف الوراق الذى توفى سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م [٦]. كما أن الجغرافيين وإن جابوا الأقطار ، فإنهم يرصدون ما يشاهدون ، ولا يعنى ذلك أن ما شاهدوه وليد عصرهم ، وربما سبق وجودهم بقرون . لذلك يمكن القبول بالوجود اليهودى فى المنطقة قبل الإسلام واستمراره فى الزيادة بعد الفتح العربى ، بسبب الهجرات اليهودية إلى هذه المنطقة لأهميتها التجارية ووقوعها على خط التجارة القادم من المدن الساحلية إلى بلاد السودان[٧] جلى

(١) أجاز الخوارج " أن تكون الإمامة فى غير قريش ، وكل من ينصبونه برأيهم ، وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور ، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه ، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله ، وجوزوا أن لا يكون فى العالم إمام أصلاً ، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً أو نبطيًا أو قرشيًا " انظر الشهرستانى ، هامش ص ١٢٥ من كتاب ابن حزم ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، بدون تاريخ ؛ عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ٣٤ ، ١٩٢ ؛ البشبيشى ، الفرق الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٢م ، ص ٦٦ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٤ ؛ الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٦ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٧ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٧٣م ،٢، ص ٥١ ومابعدها .

(4) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916-17, p. 484 .

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٣ .

(٦) ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ١ ، ص ٣٦٦ .

(٧) انظر خريطة طرق التجارة بالملاحق .

صعوبة التفرقة بين اليهود المهاجرين ذوى الأصول الفلسطينية وبين المتهودين من البربر سكان الجبل لذوبان الهوية الإثنية نتيجة التزاوج والاختلاط الذى أسفر عن نوع من الوحدة بينهما رسخها الفتح الإسلامى [١].

جراوة :

تعتلى قبيلة جراوة القمة عند الكتاب اليهود بما نسجوا حولها من أساطير[٢] ، استناداً إلى مقولة ابن خلدون[٣] ، وغالوا فى شططهم حين قلدوا الكاهنة زعيمة القبيلة ملكة يهودية - فى جبال الأوراس - ذات أصول فلسطينية ، وسار على دربهم بعض المؤرخين العرب المحدثين [٤]، والمؤكد أن هذه القبيلة بربرية الأصل - تعود بأصلها إلى قبيلة زناتة[٥] - ضربت ببطونها فى منطقة جبل أوراس بإفريقية [٦]، وهو جبل خضيب فيه مدن كثيرة [٧]،

---

(1) Hannoum, Myth and Mythmaking in French Historigraphy of The North Africa : Writing The Episode of The Kahina, (Hesperis Tamuda), Vol. 34, 1996, p. 152 .

(2) Slousch, Judeo - Hellenes, p. 176; Goulven, (Hesperis), Vol. 1, 1921, p. 333; Grayzel, A History of The Jews, p. 251; Abbou, Muslimans Andolous, p. 279 .

الوحيد من الكتاب اليهود المهتمين بتاريخهم فى الشمال الإفريقى الذى خرج من زمرة المؤيدين ليهودية الكاهنة هو الكاتب هيرشبرج Hirshschberg ، حيث استعرض معظم الآراء واعتمد على المصادر العربية ، وخرج برأى موضوعى مؤداه أنه لو صدقت يهودية الكاهنة لصورت المصادر العربية حروبها مع المسلمين كحروب مقدسة مثل حروب العرب واليهود فى الجزيرة العربية إبان الفترة الإسلامية الباكرة ، وبالتالى رفض القبول بفكرة اعتناقها اليهودية . انظر : A History of The Jews in North Africa, 1, pp. 89 - 94 .

(٣) العبر ، ٦ ، ص ١٠٧ .

(٤) حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٢٤٤ ؛ Laghraib, Role Politique, p. 44 .

(٥) اختلف المؤرخون على نسب قبيلة جراوة بين بطون زناتة ، فقد اعتقد البعض أن جراوة فرع قائم بذاته من فروع زناتة يرجع نسبه إلى كروا أو جراو أحد حفدة أو أبناء جانا أو زناته كلها ؛ (انظر : ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ٨ ؛ مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٦٥) ، بينما يرى ابن عذارى أن قبيلة جراوة واحدة من بطون بنى يفرن ، انظر (البيان المغرب ، ١ ، ص ٢١٦) ، ولم يقل بهذا النسب سواه .

(٦) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٠٧ .

(٧) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٦٤ .

ودان بعضًا منها باليهودية قبل الإسلام [١]، ودخلت فى صراع مع العرب الفاتحين بقيادة زعيمتها الكاهنة . التف البربر حول الكاهنة وحاربوا حسان بن النعمان وحازوا النصر أول الأمـــر[٢]. خربت الكاهنة المدن والضياع من طرابلس إلى طنجة ، فشق ذلك على البربر واستأمنوا حسان فأمنهم [٣]. زحف حسان بعد تدعيم قواته إلى الكاهنة فاستأمنت لولديها عنده ؛ فأمنهم وقضى عليها فى معركة حاسمة ، أسلم على أثرها عدد كبير من جراوة يقدر باثنى عشر ألف . عقد حسان لكل من ولدى الكاهنة على ستة آلاف[٤] . بذلك تحول جزء كبير من قبيلة جراوة إلى الإسلام ، ولو كانت هذه الأعداد تدين باليهودية لما غفلت عنها المصادر العربية واليهودية .

يحاول سلوش Slousch أن يتخذ من الكاهنة مثالاً على زعماء القبائل الثيقراطيين الذين حكموا على أساس دينى [٥]. الراجح وثنية الكاهنة وتنبؤها بالغيب كما تشير معظم المصادر إلـــى ذلـــك [٦].حازت الكاهنة بحربها مع حسان مكانًا عليًا ، ومن ثم لم تكن المصادر التاريخية الباكرة تغفل يهوديتها ، وحتى المصادر اليهودية لم تشر من قريب أو من بعيد إلى هوية الكاهنة مما يقطع بوثنيتها ؛ التى يؤكدها أنها قتلت وهى تحمل صنمًا من خشب كانت تعبده [٧]. لاشك من وجود أعداد من قبيلة جراوة دانت باليهودية ، إبان وجود جراوة بجبل أوراس كما أخبرنا عنهم ابن خلدون [٨]؛ ومعظم هؤلاء لم يتحولوا إلى الإسلام ولم ينضموا

---

(١) مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٦٥ .

(٢) الرقيق ، فتح إفريقية والمغرب ، ص ٥٦ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٠٩ .

(٤) الرقيق ، فتح إفريقية والمغرب ، ص ٦٤ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ٣٨ .

(5) Judeo - Hellens, p. 176 .

اعتقد سلوش أن الكاهنة توجت ملكة على مملكة ذات صبغة دينية متخذة من اليهودية أساسًا ، كما قامت دول إسلامية بعد ذلك على أساس دينى مذهبى .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١١٠ ؛ السلاوى ، الاستقصا ، ص ٨٢ .

(٧) المالكى ، رياض النفوس ، ١ ، ص ٣٥ ؛ الدباغ ، معالم الإيمان ، ١ ، ص ٦٦ .

(٨) العبر ، ٦ ، ص ١٧ ؛ مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ١٦٤ .

إلى العرب الفاتحين ، فنزحوا إلى أماكن أخرى فى المغرب على أثر هزيمة قبيلتهم وإسلام عدد كبير منها على يد حسان ، فنزح بعضهم إلى المغرب الأقصى واستقروا بالقرب من مليلة وهى نفس المدينة التى أقام فيها الأدارسة مدينة على الساحل ، اتخذت اسم جراوة (١)، واستقر آخرون فى منطقة تادلا بالمغرب الأقصى (٢).

مديونة :

تمثل قبيلة مديونة إحدى القبائل التى ذكر ابن خلدون أنها اعتنقت اليهودية ، وقد ضربت بطون هذه القبيلة بنواحى تلمسان ما بين جبل راشد إلى الجبل المعروف بهم جنوبى وجده ، يتقلبون بظواعنهم فى ضواحيه وجهاته ، ونازعتهم زناتة على الضواحى من مواطنهم وتملكوها؛ فانزاحت مديونة إلى المنطقة المحصورة ما بين وجدة وصفروى(٣) ، وظلت أعداد من هذه القبيلة تدين باليهودية وتقطن منطقة تلمسان حتى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، إذ أشارت الفتاوى الدينية التى أرسلت من المشرق إلى اليهود البربر الضاربين بهذه المنطقة (٤)، ولأهمية المنطقة آنذاك على الصعيدين التجارى الاستراتيجى(٥) . تزايد عدد اليهود بها حتى أنهم أسسوا بها مدرسة دينية(٦) ، ويمكن قبول قول ابن خلدون بتهويد أعداد من مديونة ، لأن مضاربها تقع على طريق تجارى هام ، وحتمًا طرقه اليهود أثناء اضطهادهم على يد الرومان ونزوحهم إلى المغرب الأقصى ، واستطاب للمهاجرين من اليهود العيش بجوار

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٨ ؛ مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٦٥ . يذكر ابن خلدون أن السبب فى تلك التسمية ، أن الذى أسس المدينة أحد أمراء الأدارسة ، سبق وهرب إليهم واحتمى بهم قبل بنائه للمدينة (العبر ، ٧ ، ص ٩) أما الأمير الإدريسى فهو أبو العين عيسى بن إدريس أسس المدينة شرقى المغرب الأقصى بالقرب من تلمسان سنة ٢٥٩ ق / ٨٧٢م ؛ البكرى ، المغرب ، ص ١٤٢ .

(٢) أبو الفدا ، تقوم البلدان ، ص ١٣٥ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(4) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916-17, p. 484 .

(٥) مثلت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط مقصداً للتجار ، وقفل بلاد المغرب الأقصى لابد للداخل أو الخارج الاجتياز بها ، انظر (البكرى ، المغرب ، ص ٧٦ ، ٧٧) ؛ (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٢٢) ، (الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٥٠) .

(6) Chouraqui, A History of The Jews of North Afrrica, p. 84 .

إخوانهم فى الدين وعـمـرت بهم هذه المنطقة ، ومن ثم عدها ابن خلدون ضـمن قبـائل المغـرب الأقصى التى دان بعض منها باليهودية [١].

قبائل المغرب الأقصى :

تعد بلاد المغرب الأقصى أكثر مناطق الشمال الإفريقى التى سكنها اليهود ، وذكر ابن خلدون من قبائلها التى دان بعض منها باليهودية " فندلاوة وبهلولة وغياثة وبنو فازاز "[٢] ، وأضاف إليهم ابن أبى زرع قبيلتين من زناتة هما " زواغة ويزغت " [٣]. فأما قبيلة فندلاوة فكانت مضاربها بالقرب من مدينة فاس بنواحي صفروى [٤]، أما بهلولة فقد ضربت بعض بطونها بالمغرب الأقصى ، واستقرت أخرى فى قسطيلية وكانوا من ساداتها [٥]. أما غـياثة فظعنت بطونها فى بلاد تازا وهى جبال عظيمة حصينة [٦]. أما أهل فازاز فهم فخذ من زناتة[٧]، اتخذوا من جبال فازاز - التى تقع بين سلا ونهر سبو [٨]- مستقراً ومقامًا ، ويسمون بنو يجفش [٩]، وبهذا الجبل قلعة كبيرة تنسب إلى المهدى بن توالى اليجفشى . كان أكثر سكان هذا الجبل من اليهود لحصانته ، وفى عهد ابن توالى لجأوا دومًا بتجاراتهم إلى قلعته يحتمون بها كلما أحسوا بالخطر [١٠]. أما زواغة وبنى يزعت فهم من زناتة قطنوا منطقة فاس قبل تأسيسها ، ودان بعض منهم باليهودية [١١]، ولوقوع المدينة فى نهاية مضيق

---

(١) العبر ، ٤ ، ص ١٢ ؛ ٦ ، ص ١٠٧ .

(٢) العبر ، ٤ ، ص ١٢ ؛ ٦ ، ص ١٠٧ .

(٣) الأنيس المطرب ، ص ٣١ .

(٤) نفسه ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٥) مجهول ، الاستبصار ،. ص ١٧٥ .

(٦) نفسه ، ص ١٨٦ .

(٧) مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٦٧ .

(٨) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٤١ .

(٩) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ، ص ١٦٨ .

(١٠) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٧ .

(١١) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٤ ، ١٣ .

تازا جهة المغرب الأقصى - وهو المعبر الوحيد بين المغربين [١]- تحتم على اليهود القادمين من إفريقية والمغرب الأوسط العبور به وربما استقروا بالمنطقة مثل يهود قبيلة غياتة وبطون زواغة، وذلك لأهمية المنطقة الاستراتيجية والتجارية التى اكتسبها من موقعها على الطريق التجارى بين الشمال والجنوب .

برغواطة :

ظهرت إمارة برغواطة سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤م فى خلافة هشام بن عبد الملك[٢] ، ويرى فريق أنها تكونت من قبائل زناتة وخاصة زواغة[٣]، بينما يرى آخر أنها من بطون المصامدة[٤]، وذهب ثالث إلى أنها تكونت من شتات من أخلاط القبائل[٥] ، وهو الرأى الأقرب للصحة ، لأن منطقة تامسنا مهد الدولة ومكان نفوذها[٦] ؛ قطن بها كثير من البطون التى تنتمى إلى قبائل مختلفة[٧] . أسس الدولة صالح بن طريف - الذى أعاد البعض جذوره إلى اليهودية - وأنه قدم من وادى برباط بالأندلس فقيل لكل من اتبعه برباطى ثم تحولت إلى برغواطى[٨] . دار لغط كثير حول ديانة هذه الدولة ، وزعم البعض أنها مملكة يهودية [٩]، ورأى آخر أنها حركة هرطقية اشتملت على مجموعة من الأفكار الدينية المقتبسة من مختلف

---

(١) حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٢٢ .

(٢) مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٤٧ .

(٣) البكرى ، المغرب ، ص٢ ١٣٥ ؛ مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٤٧ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ٢٠٧ .

(٥) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١٣٠ .

(٦) مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٤٧ .

(٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ٢٠٩ .

(٨) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١٣٠ .

(9) Slousch, L, Empire de Berghouata, et Origines des Blad= es= Siba " Revue du Monde Musulman", T.10, Paris 1910, p. 394; Laghraib Role Politique, p. 67 .

بعد نجاح ثورة البربر التى اندلعت سنة ١٢٢هـ وقلصت سلطة الخلافة الإسلامية عن المغربين الأقصى والأوسط ، فأمست منطقة فراغ سياسى مما مكن لظهور الدول المستقلة ، وأطلقت كلمة Siba على المناطق التى لم تعد خاضعة للسيطرة الإسلامية .

الأديان ، وأكد على التأثير اليهودى فى معتقداتهم [١]، وناقش بعض المحدثين عقيدة البرغواطيون وخلص إلى أنهم خوارج صفرية[٢] ، ويرى البعض الآخر أن العقيدة البرغواطية إسلامية الأصل ، وأن ما وجه إلى صالح بن طريف وقومه بالانحراف عن الإسلام كان مبالغًا فيه من الكتاب الذين يخدمون أغراضًا مذهبية وسياسية معادية لبنى طريف [٣]، يؤكد ذلك ما قاله أحد الجغرافيين عندما رصد أحوال هذه الدولة فقال " أن فى برغواطة أمانة وبذل للطعام وتجنب الكبائر من الحرام والمحظورات من الآثام " [٤]، فضلاً عن أن الدولة البرغواطية لم تخرج عن الإسلام أيًا كان مذهبها ، ولعل انتشار اليهودية بين بطون القبائل البربرية فى منطقة تامسنا - منطقة نفوذ الدولة - وما قيل عن جذور مؤسسها حدا ببعض المحدثين إلى الزعم بيهوديتها .

مجمل القول : أن بعض أفراد فى قبائل البربر اعتنقت اليهودية ، بيد أن هؤلاء لم يكونوا كثرة حتى يهيمنوا عى السلطة أو يقيموا إمارة مثلما حرص الكتاب اليهود على إظهاره . وإن معظم من دان باليهودية من البربر كانت مضاربهم على الخط التجارى الذى يربط بين إفريقية والمغرب الأقصى ، وبين الشمال الإفريقى وبلاد السودان ، كما يتضح من رصد مضارب هذه القبائل . ولكن بعد أن فتح العرب المسلمون بلاد المغرب ، وقامت به كيانات سياسية إسلامية مستقلة أسست عواصم لها ومدنًا تجارية ، أمست بلاد الشمال الإفريقى منطقة جذب لليهود ، فنزح كثير من اليهود إلى العواصم الإسلامية والمدن التجارية الجديدة .

المجتمعات اليهودية فى العواصم الإسلامية :

القيروان :

لامراء فى أن المدن الجديدة التى أسستها الكيانات السياسية الإسلامية فى بلاد المغرب بعد الفتح العربى كقاعدة للملك تمارس منها الإشراف على مناطق نفوذها ، كانت مناطق جذب

---

(١) سحر سالم ، برغواطة - هراطقة المغرب فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م ، ص ٥٢ ، ٥٥ .

(٢) مجمود إسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، مغربيات ، الرباط ١٩٧٧م ، ص ١٣ - ٥٣ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى ، الإسكندرية ١٩٧٩م ،٢، ص ٤٧٣ ، هامش ٤٥.

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٢ .

لليهود من أهل البلاد أو النازحين من نواح أخرى بعيدة ، وكانت مدينة القيروان باكورة هذه المدن ، إذ أسسها عقبة بن نافع الفهرى سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤م [١]. فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وأضحت عاصمة لبلاد المغرب . حينذاك إنثال اليهود عليها خاصة من الأماكن القريبة إليها ، بما أتاحه لهم الإسلام من أمان وحرية وحرية انتقال ، ما إن تأسست المدينة حتى قام بها مجتمع يهودى زادت أعداده بمرور الزمن ، وسمح الحكام المسلمون لهم ببناء المعابد والمدارس الدينية ، وحرية إقامة الشعائر اليهودية[٢]. توافد علماء اليهود إلى القيروان من كل مكان منذ القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ، واحتلت القيروان واسطة العقد بين اليهود فى الشرق وإخوانهم فى الغرب [٣]، وارتبطت بروابط وطيدة مع الأكاديميات اليهودية فى العراق وفلسطين [٤]، وتشير الرسائل القادمة من المدارس العراقية إلى أن الاتصالات

---

(١) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٤٧ ، تولى عقبة بن نافع أمر الفتوح فى المغرب سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠م ؛ (الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، بيروت ، القسم الثانى ، م٧ ، ص ٩٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ، ص ١٩٩) ؛ وكان أقدم المسلمين عهداً بإفريقية وأعرفهم بأهلها ، إذ أقام ببرقة منذ افتتحها عمرو بن العاص ؛ (ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ، ص ١٩٤) رأى عقبة أن القبائل البربرية تعلن إسلامها إذا قدمت الجيوش الإسلامية إلى المغرب ، وما إن تعود أدراجها حتى يرتدون عن الإسلام ؛ (ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ، ص ١٩٩ ؛ القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩م، ص ٢٤٢) ، لذا اختط مدينة القيروان ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ، ص ١٩٣ - ١٩٥) بعيداً عن البحر خوفًا من إغارات الروم ، واختط بها دار الإمارة والمسجد ؛ (ابن عذارى ، البيان ، المغرب ، ١ ، ص ٢٠) وقضى عقبة السنوات الخمس من ولايته فى الإشراف على البناء ، وتقع مدينة القيروان فى الوسط من تونس على بعد ١٥٦كم من العاصمة تونس ، وعلى بعد ٥٧ كم من سوسة (دائرة المعارف الإسلامية " مادة : القيروان " ، ص ٨٤٣٧ ، ٨٤٤٢) .

(2)Mann, Texts and Studies, 1, p. 112; Goitein, Mediterranean Sosiety, 1, p. 53 ; Slousch, Travels in North Africa, pp. 247, 248; Ashtor, The Jews of Moslem Spain, 1, pp. 142 - 145; Menahem Mansoor, Jewish History and Thought: an Introduction, Ktav Publishing House, 1991, pp. 212 - 214 .

(3) Mann, The Jews In Egypt and in Palestine, 1, p. 102 .

كانت المراسلات بين الأندلس والجاؤونية فى العراق تمر عبر القيروان ، كما كان صمويل الناجد رئيس اليهود فى الأندلس على اتصال دائم بالشمال الإفريقى ، انظر :

Mann, Texts and Studies, 1, p. 112; Sachar, a History of The Jews, p. 172 .

(4) Mann, (J.Q.R.) 11, 1920 - 21, pp. 447 - 448, 453 - 454 .

بدأت فى وقت مبكر مع القيادة الروحية وذلك خلال عام ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م [١]. علا كعب القيروان خلال حكم الأغالبة ، وبدخول القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى أصبحت مطمحًا لليهود من جميع الأنحاء ، فكان من الطبيعى أن نجد يهوديًا عراقيًا سمع عن المدينة وما فيها من رغد العيش والأمان لأبناء دينه ، فشد إليها الرحال وعمل بها قائد جوقة فى المعبد بجانب ممارسته للتجارة مع إخوانه فى مصر[٢] ، مما يدل على جذب القيروان لليهود من الشرق . لذلك نمى المجتمع اليهودى فى القيروان خلال فترة حكم الأغالبة ، حيث توالت هجراتهم إلى المدينة بعد ازدهار العلاقات التجارية بين عاصمة الأغالبة ودول البحر المتوسط[٣]، واتخاذ الأمراء الأغالبة أطباء من اليهود [٤].

سار الفاطميون على درب الأغالبة ، حيث اتخذوا منهم الأطباء ، فقد عمل فى بلاط عبيد الله والمعز لدين الله أطباء من اليهود [٥]، ومن ثم نزح كثير من يهود العراق إلى القيروان واستقروا بها فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى[٦] . خلف " بنو زيرى الصنهاجيون " الخلافة الفاطمية فى المغرب حين اختار الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بلكين بن زيرى بن مناد ليعهد إليه بالحكم فى القيروان سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١م [٧]، ما عدا طرابلس وصقلية [٨]. لم يتغير الحال بالنسبة لليهود فى القيروان بالحكام الجدد وعملوا أيضًا فى بلاطهم ، إذ نجد

---

(1) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916 - 17, p. 482 .

(2) Mann, Texts and Studies, 1,p. 152; Ashtor, The Jews of Moslem Aspain, 1, p. 225 .

(٣) لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ، ص ١٨٥ ، ١٨٩ ؛ Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I, p. 101 .

(٤) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، بيروت ٣ ، ص ٥٨ ، ٥٩ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٦ .

(٥) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ٣ ، ص ٥٨ ، ٥٩ ؛
Goitein, Mediterranean Society, 2, p. 243 .

(6) Mann, Texts and Studies, I, p. 328 - 329 ; Ashtor, The Jews in Moslem Aspain, l, p. 225.

(٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٥٥ ؛ النويرى ، نهاية الإرب ، ٢٤ ، ص ١٦٩ .

(٨) ابن أبى دينار ، المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، بيروت ١٩٩٣م ، ص ٩٦ ،

أبراهام بن عطا الطبيب فى بلاط باديس بن المنصور ، وكذلك فى بلاط ابنه المعز [١]، وفى عهد الأول بلغوا من التقرب إليه أن سمح لهم ببناء معبدهم بالحجارة وتعليته ، لكن قاضى المدينة لم يسمح لهم إلا بعمارة المعبد من الداخل وتعلية بابه [٢]. زادت صلات اليهود بالسلطان عن طريق ابن عطا ، حيث كان يرافقه فى رحلاته وحروبه فى المغرب الأقصى ، يتضح ذلك من خلال رسائل يهود القيروان إلى القاهرة ، التى نتعرف منها أيضًا تعرض اليهود للخوف والهلع [٣]، وهو أمر وارد يتعرض له المجتمع كله ، حيث تعرضت الدول الصنهاجية لانشقاق بقيادة حماد بن مناد[٤] ، وكذلك حروبها مع قبائل زناتة [٥].

أقام الرابى يعقوب بن نسيم (ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م) مدرسة دينية فى القيروان فى عهد بنى زيرى تتبع المدارس العراقية الشهيرة ، درست فيها التوراة والتلمود وعلوم اللاهوت الأخرى . تواصل الاتصال بين مدرسة القيروان اليهودية وبين مدارس العراق ، إذ جمع الرابى يعقوب التبرعات من يهود القيروان للمدارس العراقية ، ودائمًا ما أرسل لهم ما استشكل عليه من أمور وقضايا دينية ، ولم تغفل مدارس العراق إفادته عما سأل [٦]. تجلت سماحة الإسلام فى أن ترك المسلمون حرية العقيدة مع الأديان الأخرى فتركوا لرجال الدين من اليهود تسيير الأمور الخاصة بالأحوال الشخصية والتقاضى فيما بينهم [٧]، ومن ثم باتت القيروان

---

(١) يورد الكاتب نص رسالتين أرسلتا من يوسف ونسيم ابنا براخيا إلى أبو الفرج ابن يعقوب بن عوكل:
Stillman, The Jews of Arab Lands, P. 46, Ibid, pp. 183 - 186 .

(٢) الونشريسى ، المعيار ، ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ الهادى روجى إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ٢ ، ص ٣٨٣؛
Archvies Marocaines, Paris 1908, XII, p. 233 .

(3) Stillman, Op. Cit., p. 183 .

(٤) عن الحروب التى نتجت عن الانشقاق ، انظر : ابن خلدورن ، العبر ، ٦ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٥) عن حروب باديس مع زناتة ، انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٧٩ ؛ ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ١٠١ ؛ الهادى روجى إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ٢ ، ص ١٢٦ - ١٣٣ .

(6) Mann, Texts and Studies, I, p. 112, Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, p. 79 .

(7) Mann, (Abu Ishak Ibrahim B. Ata) Nagid of Kairowan, (J.Q.R.), II, 1920-21, p. 430 .

(إذا تنازعوا فى حق ، وترافعوا فيه إلى حاكمهم لم يمنعوا منه ، فإن ترافعوا فيه إلى حاكمنا حكم بينهم بما يوجبه دين الإسلام) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

أهم المراكز الروحية لليهود فى بلاد المغرب . شارك اليهود أيضًا فى الأنشطة التجارية مع دول البحر المتوسط وخاصة مع مصر [١]، وتعاظم دورهم فى هذه المنطقة وهو ما أفصحت به وثائق الجنيزا ، نجم عن ذلك التسامح الإسلامى وخاصة بعد أن حقق اليهود مبتغاهم بالتواجد فى بلاط الحكام والتقرب من أصحاب السلطان [٢]، لذلك انتشرت التجمعات اليهودية فى القيروان ، وتمركزوا فى بعض الحارات والأحياء ومثلوا أغلبية سكانها ، وضمت هذه الأحياء المعبد والحمام الطقسى (Mikevh) [٣]، وأطلق على بعض الأحياء والحارات التى غلب السكان اليهود بها أسماء يهودية مثل حارة خيبر [٤]. بذلك يمكن القول أن القيروان ظلت مركزاً حيويًا لليهود بعيد تأسيسها وحتى خربها العرب الهلالية [٥].

المهدية :

أسس المهدى الفاطمى عاصمته الجديدة واسماها المهدية عام ٣٠٨هـ / ٩٢٠م ، رغم ذلك ظلت القيروان بمثابة العاصمة ، ومثلت المهدية الميناء [٦]، علاوة على أنها كانت سوقًا تجارية

---

(1) Mann, Texts and Studies, I, p. 359 .

(٢) الونشريسى ، المعيار ، ٢ ، ص ٢٥٩ .

(3) Stillman, The Jews in Medieval Islamic, City, pp. 10 - 11 .

والحمام الطقسى تتم فيه عملية الطهارة والغسيل قبل الصلاة ، وتتم فيه الطهارة بالنسبة للمرأة الذى يصبح الاتصال الجنسى مع زوجها إلزامًا بعده ، انظر (إسرائيل شاحاك ، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهودية ، ترجمة حسن خضر ، سينا للنشر ١٩٩٤م ، ص ٥٤ ، هامش ٢ ، ص ٥٥ ، هامش ١) .

(٤) وردت كلمة حارة خيبر فى مخطوط على الرق بالمكتبة العتيقة بالقيروان ، انظر حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات من الحضارة العربية ، ص ٢٥ ، هامش ١ .

(5) Vajda, Problems et Taches des L'investingation du Passe juif en Tunisie, (Cahiers de Tunisie), 3 et 4. Trimestre 1954, p. 309 .

داهمت قبائل العرب من هلال وسليم إفريقية ، وعاثوا فساداً (ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٥٩) ، وهزموا المعز بن باديس فى أول لقاء معه عند جبل حيدران القريب من قابس ٤٤٣ هـ / ١٠٥٢م ؛ (ابن الأثير، الكامل ، ٨ ، ص ٥٦ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ٢٤ ، ص ٢١٤) ثم واصلوا زحفهم على إفريقية وأضروا بمدنها وما حولها وأبادوا أشجارها وغوروا مياهها ، وعن أسباب الغزوة الهلالية ، انظر (ابن الأثير، الكامل ، ٨ ، ص ٥٥ - ٥٦) ؛ (الدباغ ، معالم الإيمان ، ٣ ، ص ٢٣٦) .

(٦) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٣ ، اختار المهدى الفاطمى موقعًا حصينًا لبناء عاصمته الجديدة (ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦) ، وبدأ فى بنائها يوم السبت لخمس خلون من ذى الحجة ٣٠٣ هـ / ٩١٦م)؛ (ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١ ، ص ١٩٢ ، الدواداري ، كنز الدرر ، ص ١٠٨) =

كبرى ، إذ كانت أموال الرعية وتجارتهم بالمهدية ، وسكناهم فى مدينة زويلة القريبة من المهدية[١] ، ونظراً لقرب المهدية من القيروان ، إذ تبعد عنها مرحلتين[٢] ، أو ستين ميلاً[٣] ، كان الانتقال منها وإليها يتم فى سهولة ويسر ، لذلك حرص التجار اليهود الذين يقيمون فى القيروان على وجود وكالات لهم تقوم بتصدير سلعهم من الميناء ، ومن ثم تزياد التواجد اليهودى فى المهدية . وأطمع اليهود فى استغلال امتيازات المهدية تسامح الخلفاء الفاطميين تجاههم [٤]. استمر تدفق اليهود على المهدية وزاد عددهم بها ، يفصح عن ذلك التواجد اليهودى فى المهدية فى ظل الحكام الصنهاجين [٥] ، إذ تشير وثائق الجنيزا إلى وجود رئيس للمجتمع اليهودى فى المهدية [٦] ، مما يعنى استقلال المجتمع اليهودى فى المدينة عن نظيره فى القيروان وتفوقه عليه بعد تخريب الأخيرة ، خاصة وإن كثير من اليهود نزحوا مع المسلمين إلى المهدية بعد تخريب القيروان [٧] ، وقدم إليها كثير من يهود المدن الإيطالية [٨] .

تاهرت :

أسست الدولة الرستمية الخارجية عاصمة لها فى تاهرت سنة ١٤٤ هـ / ٧٨٢م [٩] ، ومنذ ذلك الحين أصبحت العاصمة الجديدة مركزاً تجاريًا هامًا ومحطة للمواصلات بين المدن الساحلية

= ورغم حصانة الموقع الطبيعية ، فإن المهدى عمل عى زيادة تحصينها بالأسوار والأبواب الفخمة ، عن تفاصيل ذلك راجع (ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٣ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ٢٩ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٧ ؛

Marcais, L'Architecture Musulmane d'Occident, Paris, 1955, pp. 69 - 70, 78 .

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ، ص ٤١٩ ؛ القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٩٤ ، ٢٧٦ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٣ .

(٣) البكرى ، المغرب ، ص ٢٩ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٧ .

(4) Stillman, The Jews of Arab Lands, U.S.A. 1979, p. 43 .

(5) Mann, (J.Q.R.) , II, 1920 - 21 , p. 429 .

(6) Goitein, Mediterranean Society, I, p. 276 .

(٧) الهادى ، روجى إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ص ٣٨٤ .

(8) Hirschberg, A History of The Jews In North Africa, I, p. 102 - 105 .

(٩) البكرى ، المغرب ، ص ٦٧ ، ٦٨ . وتاهرت تعنى أنثى الأسد باللغة البربرية ، راجع :

Encyclopedia Britannic, Vol. 11, p. 752, 753.

والمناطق الداخلية وإلى بلاد السودان وجميع البلدان [١]، تصب فيها التجارات وترحل منها القوافل إلى كافة الأنحاء ، وبلغ أهلها قدراً كبيراً من الثراء حتى أنهم ملكوا العبيد والخيول[٢]. اكتسبت تاهرت أهميتها بالنسبة لليهود من كونها عاصمة لمنطقة نفوذ بنو رستم ولأهميتها التجارية ، ومن ثم توافدوا عليها من المناطق المتاخمة إليها ، وأقاموا جالية بها ، اهتمت بالأنشطة التجارية ، وأقاموا علاقات مع إخوانهم المقيمين فى المناطق الواقعة تحت سيطرة أئمة بنى رستم الإباضية فى جبل نفوسه وفى وارجلات[٣] . لم يتدخل اليهود فى الصراع بين الشيعة وبنو رستم الذى انتهى بدخول الفاطميين تاهرت سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م[٤]. كما لم يغير انتقال السلطة فى تاهرت من وضع اليهود ، بل استفادوا منه بقدوم الفاطميين لكونهم أكثر تسامحًا تجاههم [٥]، وظل المجتمع اليهودى فى تاهرت يمارس نشاطاته المتنوعة بحرية تامة ، وإن انصبت اهتماماتهم بطبيعة الحال على المعاملات التجارية [٦]، وأمسى المجتمع اليهودى فى تاهرت ذا أهمية كبيرة لدى القيادة الروحية فى المشرق ، كما برز منه عدد من علماء اليهود الذين ساهموا فى تأكيد هذه العلاقة عن طريق المراسلات مع مدارس العراق والقدس[٧] . ومن أشهرهم عالم اللغويات يهودا بن قريش [٨].

فاس :

استقر المتهودون من البربر من قبائل زناتة وبهلولة وزواغة وبنى يزغت[٩] فى المنطقة التى أسست بها مدينة فاس ، وبعد أن أقام الأدارسة مدينة فاس ١٧٢ - ١٧٣هـ/٧٨٨-٧٨٩م، سمح إدريس الثانى لليهود بالإقامة والعمل فى المدينة ، يؤكد ذلك وجود موضع بعدوة

---

(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٢ .

(٢) نفسه ، ص ٣٣ .

(3) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I, p. 108 .

(٤) البكرى ، المغرب ، ص ٦٨ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ١٥٧ ، ١٩٧ .

(5) Stillman, The Jews in Arab LAnd, p. 43 .

(6) Mann, (J.Q.R.), II, 1920 - 21 , p. 443 .

(7) Mann, (J.Q.R.), II, 1920 - 21, p. 443 , Idem, (J.Q.R) 9, 1918-19, p. 163 .

(8) Hirschberg, A History of the Jews in North Africa, I, p. 308.

(٩) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٣١ ، ٣٣ .

الأندلس يحمل اسم جراوة (١)، ولعل هذا نسبة إلى يهود جراوة النازحين بعد مقتل الكاهنة ، وانضمام أهل قبيلتها الذين كانوا على الوثنية وتحولوا إلى الإسلام إلى جيش المسلمين ، ويرجح ذلك أيضًا وجود مدينة جراوة التي أنشئت بعد ذلك بالقرب من مدينة فاس(٢) . طبق إدريس الثاني مع اليهود شريعة الإسلام السمحة ، فلم يقم باضطهادهم ، ومن ثم قصدها بعض يهود المناطق القريبة ، وانثالوا عليها من جميع البلاد والجهات (٣).

استقدم إدريس الثاني يهوداً من الأندلس والقيروان واستقروا في العاصمة الجديدة (٤)، وحدد سكناهم في شمال غرب المدينة بناحية إغلان حتى باب حصن سعدون في عدوة القرويين(٥)، فحمل هذا الجزء من المدينة فيما بعد اسم فندق اليهودي وسوق اليهودي (٦)، ورغم ذلك لم يقتصر اليهود على هذا الجزء ، وإنما انساحوا في كل أحياء المدينة وبلغت الجوالي التي دفعوها على عهد إدريس الثاني ٣٠٠٠٠ (ثلاثون ألف) دينار (٧)، مما يدل

---

(١) الجزناتي ، زهرة الآس ، ص١٧ ، أسس الأدارسة مدينة فاس لتكون عاصمة مركزية تديرها حكومة عربية في منطقة بربرية . (Encyclopedia Britannic, Vol. 6, p. 244.) وهناك رواية غير شائعة ولكنها قديمة عن نشأة مدينة فاس ، والتي يعتقد أن إدريس بن عبد الله والد إدريس الثاني هو الذي قام ببنائها سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨م على الضفة اليمنى لنهر فاس ، وأطلق عليها اسم مدينة فاس ، ولكنه توفي قبل أن يتاح له تطويرها ، ويعتقد أن ابنه قام بعد ذلك بعشرين عامًا (أي سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧م) ببناء مدينة لنفسه على الضفة اليسرى لنهر فاس ، والحق أن تلك الرواية تبدو أقرب إلى الحقيقة ، دائرة المعارف الإسلامية " مادة فاس " ، ص ٧٦٨٦ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٨ ، ٩ ؛ مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٦٥ .

(٣) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٦ .

(4) Slousch, Travels in North Africa, p. 372 ; Abbou, Muslimans Andolous, p. 281; Ashtor, The Jews of Moslem Aspain, I, p. 62, Hirschberg, A History of Jews in North Africa, I, p. 99 .

(٥) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٦ .

(6)Slousch, Travels in North Africa, p. 372 .

(٧) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٦ ، افترض كل من هيرشبرج Hirschberg ، اشتور Ashtor أن عدد اليهود في مدينة فاس زمن الأدارسة بلغ ٤٥٠٠٠ نسمة ، وإن مبلغ الجوالي عن الفرد اليهودي العاقل البالغ ديناران ، ومن ثم يكون عدد الرجال البالغين ١٥٠٠٠ ، فإذا أضفنا لكل رجل امرأة وطفل يكون متوسط عددهم ٤٥٠٠٠ نسمة ، وهو رقم معقول بالنسبة لمدينة إسلامية في العصور الوسطى تحوي بين جنباتها نصف مليون ساكن تقريبًا يكون منهم ١٠٪ من اليهود .

على كثرة سكان المدينة من اليهود . تؤكد ذلك إجابات الجاؤون شيررا Sherira وابنه الجاؤون حاى Hay الآتية من العراق إلى يهود فاس [١].

نمت مدينة فاس وازدهرت واتسع عمرانها بفضل موقعها التجارى ومكانتها كعاصمة للأدارسة[٢] ، وبرز اليهود فى نشاط المدينة التجارى[٣] ، وانضموا إلى طبقة الأثرياء فيها[٤] ، وتشكل مجتمع يهودى مؤثر لم يكن فى عزلة عن سكان المدينة من المسلمين لدرجة أن أحد الأمراء الأدارسة هام عشقًا بإحدى اليهوديات الجميلات ودخل الحمام إليها[٥]، صدقت الحادثة أم اصطنعها بعض المؤرخين ، فإنها دلالة على اختلاط اليهود مع مجتمع فاس من المسلمين.ساد الاستقرار أفراد المجتمع اليهودى فى مدينة فاس حتى أواخر القرن ٤هـ/ ١٠م،

---

(1) Mann, (J.Q.R.) , 7, 1916 - 17, p. 485 .

(٢) أهل موقع فاس المتوسط بين مصدرى النشاط التجارى بين الشرق والجنوب والشمال والغرب مع الجنوب لأن تتبوأ مكانة اقتصادية عالية ، وأمست من أهم المدن التجارية على الطريق التجارى مع بلاد السودان ؛ (محمود اسماعيل ، ملاحظات حول تاريخ الأدارسة ، ص ٥٧ ، لوتورنو، فاس فى عصر بنى مرين ، بيروت ١٩٦٧، ص١٥) إذ يربطها طريق إلى الشرق عبر ممر تازا ، كما ربطهما طريقان تجاريان مع أغمات وسلجماسة مدخلى القوافل إلى بلاد السودان ، علاوة على الطرق التجارية التى تربطها بمينائى سبتة وطنجة اللذان يعدان أهم الموآنىء فى تجارة المغرب مع الأندلس ؛ (حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص ٢١٧) وبذلك قامت صلات تجارية وثيقة بين أمراء فاس وبين المدن القائمة على منحنى النيجر ، (لوتورنو ، فاس ، ص ١٥٩) واتصلت علاقاتها التجارية مع أودغشت وغربى أفريقيا ؛

Lewicki, West African Food in The Middle Ages, Cambridge, p. 76 .

ومع بلاد الحجاز (لوتورنو ، فاس ، ص ١٥٩) لذلك تدفق عليها اليهود حتى أضحت أكثر مدن المغرب مكانًا لإقامة اليهود لاشتغالهم بالتجارة ، (البكرى ، المغرب ، ص ١١٥ ، نعيم زكى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، هيئة الكتاب ، ١٩٧٣، ص ٣٠٨) ، واثروا من ذلك ثراء عريضًا ؛ (ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١١٠ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ ، هويكنز ، النظم الإسلامية ، ص ٦٩) .

(٣) ليفى بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٣٩ .

(٤) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ .

(٥) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٧٧ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، محمد إبراهيم الكتابى ، الدار البيضاء ١٩٦٤ ، ٣ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

عندما هاجمت قبائل زناتة وجيوش الحكم المستنصر المدينة سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٥م[١] وأخضعتها للسيادة الأموية ، وولى الخليفة الأموى عليها اثنين من الأمراء . فزع بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة ، وأمير دولة بنى زيرى ، لأن خضوع المغرب الأقصى لزناتة والأمويين حول طريق ذهب السودان إلى المغرب الأقصى ومنه إلى الأندلس[٢]، وقاد جيشه إلى المغرب الأقصى فى مستهل سنة ٣٦٩ هـ / يوليو ٩٧٩م [٣]، وجاس خلاله يستولى على مدنه ، وأزاح قبائل زناتة عن مدنه ومعظم منلطقه وأجبرها على الاحتماء فى سبتة أو الفرار إلى الصحارى [٤]، واستعاد مدينة فاس وقتل ولاتها الأمويين وعين عليها من قبله [٥]، وأبعد عدداً من يهود المدينة إلى مدينة أشير ، يفصح عن ذلك رسالة أرسلها الجاؤون سيررا Sherira إلى المجتمع اليهودى فى فاس سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧م [٦].

---

(١) كانت قبائل زناتة وخاصة مغراوة منها حارسًا للمصالح الأموية ببلاد الشمال الإفريقى (سنوسى يوسف ، موقف زناتة من الخلافة الفاطمية ، الفصل الثالث ، الفصل الخامس) لذلك عندما أجفلت زناتة أمام بلكين بن زيرى سنة (٣٦٠ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢م) وثب أمراء الأدارسة بعمال الأمويين فى المغرب الأقصى ، (ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٩٠) طمعًا فى الاستقلال به ، (العبادى ، فى تاريخ المغرب ، ص ٢٣٠) فأرسل المستنصر الأموى جيشًا لاستعادة المغرب الأقصى ولكنه منى بالهزيمة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م ، (مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٩٠٧ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٧) ووالى المستنصر إرسال الجيوش ، وانضمت إليهم قبائل زناتة ، (ابن حيان ، المقتبس ١٩٦٥ ، ص ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٩٢) ، فأنزلوا الهزائم بالأمير الإدريسى حتى طلب الأمان (مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٢٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ، ص ٢٢٢ ؛ المقرى ، نفح الطيب ، ١ ، ٣٨٥) ، واستعاد الأمويون سيطرتهم على كل المغرب الأقصى ، (ابن حيان ، المقتبس ، ص ١١١ - ١١٤) فسيطرت زناتة بذلك عى المغرب الأقصى ، وباتت قوة عسكرية اقتصادية تصدرت بهما الحياة السياسية (سنوسى يوسف ، دور زناتة فى المغرب ، ص ٥١ - ٥٤) .

(٢) الحسن السائح ، الحضارة المغربية عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، ١٩٧٥م ، ١ ، ص ١٣٢ .

(٣) مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ١٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، ١ ، ص ٤٩٢ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ١٥٦ ، ٧ ، ص ١٩ ؛ عنان ، الدولة العامرية ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٥٧ .

(٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ٢٣١ .

(٦) عن مراسلات الجاؤون حاى إلى المجتمع اليهودى فى مدينة فاس ، راجع :
Mann, (J.Q.R.), II, 1920-21, pp. 438 - 442 .

استغلت زناتة انشغال بلكين بن زيرى فى حرب برغواطة واستعادت بعض مناطق نفوذها بالمغرب الأقصى (١)، وساعدت الأمويين على استعادة فاس إلى سيطرتهم سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦م (٢). ولى الأمويون زيرى بن عطية زعيم مغراوة الزناتية على فاس سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م(٣). توارث زعماء مغراوة ولاية فاس حتى انتشر سلك الخلافة الأموية بالأندلس (٤). ورث حمامة بن المعز إمرة فاس سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦م (٥)، وفى عهده غزا أبو كمال تميم اليفرنى المدينة فى جمادى الآخرة سنة ٤٢٤ هـ / ١٠٣٣م (٦)، واستولى عليها ، ونهب منازل اليهود بالمدينة ، وسلب أموالهم وثرواتهم (٧)، وقتل منهم ما يزيد على ستة آلاف بعد أن سبى نساءهم (٨). بلغت الأنباء الرئاسة الروحية فى المشرق ، فكان صداها أليمًا ، إذ نعى صمويل بن حنفى جاؤون مدرسة سورا بالعراق (٩)- وهو المولود فى فاس سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م (١٠)- الحادث فى خطاب للمجتمع اليهودى بالمدينة بقوله " وصلتنا أخباركم فارتعدت قلوبنا وانتزعت من مكانها ، وبكت عيوننا وقلوبنا على تدمير معبدكم ، وقتل أبناء قومنا ، وعلى الضرر الذى وقع على شبابنا ، ونطلب من الله أن يقتل قاتليهم وإن يصيبهم بسوء"(١١).

---

(١) مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ١٨ .

(٢) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١٠٢ .

(٣) مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٢٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٢٠ .

(٤) سنوسى يوسف ، دور زناتة فى المغرب الإسلامى ، ص ٩٩ - ١٠٤ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٣٥ .

(٦) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١١٠ .

(٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٢١ .

(٨) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ، ص ١٦١ ؛ هوبكنز ، النظم الإسلامية ، ص ١٢١ .

(9) Semach, (Hesperis) XIX, 1934, p. 83 .

(10) Abbou, Muslemans Andolous, p. 282 .

(11) Cowley, Bodleina Geniza Fragments, Letter by Samuel B. Hphni to the Commuinty at old Fez, (in Heberw) (J.Q.R.), Vol. 18, 1906, PP. 403 - 405. راجع نص الرسالج العبرية وترجمتها بالملاحق .

رغم الطامة التى نزلت بيهود فاس ، إلا أن غالبيتهم لم يتركوا المدينة ، والغالب على الظن أن الذين تركوها نتيجة هذه الطامة كانوا أتين لتلك المدينة مهاجرين بعد تأسيسها ، أى لا تربطهم بالمدينة أية جذور ، بينما واصل البقاء بها اليهود البربر ؛ الذين يصعب احتمال نزوحهم من المدينة لارتباطهم بالمكان ، واستنادهم على عصبيتهم ، ناهيك أن الأزمة لم تطل سنواتها ، إذ استطاع حمامة بن المعز استعادة فاس سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨م [١]، وانشغل أبو الكمال تميم بقتال برغواطة[٢] . يؤكد ذلك وجود أعداد كبيرة من اليهود قطنوا المدينة عندما دخلها يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين ، وفرض عليهم ضرائب ثقيلة [٣]، كما اشترى منازلهم الى احتاجها لتوسعة جامع القرويين [٤].

سجلماسة :

أنشأ الخوارج الصفرية مدينة سجلماسة سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م [٥]، وتفردت المدينة بموقعها ، وتحكمت فى التجارة الصحراوية ، علاوة على الطرق التجارية التى تربطها بالمراكز التجارية شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ، حتى قيل إنه " يتجهز منها التجار إلى سائر بلاد المغرب وغيرها " [٦]، وإليها تنتهى طرق التجارة عبر المغرب للدخول لبلاد السودان ، فتواصلت تجاراتها مع السودان حتى أمست باب معدن الذهب[٧] والرقيق[٨] وتقاطر عليها

---

(١) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١١٠ ، لكن ابن الخطيب يذكر أن حمامة استعاد فاس سنة ٤٣١ هـ / ١٠٤٠م ، أعمال الأعلام ، ٣ ، ص ١٦١ .

(٢) كان أبو كمال تميم يغزو برغواطة مرتين كل عام يقتل ويسبى حتى وفاته سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٥م ، (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٢١) وذكر البعض أن وفاته كانت سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٧م ؛ (ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١١٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ، ص ١٦٦) .

(٣) مجهول ، الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل ذكار ، عبد القادر زمامه ، الدار البيضاء ١٩٧٩م ، ص ٢٥ .

(٤) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٥٩ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ، ص ١٩٢ .

(٦) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٢٦ .

(٧) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ ؛ القزوينى ، اثار البلاد ، ص ٤٢ ؛ يؤكد ذلك ما ذكره البكرى أن الذهب فى سلجماسة كان جزافًا عدا بلا وزن ، بينما الكرات وزنًا لا عداً ، انظر (المغرب ، ص ١٥١) .

(٨) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٤٠ .

التجار [١]وكثر بها الغرباء [٢]، لذلك سكنها اليهود للاكتساب[٣] ، وشاركوا أهلها هذه التجارة لدربة أهلها على ارتياد الصحارى [٤]، ولم يقتصر عمل اليهود فى سجلماسة على التجارة وحدها بطبيعة الحال ، وإنما عملوا أيضًا فيما استلزمته التجارة من مهن خاصة ، لخدمة تجار العبور مثل السمسرة والخدمات السريعة ، ولم يختلف اليهود عن سكان المدينة المسلمين ، حيث لم تكن هذه المهن حكراً على أى منهما وإن برع فيها اليهود لدربتهم عليها ، كما عمل اليهود من سكان المدينة فى الحرف اليدوية الأخرى ، مثل : غزل الصوف والصباغة[٥]، وبرعوا فى صياغة الذهب وسك العملة[٦] . تبرز أهمية المدينة التجارية بالنسبة ليهود العالم ، حيث ارتادها التجار اليهود من كل مكان ، فقد يأتى التاجر اليهودى من العراق ، قاصداً تلك المدينة طمعًا فى الوصول إلى منابع الذهب ، فيموت فيها ، وينقل يهود المدينة خبر وفاته إلى القيروان ، حيث تسارع السلطات اليهودية فيها بإبلاغ أهله فى بغداد عن طريق الفسطاط ، لتعيين مندوب قانونى للورثة [٧].

تمتع اليهود فى سلجماسة بالحرية الدينية فى ظل حكم بنى مدرار ، ولم ينزل بهم اضطهاد أو تصيبهم إساءة ، حتى قدم الإمام الإسماعيلى عبيد الله المهدى الفاطمى إلى سلجماسة

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٩٦ .

(٢) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(٣) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ .

(٤) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٤٢ ؛

Lessard, La Sidjlismasa Ville et ses Relations Commeriales au XI Sioecle, (Hesperis) 10, 1969, p. 33 .

(٥) ياقوت ، معجم ابيلدان ، ٣ ، ص ١٩٢ .

(٦) يوسف الحكيم ، الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ، ١٩٨٦م ، ص ٧٨ ، ٧٩ ؛ محمد أرحو ، يهود المغرب فى تجارة القوافل الصحراوية ، مجلة الاجتهاد البيروتية ، العدد ٣٤ - ٣٥ سنة ١٩٩٧م ، ص ٩٧ .

(7) Goitein, Mediterranean Society, 2, p. 402 .

متخفيًا[١]، وأفشى سره أحد اليهود ، فنجم عن ذلك إيداعه السجن من قبل اليسع بن مدرار أمير سجلماسة . قدم أبو عبيد الله الشيعى داعية الفاطميين لتخليص الإمام ، واستولى على سجلماسة فى ذى الحجة سنة ٢٩٧ هـ / أغسطس ٩٠٩م[٢]، ما إن علم الداعية الفاطمى ما حاق بإمامة بسبب وشاية اليهود حتى اتخذها ذريعة ليغنم أموال اليهود فصب جام غضبه عليهم وقتل أغنياءهم وغنم أموالهم وأمر بأن تقصر مهنة الكنافة والبناء عليهم تحقيراً لهم وعقابًا على ما اقترفوه فى حق إمامه[٣]، لم يطل أمد المحنة التى ألمت باليهود ، إذ انتهت بعد خروج أبى عبد الله الشيعى وإمامه المهدى من المدينة ، فبعد أن ولى أبو عبد الله الشيعى عاملاً من قبله على المدينة وعاد إدراجه إلى إفريقية ثار أهل سجلماسة عليه وقتلوه بعد خمسين يومًا [٤]؛ واستعاد المدينة الخوارج الصفرية ، وظلت تحت سلطانهم حتى أخضعها جوهر الصقلى مرة ثانية لطاعة الفاطميين وولى عليها من قبلهم سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩م [٥]، إلا أن الخوارج الصفرية ما لبثو أن استردوها سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣م [٦]، وظلت فى طاعتهم حتى زحف إليها خزرون بن فلفول الزناتى فى جموع من مغراوة واستولى عليها سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٨م [٧].

---

(١) هناك شك فى نسب الإمام المهدى ، ويزعم كتاب السيرة أنه يهودى من أهل سليمة الشام ، تزوج القداح الذى كان أصل هذه الدعوة بأمه ، فرباه إلى أن حضرته الوفاة ، ولم يكن له ولد ، فعهد إليه بالدعوة ، وكان اسمه سعيد ، فلما صار الأمر إليه سمى عبيد الله ، انظر (ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ، ص ٢٣٠).

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ، ص ١٤٥ ؛ الدوادارى ، كنز الدرر ، ٦ ، ص ١٠٨ ، وصل أبو عبيد الله الشيعى سلجماسة يريد اقتحامها فتصدى له سورها ؛ (البكرى ، المغرب ، ص ١٤٨) ؛ فضرب الحصار حولها وأرسل إلى أميرها اليسع بن مدرار بإطلاق سراح الإمام مقابل التخلى عن مهاجمة المدينة ؛ (ابن خلدون ، العبر ، ٣ ، ص ٣٦٤) ، ولكنه وجد عدم جدوى الملاينة ؛ فشرع فى القتال حتى هرب أميرها وتمكن أبو عبد الله الشيعى من اقتحامها ، (ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ، ص ١٤٥) .

(٣) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ ؛ . Laghraib, Role Politique de Juifs, p. 167

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ١٥٧ .

(٥) مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ١٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

(٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٠٣ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٣٨ .

زادت أعداد اليهود فى سجلماسة خلال القرن الـ ٤ هـ / ١٠م ، ولا مراء فى أن يكون لهذه الجماعة تنظيماتها ، يؤكد ذلك ما رصدته الأسئلة الدينية الصادرة من المدينة والفتاوى الواردة إليها [١]، ويفهم من فتاوى الجاؤون حاى Hay أن المدينة فى تلك الفترة ضمت أعداداً كبيرة من اليهود سمح الحكام المسلمون لهم بإقامة محكمة يهودية للفصل بينهم ، وكذلك إقامة مدرسة يهودية لتدريس العلوم التوراتية [٢]. وتبرز نوعية الأسئلة والاستفسارات الى طرحها يهود سجلماسة على علماء العراق طبيعة البيئة الصحراوية للمدينة، حيث تضمنت الأسئلة سؤالاً عن مشروعية أكل الجراد خلال المجاعة أو فى الطرق الصحراوية القاحلة [٣]، علاوة على المشكلات الأخرى التى واجهت سكان المدينة من اليهود . يعنى ذلك أن المجتمعات اليهودية تمتعت بالترابط فى ظل الحكومات الإسلامية ، وكان لها استقلالها الخاص داخل تلك المجتمعات الإسلامية .

خلاصة ما تقدم تتضح لنا أن الشعب اليهودى منذ أيام النبى موسى عليه السلام عاش على هامش الحضارات ، حيث نلتقى بهم فى أحضان الحضارة المصرية القديمة ، وفى كنف الحضارة الفينيقية ، ثم انتقلوا للإقامة عى هامش الحضارة البابلية ومن بعدها عاشوا فى ظل الحضارة الفارسية ، وعند عودتهم من الأسر البابلى عاشوا على هامش الحضارة الإغريقية الرومانية ، ثم بعد ذلك تظللوا بحماية الإسلام وبحضارته وعاشوا بين المسلمين كأهل ذمة ، وفى الشمال الإفريقى بدأت هجرة اليهود الحقيقة منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، وهو ما اتفق عليه المؤرخون ، ومنذ ذلك الحين وطأة اليهودية بلاد المغرب ، وتم تهويد أعداد من البربر بالتأثير المباشر من خلال الاحتكاك بين التجمعات اليهودية والقبائل البربرية ، واعتنقت بطون وأفخاذ من هذه القبائل اليهودية ، ومن ثم لم يكن هناك قبائل يهودية ذات أصول فلسطينية قامت على أساس عرقى . ارتحل اليهود إلى العواصم الإسلامية طمعًا فى القرب من السلطة وطلبًا للحماية ، وعمل معظمهم فى التجارة ، وكان لهم استقلالهم الخاص داخل المجتمع الإسلامى .

---

(1)Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I,p. 352 .

(2) Mann, (J.Q.R.), 7, 1916-17, p. 485 .

(3) Mann, Texts and Studies, I, p. 634 .

الفصل الثالث
النشاط الاقتصادى لليهود فى بلاد المغرب

مقدمة – الزراعة « فلاحة الأرض ، ملكية الأرض ، الرعى وتربية الحيوانات » – الحرف والصناعات « صياغة الذهب والفضة، الصناعات المعدنية ، الحياكة والصباغة والحرير والدباغة ، صناعات أخرى » – التجارة « تدريب الصبية والشركات والعائلية ، التجارات التى شارك فيها اليهود ، الوكالة التجارية ، المعاملات المالية ، الطرق التجارية ، اليهود والقوافل التجارية » .

مقدمة :

تشكل الدراسة الحياة الاقتصادية وممارسة أنشطتها حجز الزاوية فى الدراسات التاريخية ، فرصد أنماط الإنتاج ونوعيته يكشف عن الوضعية الاجتماعية ، ومدى مشاركة أصحابها فى الحياة السياسية . ورصد دور اليهود الاقتصادى فى بلاد المغرب يحتاج إلى بحث وتنقيب وتعقب الشذرات والمتفرقات فى المصادر العربية ، ونقد المراجع الحديثة التى عالجت بعض جوانب هذا الموضوع ، وخاصة المراجع اليهودية التى بالغت فى دور اليهود فى اقتصاديات المغرب فى العصور الوسطى ، ولعل غموض دور اليهود فى ذلك مرده اشتهار اليهود بالعمل فى التجارة ، وخاصة تجارة العبور حتى اقترنت التجارة واليهود سويًا ، وكثر قول الباحثين فى ذلك ، وتغاضوا عن دورهم فى المجالات الاقتصادية الأخرى مثل الزراعة والرى والانتاج الحيوانى ، ناهيك عن دورهم فى الصناعات على اختلاف أنواعها ، خاصة الذهب والصباغة والدباغة وغيرها .

وعولت الدراسة على إبراز العامل الجغرافى للمناطق ، والديمغرافى لليهود فى صياغة طبيعة الأنشطة الاقتصادية ، واعتمدت الدراسة فى رصد دور اليهود فى النشاط الاقتصادى على كتب الجغرافيا والرحلات ، التى أمدتنا بمعلومات وفيرة عن منتجات المدن والبلدان التى سكنها يهود المغرب ، ولم تهتم الدراسة بالرصد الوصفى لهذه الأنشطة ، وإنما حاولت الربط بين طبيعة النشاط الاقتصادى ، وتكوين اليهود الذين مارسوه ؛ فإذا غلب على يهود الشتات العمل بالتجارة ، وخاصة تجارة العبور ؛ فإن البربر المتهودين الذين استقروا فى بلدان المغرب

عملوا بالزراعة والرى بسبب طبيعتهم القبلية من جانب ، واستمرار استقرارهم فى مضارب قبائلهم من جانب آخر ، كما عمدت الدراسة إلى البحث عن دوافع اليهود لامتلاك الأراضى الزراعية ، وما تمنحه هذه الملكيات لأصحابها من ترق فى الوضعية الاجتماعية ، واعتلاء الهرم الطبقى .

اختلف تأثير العوامل الجغرافية ؛ لاختلاف طبيعة أقاليم المغرب ، وانتشار اليهود فى كل هذه الأقاليم ؛ منها السهول ذات التربة الخصبة التى تتخللها الأنهار ، وتزيد خصوبتها وخاصة فى بلاد المغرب الأقصى (١)، الذى حبته الطبيعة أيضًا بكثرة الأمطار وارتفاع الجبال؛ إذا ما قورن المغرب الأقصى بالمغرب الأوسط وإفريقية . وأثر التوزيع الديمغرافى ليهود المغرب على طبيعة الأنشطة الاقتصادية التى مارسوها ؛ فاشتغل اليهود المستقرين فى المناطق الريفية والجبال بالزراعة والرعى والانتاج الحيوانى ، بينما انصب عمل اليهود فى المدن على العمل بالصناعات والتجارة ، كما حرص أثرياؤهم على امتلاك الضياع ، لما تضيفه الأرض على مالكها من هيبة اجتماعية ، علاوة على ما تهبه من كسب خاصة أن الإنتاج الزراعى كان يعد أحد ركائز الحياة الاقتصادية فى العصور الوسطى الذى غلب عليها بدائية الصناعات .

اشتهر اليهود بالعمل فى التجارة ، وارتبط اسمهم بها ، واستقر معظمهم على خطوطها ، ومنابعها ومناطق توزيعها ، وخاصة تجارة الرفاهيات والرقيق ؛ فغلب سكنى اليهود فى المدن ذات الأهمية التجارية مثل طرابلس والقيروان وتلمسان وفاس وسجلماسة ودرعة ، وتادلا وبلاد تامسنا وغيرها ، ولعل معظم هؤلاء من يهود الشتات الذين لم يعرفوا وطنًا يرتافون إليه ، فحرصوا عى سيولة أملاكهم ، لتيسر عليهم الانتقال ؛ إذ ما اضطرتهم الظروف الاقتصادية أو السياسية .

الزراعة :

فلاحة الأرض :

اسهم الشتات اليهودى فى تحول المهاجرين اليهود من الزراعة إلى التجارة والحرف (٢)، ولا يعنى ذلك أن يهود بلاد المغرب لم يعملوا بالزراعة وتربية الحيوانات ، فمن غير المعقول

---

(١) عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ٥٧ .

(2) Baron and Kahan, Economic History of The Jews, New York 1975, P. 25; Laghraib, Role Politique, P. 169 .

التسليم بذلك حتى وإن كان معظمهم تجاراً لأن الزراعة واحدة من أهم اقتصاديات العصور الوسطى ، ناهيك عن أن امتلاك الإقطاعيات الزراعية من مظاهر الترقى الطبقى . وخلو المصادر العربية من معلومات عن امتلاك اليهود لأراضى زراعية لايعنى أنهم لم يحوزوا أرضًا أو لم يعملوا بالزراعة . فمعلوم أن المصادر اهتمت بالأساس بالتاريخ السياسى ، وكتب الجغرافيون رصدت منتجات البلدان ولم تخص فئة دون غيرها بامتلاك الأراضى الزراعية ، فإن لم تذكر شيئًا عن عمل اليهود بالزراعة أو امتلاكهم الأراضى ، فإنها لم تنفى ذلك أيضًا . بيد أن هناك بعض المصادر المعاصرة التى أوردت أسئلة وفتاوى دينية تؤكد امتلاك بعض اليهود للأراضى الزراعية واحترافهم مهنة الزراعة ، وتلك أوردها هيرشبرج Hirschberg .

أرسل سؤال من الرباه فى مدينة قابس إلى الجاؤون حاى Hay حول حقل يروى بواسطة قناة تمر من خلال حقل مالك آخر ، ودار نزاع حول حق الانتفاع بالقناة وما ينمو من نبات على جانبيها . والسؤال الآخر يدور حول إرث من الأرض الزراعية مرهونة طالبًا من الجاؤون فتوى حول إمكانية تقسيمها بين الورثة أم بيعها لسداد الرهن ؟ وسؤال آخر من قابس عن بذور تالفة (١). معلوم أن منطقة قابس سكنها كثير من اليهود وفرضت عليهم الدولة القائمة الجوالى (٢)، ومن المؤكد أن جزء منهم عمل بالزراعة ، حيث اشتهرت المنطقة بزراعات الزيتون والموز ، فقد كانت تصدر إلى القيروان اصنافًا كثيرة من الفاكهة (٣)، كما أن شجر الزيتون ينمو بها " ويقوم من الشجرة الواحدة منها مالا يقوم من خمس شجيرات من غيرها "(٤) ولا غرو فى أن ما يدره إنتاج الحرير من ربح وفير جذب إليه اليهود . وبجانب عمل اليهود بالزراعة فى قابس كان هناك ملاك يهود لأرض زراعية يقيمون فى المدينة وتزرع أراضيهم بواسطة نظام المزارعة ، حيث تصلهم نسبة معينة من المحاصيل ، كما يبدو أن الزراعة ى قابس اعتمدت على الرى بالغمر بواسطة النهر (٥).

---

(1) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I, P. 262 .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٢ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ١٧ ؛ هويكنز ، النظم الإسلامية ، ص ٧٠ .

(٣) البكرى ، المغرب ، ص ١٧ ؛ الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٧٩ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ، ص ٢٨٩ .

(5) Menahem, Ben-Sasson, The Jewish Community of Gabes in the 11 The Century, in Commuates Juives des Marges Sahariennes du Maghreb, Edite Par, Michel Abitbol, Jerusalem, 1982, P. 279, 280 .

تشير أسئلة أخرى أرسلت طلبًا للفتوى إلى امتلاك اليهود للأراضى الزراعية فى القيروان وكذلك عملهم بفلاحتها . ففى سؤال أرسل إلى الجاؤون حاى Hay يبين أن الإقراض بضمان الأراضى الزراعية كان منتشراً بين اليهود فى المدينة ، حيث يظل المقرض ينتفع بالأرض لحين سداد الدين (١). ورغم مداومة التحذير من مخالفة ذلك للشريعة اليهودية ، تحايل اليهود لإلباس ذلك ثوبًا شرعيًا ، واستمروا فى الإقراض عن طريق البيع الظاهرى للمقرض ، وعند السداد تعود الأرض لصاحبها(٢)، ومعلوم أن اليهود سكنوا القيروان وزادت أعدادهم بشكل ملحوظ خلال القرن الـ ٢ هـ / ٨م (٣) فى المدينة ، وبلغ البعض منهم منزلة عالية فترة حكم الأغالبة (٤)، وتسنم آخرون الطبقات إبان حكم الفاطميين (٥)، وكذلك فى فترة حكم الزيريين وخاصة فى عهد المنصور وابنه باديس (٦)، مما أتاح لهم فرصة امتلاك الضياع وإن كان من قبيل التسنم الطبقى ، ناهيك عما تدره الأرض من كسب . ولقد اشتهرت القيروان بالفاكهة المختلفة والأعناب والتمر (٧)، ويبدو أن اليهود انخرطوا فى الفلاحة وزراعة الأرض فى القيروان (٨)، بجانب امتلاك الموسرين منهم الضياع (٩).

---

(١) تفرض الشريعة التوراتية على اليهود ألا يقرض أخاه بربا ، وسمحت له بجواز ذلك مع الغير " لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام ، أو ربا شيئًا مما يقرض بربا ، للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب إلاهك " ، سفر التثنية ، الإصحاح ٢٣ ، فقرة ١٩ ، ٢٠ .

(2) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I, P. 263 .

حرم العلماء اليهود البيع المشروط بالرجوع أو البيع المؤقت ، فإذا باع يهودى حقلاً وفقًا لذلك ، فالمشترى ليس له الحق فى الانتفاع من ريع الأرض باعتباره ربا (السيد محمد عاشور ، الربا عند اليهود ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٤٤) . وتقول التوراة فى ذلك " رد لهم اليوم حقولهم وكرومهم وزيتونهم وبيوتهم والجزء من مائة الفضة والقمح والخمر والزيت الذى تأخذونه منهم ربا " سفر نحميا ، الإصحاح ٥ ، الفقرة ١٠ .

(3) Slousch, Travels in North Africa, P. 247 .

(٤) خدم الطبيب اليهودى ، اسحق الإسرائيلى فى بلاط الأغالبة ، انظر ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ٣ ، ص ٥٨ ، ٥٩ ؛ مجهول الاستبصار ، ص ١٦ ؛ وكذلك انظر الفصل الخامس .

(5) Stillman, The Jews of Arab Land, P. 43 .

(6) Ibid., P. 183 .

(٧) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٦ .

(8)Chouraque, A History of The Jews of North Africa, P. 79 .

(9) Mann, (J.Q.R.), 7, 1916-17, P. 483 .

امتلك اليهود كذلك الأرض الزراعية فى تلمسان ، يفصح عن ذلك سؤالان ، الأول : يشير إلى أنه خلال عملية النزوح التى اضطر بعض اليهود اللحاق بها من تلمسان إلى أشير ، كان هناك ضمن المبعدين ملاك لأرض زراعية . ويمدنا الثانى : بمعلومات عن عمل بعض اليهود فى زراعة الكروم [١]، وهو من الزراعات النقدية التى تستخدم فى صناعة الخمور التى تخصص فيها اليهود[٢] . وبديهى أن لا يقتصر عمل اليهود على نوع معين من الزراعات بل من المحتمل أنهم غرسوا وزرعوا جميع المزروعات ، وخاصة أن تلمسان " غلاتها ومزروعاتها كثيرة وفواكهًا جمة " [٣].

سبق القول أن هناك متهودين من البربر ، علاوة على الأسئلة والفتاوى الدينية التى أبانت عمل اليهود بالزراعة وامتلاكهم الأرض ، فإنه لا يمكن إغفال المتهودين من البربر الذين قطنوا منطقة المغرب الأقصى ، مثل فاس وسجلماسة ودرعة وتادلا ، وهى مناطق غلبت عليها السهول ذات التربة الخصبة ، واخترقتها الأنهار التى تزيد من خصوبتها بما تحمله من غرين غنى بالمعادن [٤]. ففى فاس عمل اليهود بالزراعة ، خاصة هؤلاء الذين سكنوا ضواحى المدينة ، حيث اشتهرت فاس بإنتاج الحبوب والفاكهة [٥]، خاصة العنب الذى كان يجفف ويصدر إلى أودغشت [٦]. أما سجلماسة فقد اشتهرت[٧] بالتمر والبستنة [٨] بلغت بساتينها اثنى عشر فرسخًا من كل جانب [٩]، وكثرت فواكهها وأعنابها ، ولعل قبول اليهود

---

(1) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I. P. 264 .

(٢) ابن عبد الرؤوف ، أداب الحسبة والمحتسب ، ص ٩٣ .

(٣) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٤٨ .

(٤) أحمد عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ٥٧ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٨٩ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ١١٦ ؛ ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٤ .

(6) Lewicki, West African Food in The Middle ages, Cambridge, p. 76 .

(٧)القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ، ص ١٦٤ .

(٨) الجنحانى ، نظام ملكية الأراضى الزراعية فى المغرب ، المؤرخ العربى ، ٢٣ لسنة ١٩٨٣ ، ص ٣٠.

(٩) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٤٢ .

لرسوم الطائر الذى يأكل العنب كجزء من التراث اليهودى بالمنطقة [١]، دليل اهتمام اليهود بزراعة الكروم . وكذلك من مزروعاتها أيضًا الدخن والذرة والقطن والكمون والكروياء والحناء[٢]، وهى مزروعات يغلب عليها الطابع النقدى ، مما أغرى اليهود على العمل بها . أما درعة التى سكنها اليهود منذ القدم ، فقد امتلك اليهود فيها أراضى منزرعة بالزيتون[٣]، واشتهرت المنطقة بزراعة الكمون والكروياء والنيلج والحناء [٤]، واختصت بزراعة شجر التاكوت التى تعتمد دباغة الجلود على عصارته [٥]. ومعلوم اهتمام اليهود بالصباغة والدباغة مما حتم عليهم الاشتراك فى فلاحة الأرض وزراعتها للحصول عى المواد الأولية لهاتين الصناعتين وهما النيلج وشجر التاكوت [٦].

ملكية الأرض :

تعتبر إشكالية الأرض الزراعية من الإشكاليات الملغزة فى التاريخ الإسلامى ، حيث خلت المصادر من الإشارات الدالة على الملكية ، ورصدت كتب الجغرافيون منتجات البلدان ولم تخص فئة دون غيرها بامتلاك الأرض الزراعية . وقام أحد الباحثين بدراسة عن ملكية الأرض الزراعية فى بلاد المغرب ، انتهى فيها إلي فرضيات تحتاج إلى مادة تاريخية تدعمها [٧]، ورأى آخر إن الأرض كانت ملكًا للقبائل التى سكنتها [٨]. وربما يرجع عدم استقرار الملكية فى بلاد المغرب لاستمرار الحروب والمنازعات حتى داخل الأسرة الحاكمة ، وقد يكون اقتسام أرض منطقة درعة ما بين المسلمين واليهود بعد قضائهم على النصارى الذين سبق

---

(١) عثر على نقوش يهودية ترجع للعصر الرومانى فى المنطقة عبارة عن تصوير لطائر يأكل العنب على جدران المعابد والمقابر

Goodenough, Jewish Symbols Greco-Roman Period, Panthean Book, 1953, 4,P. 44.

(٢) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٥٩ .

(٣) المكى ، طليعة الدرعة ، ورقة رقم ٥ .

(٤) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٦ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ، ١٧١ .

(٥) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٧ .

(٦) نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٧) الجنحانى ، نظام ملكية الأرض الزراعية فى المغرب ، ص ٢٥ - ٤١ .

(٨) عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ١٣٠ .

انفــرادهم بـالإقليـم(١) - دليلاً على تغير الملكيات من فترة إلى أخرى. والأسئلة الدينية الصادرة من تلمسان تفيد امتلاك اليهود لأرض زراعيـة(٢) ، وفى القيـروان كـذلك ، حيث اندفعت النخبة من اليهود نحو امتلاك الضياع من قبيل التسنم الطبقى ، كما أن سكنى اليهود بضواحى القيروان فى المناطق الريفية يوحى بامتلاكهم للأرض التى عاشوا عليها ومن ريعها ومارسوا فيها الزراعة (٣)، وفى قابس كذلك ، حيث تشير المنازعات المعروضة على بين الدين (المحكمة) إلى امتلاك اليهود لأرض زراعية (٤).

الرعى وتربية الحيوان :

احترف بعض اليهود مهنة الرعى وتربية الحيوانات ، وذلك ليس بغريب ، إذ اشتهرت بلاد المغرب بعامة ومنطقة القيروان بخاصة بإنتاج الأغنام ، وذلك لطبيعة سكانها وجغرافية بلادها ، إذ غلبت القبيلة على السكان ومناطق الرعى على المنطقة . فصل ذلك أسئلة أرسلت إلى الجاؤون حاى Hay تفيد أن أحد اليهود الذى سكن على بعد عشرة أميال من القيروان ، أرسل بعض الأغنام إلى المدينة مع أحد الأغيار (غير اليهود) ، كل واحد منها مختومة بختم يحمل كلمة (بركة) بالعبرية (٥)، مما يوحى أن منتجات اليهود من الأغنام كانت ذات صفة تجارية . ويشير الرابى نسيم بن يعقوب فى كتابه (السلوى) أن اليهود فى زمانه قاموا بتربية الأبقار ، بل أن الفقير منهم شارك غيره فى واحدة منها (٦). ولما كانت الثروة الحيوانية ذات أهمية كبرى لاقتصاديات بلاد المغرب ، ولأن معظم سكانها بدو رعاة ، فإن الكثير من الصناعات ارتبط بها ، فضلاً عن لحومها وشحومها وألبانها(٧)، وقام اليهود بتصنيع الجبن من ألبانها والاتجار فيها ، الأمر الذى ينم عن امتلاك أعداد كبيرة من القطعان تتيح لليهودى انتاجًا اقتصاديًا من الجبن (٨).

---

(١) المكى ، طليعة الدرعة ، ورقة رقم ٤ ، ٥ .

(2) Hirschberg, A History Of The Jews In North Africa I, P. 264 .

(3) Mann, (J.Q.R) , 7, 1916-17, P. 483 .

(4) Menahem Ben-Sasson, The Jewish Community of Gabes, p. 279 .

(5) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa , I, p. 262 .

(6) Ibid., P. 262 .

(٧) موريس لومبارد ، الإسلام فى مجده الأول ، ص ١٤٩ .

(٨) تشير إحدى وثائق الجنيزا إلى يهودى يصنع الجبنة فى قرية قريبة من القيروان ، كمات يأتى ذكر اللبن فى الوثائق كدواء من بعض الأمراض ، انظر :

Goitein, Mediterranean Society, 4, P. 252 .

سكن اليهود منطقة تادلا وجبال فازاز ، وذلك يعنى اشتراكهم فى مهنة الرعى وتربية الأغنام والأبقار التى اشتهرت بها تلك المناطق (١)، حيث كثرت مراعيها ، وخاصة اليهود من بنى يجفش الذين كانوا أهل كسب من الغنم والبقر (٢). أدى شغف القبائل البربرية بالفروسية، واعتماد الحروب القبلية بين الدول على الفرسان إلى اقتناء الخيل وتربيته وتهجينه لإنتاج أفضل السلالات ، ومن ثم أمست تربيتها من الأعمال التى تدر ربحًا ، ومعلوم أن اليهود سكنوا جبل أوراس ، الذى اشتهر بتربية الخيل ، وإنتاج أفضل أنواعها ، حيث غنم منها عقبة بن نافع خيلاً كثيراً ، لم يعرف العرب المسلمون خيلاً " أصلب ولا أسرع منها"(٣). ويؤكد مشاركة اليهود فى تربية الخيل أيضًا أن منطقة فازاز التى سكنها اليهود اشتهرت خيولها بأنها " مدورة القدود ، من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها وحسن تربيتها " (٤). كما تشير وثائق الجنيزا إلى اقتناء اليهود للحمير ، ويظهر ذلك فى خطاب أرسله أحد تجار المهدية يطلب من مراسله فى القاهرة شراء بردعة لحماره (٥). وعملية التهجين بين الحمير والخيل وفرت البغال فى بلاد المغرب ، والأخيرة تتحمل عناء السفر لمسافات طويلة ، وتحمل الأحمال الثقال، لذلك استخدمها اليهود فى بلاد المغرب لنقل البضائع من المدن إلى القرى النائية (٦).

در صيد حيوان اللمط ربحًا وفيراً ، ولم يترك اليهود مجالاً لتحقيق الربح دون ولوجه ، وحيوان اللمط دابة دون البقر لها قرون رقاق حادة (٧)، وكثر هذا الحيوان فى المنطقة الممتدة من سجلماسة حتى غانا (٨)، وهذه المنطقة سكنها اليهود من قبائل السودان الغربى (٩)،

---

(١) التادلى ، التشوف إلى رجال التصوف ، ص ١١١- ١١٢ ؛ الجرنائى ، زهرة الآس ، ص ٤٣- ٤٥.

(٢) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٧ .

(٣) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ٦٣ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ١٤٥ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ١ ، ص ٢٤ .

(٤) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٧ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ، ص ١٦٨ .

(5) Goitein, Mediterranean Society, 4, P. 264 .

(٦) الحكيم ، الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ١٩٨٦م ، ص ١٣٧ .

(٧) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٨) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٨١ ؛ . Lewicki, West African Food, P. 93

(٩) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١٢١ .

ويصنع من جلود هذا الحيوان الدروق اللمطية وهي من أدوات الفروسية التي قاتل بها أهل المغرب لحصانتها وخفة حملها(١) . مجمل القول أن الزراعة والرعي وتربية الحيوانات لم تكن في الأساس مهنة المهاجرين من اليهود ، وإنما غلبت على البربر المتهودين الذين استقروا في الشمال الإفريقي وخاصة في المغرب الأقصى .

الحرف والصناعات :

تعرض اليهود للسبي الذي عرف بالسبي البابلي ، وفقدوا من جرائه الأمان والاستقرار ؛ حتى يمكن القول أن السبي البابلي يعد نقطة تحول في تاريخ البنية الاجتماعية للشعب اليهودي ، حيث تغيرت أنماط حياتهم ، وتحول العديد منهم إلى سكان مدن احترفوا المهن المختلفة ، وتزايد هذا الاتجاه بفعل الأحداث التاريخية التي ألمت بهم ، وتكونت منهم جماعات من الحرفيين والصناع ، زادت في بلاد المغرب ؛ لأن أغلب قبائلها من البدو الذين هم أبعد الناس عن الصنائع(٢) ، لانفتهم من القيام بهذه الأعمال(٣) نجم عن ذلك احتراف اليهود في بلاد المغرب الحرف والصناعات وخاصة المهاجرين منهم . استوجب التنظيم العام لهذه الحرف في بلاد المغرب أن يكون لكل طائفة أو مجموعة من أصحاب الحرفة الواحدة (عريف)(٤) يشرف عليهم ، ولم يكن ينتخب بواسطة زملائه ، وإنما يختاره المحتسب (٥). غلب أهل الذمة على بعض الصناعات مثل صناعة الذهب(٦) ، لذلك ساد اليهود هذه الصناعة لما تمثله من

---

(١) البكري ، المغرب ، ص ١٧١ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٠٤ ، ٤٣٤ ؛ السبب الرئيس للتخصص الحرفي لليهود تم دراسته في ضوء أن اليهود كشعب مشرد كانوا يعتبرون دائمًا دخلاء على أي قطر ، وهذا أدى إلى أن ينظر لهم من وجهة النظر الاجتماعية الاقتصادية كمجموعة خاصة ضعيفة ، وبسبب ذلك ، كان عليهم إما أن يعملوا في أعمال شاقة لم يتطرق إليها غيرهم من قبل ، وأما أن يعملوا في أعمال اقتصادية يكون دور الأهالي فيها محدوداً ، انظر جواتياين ، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصي ، الكويت ، ١٩٨٠م، ص ١٦٩ .

(3)Ashtor, The Jews and The Mediterranean Economy, P. 11.

(٤)لفظة طائفة تدل على اتحاد الحرفيين في العصور الوسطى ، أو التجار حيث يشرف على أعمالها أحد أفرادها وتديرها الدولة ، انظر جواتياين دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ١٧٥ .

(5) Goitein, Mediterranean Society, I, P. 84 .

(٦) يرجع جواتياين سبب عمل اليهود في الذهب والفضة ، إلى أن إيداع معادن ثمينة عندهم تكون في مأمن أكثر من إيداعها عند أشخاص ينتمون إلى مجموعات أكثر منهم قوة ، ويكون من الممكن استعادتها من طائفتهم أو أقرانهم في حالة الاحتيال أو السرقة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ١٦٩ .

سيولة واستثمار مضمون وكان لقرب بلاد المغرب من مصادر الذهب الأثر الأكبر فى شيوع هذه المهنة ، فقد أقام اليهود الأسواق للمصنوعات الذهبية(١) وخاصة فى المدن القريبة من مصادره مثل سجلماسة(٢) ودرعة(٣). وتجول الصياغ بين البلاد(٤) .

احترف اليهود كذلك صياغة الفضة فى بلاد المغرب ؛ إذ كانت درعة غنية به (٥). ونسب إلى مدينة سبتة صائغى فضة من اليهود ، حيث كانوا ينزحون منها إلى أوربا وسيلان (٦) . ويبدو أن هناك علاقة ما بين هذه الصناعة وقرب مدينة سبتة من أوربا . أقبل سكان القرى من البربر عى شراء المصنوعات الفضية من الصناع اليهود لرخص أسعارها عن الذهب ، كما أن مشغولاتها تؤدى نفس الدور فى الزينة والتحلى لنسائهم ، لذا كان تصميم هذه المشغولات يتم وفقًا للتقاليد البربرية(٧) واحترف اليهود كذلك تشكيل النحاس ، وخاصة فى جنوب غربى المغرب الأقصى ، فقد كان بتادلا التى سكنها اليهود مناجم النحاس الخالص " الذى لا يعدله غيره ويحمل منها إلى مختلف البلدان " (٨). واستخدم النوع الأصفر منه فى صناعة الصوانى المستديرة وأدوات العبادة مثل الشمعدان رمز شجرة الحياة فى الحضارة اليهودية(٩)، بينما

---

(١) الحكيم ، الدوحة المشتبكة ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ مولر ، حياة اليهود فى مراكش ، ص ١٣٩ .

(٢) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٤ .

(٣) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(4)Slousch, Travels in North Africa, P. 431.

(٥) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٨٨ ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، المغرب العربى ، ٢ ، ص ٤١٢ .

(6) Goitein, Mediterranen Society, I, P. 50; Idem (Jesho) 6, 1963, p. 280 .

(٧) مولر ، اليهود فى مراكش ، ص ١٣٩ .

(٨) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٤١ .

٩٠) يقلد اليهود الشمعدان الذهبى ذو الفروع السبعة الذى كان قائمًا فى خيمة الاجتماع ، وحوى هيكل سليمان عشر شمعدانات ذهبية فضلاً عن أعداد أخرى فضية ، والشمعدان شجرى الشكل يحتوى على عمود وأذرع عى هيئة زهور اللوز ، إشارة إلى شجرة الحياة ، وفى كل معبد يوجد شمعدان اقتداء بشمعدان هيكل سليمان ، (المسيرى - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٣٨٨) وهو رمز يتكرر وجوده فى كل استخدامات الفن . وحرم الرباه تصويره بشكله المقدس ، ويمكن صنعه بخمسة أو ستة أو ثمانية فروع ؛ انظر:
Goodenough, Jewish symboles, 4, P. 71 .

استخدم النحاس الأحمر فى صناعة القدور والطاسات والمراجل[١] . وتعتبر مدينة فاس أهم مراكز إنتاج النحاس فى المغرب ، فقد احتوت اثنى عشر داراً لسبك النحاس [٢]. ويبدو أن إنتاج النحاس وتصنيعه كان منتشراً فى جميع المدن التجارية الصناعية ، وخاصة فى مدن المغرب الأقصى التى سكنها اليهود ، لعلاقته بالتجارة مع بلاد السودان ، حيث كانت الصناعات النحاسية من أهم الصادرات المغربية إليها[٣] . والحدادة من أهم الحرف التى زاولها اليهود فى بلاد المغرب ، وخاصة فى جنوبى المغرب الأقصى ، حيث ظلوا يحترفونها حتى أواخر العصور الوسطى [٤].

عمل اليهود كذلك فى حياكة الملابس [٥]، وثمة اعتقادات قديمة عند السكان أثرت فى الشكل العام للملابس ، وخاصة عند النساء ، فقد حيكت وفقًا لها . وعلى سبيل المثال فضل السكان الملابس التى تحمل نقوشًا مثل كف اليد (كف فاطمة) وبعض الزخارف الهندسية التى تحمل فى مضمونها العدد خمسة اتقاء للحسد [٦]. وهو ما جعل الصباغة حرفة أخرى عمل بها اليهود ، حيث تعتبر الصباغة وما صاحبها من عمليات خاصة تحدد لون الخامات ، مثل التلوين بألوان قوس قزح ، مع صقلها وتلميعها ، تخصصًا يهوديًا حقيقيًا ، وفق ما يمكن استنتاجه من مئات الإشارات الخطية فى الجنيزا [٧]. ويورد ابن أبى زرع أن دور الصباغة فى مدينة فاس على أيامه بلغت مائة وستة عشر دارا [٨]، وكانت هذه الدور بجانب الوادى الكبير الذى سكن اليهود أسفله [٩]، ويعنى ذلك أن يكون عدد من هذه الدور من نصيب اليهود ، بحيث تكون أعمالهم بالقرب من سكناهم . كما كانت هذه الصناعة من الأهمية

---

(١) مولر ، اليهود فى مراكش ، ص ١٤٢ .

(٢) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٨ ؛ الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٣٣ .

(٣) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٤١ ؛ سنوسى يوسف ، دور زناتة فى المغرب ، ص ٣٣٥ .

(٤) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٣٣ ؛ ليون الإفريقى ، وصف إفريقيا ، ص ١٣١ ، ١٦٣ ؛
Slousch, Travels in North Africa, P. 431 .

(٥) الحكيم ، الدوحة المشتبكة ، ص ١٣٧ .

(6) Yedida, K. Stillman, Castume as Cultural The Jews of Medieval Islam, P. 132 .

(٧) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ١٦٩ .

(٨) الأنيس المطرب ، ص ٤٨ .

(٩) الجزنائى ، زهرة الاس ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

بمكان ، حيث استورد اليهود مواد الصباغة من مصر[١] وفلسطين ومن كرمان جنوب شرق فارس ومن الهند[٢] ؛ علاوة على النيلج الذى يزرع فى إقليم درعة[٣] . وقد حمل صناع هذه المهنة فى مدينة القيروان لقب الصباغ [٤].

وصلت صناعة الحرير إلى الشمال الإفريقى ، وخاصة إلى مدينة قابس ، فهى المكان الوحيد الذى ينمو فيه شجر التوت فى إفريقية [٥]، ومن المحتمل أن يكون سر صناعة الحرير قد وصل إلى قابس مع المسلمين الذين أتوا من سوريا ولبنان فى بدايات الحكم الإسلامى للمنطقة ، حيث تأسست هذه الصناعة أولاً فى صقلية والأندلس ومنها وصلت إلى قابس [٦]. تخصص اليهود فى كل الأعمال الحريرية ، ابتداء من تفكيك غزله إلى نسجه وصباغته ، وينطبق ذلك على تجارة الحرير ، سواء كان خامًا أو مصنعًا [٧]. وعمل يهود قابس فى هذه الصناعة [٨]، وبرعوا فيها حتى أضحت صناعة الحرير فى قابس تضاهى منتجات صقلية والأندلس أكبر مراكز الحرير فى ذلك الوقت [٩]، كما تكشف وثائق الجنيزا التى ترجع إلى أوائل القرن الـ ٥هـ / ١١م عن وجود معامل لتصنيع والحرير فى مدينة القيروان يعمل بها صناع من اليهود[١٠].

عمل كثير من اليهود فى دباغة الجلود[١١] . معلوم اشتهار بلاد المغرب بتربية الماشية[١٢]، خاصة فى المغرب الأقصى الذى ينمو فيه شجرة التالكوت [١٣]؛ التى تستخدم

---

(١) تشير قوائم السلع إلى قيام اليهود باستيراد النيله من مصر ، انظر :
Goitein Mediterranean Society, 4, P. 172 .

(2) Stillman, (Jesho) 16, 1973, PP. 38-39 .

(٣) ابن خلدون ، العبر ٦ ، ص ١٠٢ .

(4) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I. 267 .

(٥) البكرى ، المغرب ، ص ١٧ ؛ . Goitein, Op. cit. I, P. 102 .

(6) Goitein, The Main Industries, P. 173 .

(٧) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ١٦٨ .

(8) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I,P. 265 .

(٩) هايد ، تاريخ التجارة ، ١ ، ص ٣٣ .

(10) Goitein, Mediterranean Society, I,P. 84 .

(١١) الدوحة المشتبكة ، ص ١٣٧ ؛ موريس لومبارد ، الإسلام فى مجده الأول ، ص ٣٠٩ .

(12) Stillman, (Jesho) 16, 1973, P. 71 .

(١٣) البكرى ، المغرب ، ص ١٥٢ .

عصارته فى دباغة جلود الأغنام والبقر والإبل حتى يجهز لاستخدامه على هيئة مصنوعات جلدية تتم وفقًا لذوق السكان من العرب والبربر (١)؛ لأنهم مثلوا غالبية السكان ؛ فكانوا السوق التجارية التى حرصت اليهود على إرضاء أذواقها ؛ إذ يذكر ابن خلدون أن السوق نافقة إذا ناسبت بضائعها أصحاب الثروات (٢).

ازدهرت دباغة الجلود فى مدن المغرب ، مثل برقة التى سكنها اليهود حيث عمرت بـ " ديار لدباغ الجلود البقرية والنمود الواصلة إليها من أوجلة " (٣)، وكذلك قابس التى كثر بها اليهود(٤) وعملوا بدباغة الجلود . وتلمسان من المدن التى اعتمدت على الجلود المدبوغة فى بعض الصناعات الجلدية وخاصة سروج الخيل(٥) ، وبلغت هذه الصناعة درجة من الرقى حتى أنتجت الرق الذى استعمل فى الكتابة(٦) . كما انتشرت دباغة الجلود على نطاق واسع فى مدن المغرب الأقصى مثل فاس(٧) واغمات(٨) ، وكلها مناطق سكنها اليهود .

امتهن اليهود فى بلاد المغرب أيضًا حرفة صناعة السلال التى استعملت بمختلف أشكالها فى النقل البحرى ، حيث يعبأ فيها النحاس والزجاج وملح الأمونيا ، وكذلك الكتب ، حيث صنعت لها خصيصًا سلال مجدولة (٩) . ومن المنطقى أن تنمو هذه الصناعات فى المدن ذات الموانى البحرية مثل جزيرة جربة ، التى تخدم التجارات الواردة والصادرة من وإلى بلاد المغرب، وكذلك تجارة العبور . واتخذ صناع السلال لقب " قفاص " وتشير إحدى الوثائق التى ترجع إلى سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦م إلى لقب القفاص ملحقًا باسم أحد الصناع اليهود (١٠) .

---

(1) Arnold and Gennep, Jewish Arts and Carfts in North Africa, (Menorah Journal) 12, February 1926, P. 45 .

(٢) المقدمة ، ص ٤٠٣ .

(٣) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٣١٠ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٢ ؛ الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٢٧٩ .

(٥) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٤٠ .

(6) Hirschberg, A History of The Jews in North The Africa, I, P. 271 .

(٧) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ٤٨ ؛ الجزانانى ، زهرة الاس ، ص ٣٤ .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ، ص ٢٥٥ .

(9) Goitein, Mediterranean Society, I, P. 334 .

(10) Ibid, I, P. 155; Idem The Main Industries, P. 170, Note (4) .

حرمت صناعة الخمور على المسلمين واحتكرها أهل الذمة ، وخاصة اليهود فى بلاد المغرب[١] ، فهى من الصناعات المرتبطة بالإنتاج الزراعى ، حيث تستخرج من الكروم ، ومن الطبيعى أن تزدهر هذه الصناعة فى المدن القريبة من أماكن إنتاج الكروم مثل مدن المغرب الأقصى ، التى يجود فيها العنب الأبيض والأحمر والأسود [٢] ، وكذلك فى المدن الكبيرة كعواصم الأقاليم . جلبت صناعة الخمور على اليهود بعض المضايقات من القضاة والمحتسبين ، مثلما حدث فى القيروان من تكسير لقدورهم التى يعتق فيها الخمور ، أو صهرها وتحويلها إلى نحاس ثم يرد إلى أصحابها من اليهود [٣].

امتهن اليهود صناعة الدواء فى بلاد المغرب لا جدال[٤] ، فقد نبغوا فى الطب واختصوا به حتى كاد أن يكون وقفًا عليهم ، ومن ثم قاموا بتحضير العقاقير والأعشاب الطبية وابتكارها[٥] ، فقد ابتكر أحد اليهود ويدعى نحوم كان يقطن القيروان مرهمًا للعين ، وأنتج منه كميات كبيرة أرسل منها إلى القاهرة[٦] . كما قام الطبيب موسى بن العيزار طبيب البلاط الفاطمى[٧] بتركيب شراب الأصول " وذكر أنه يفتح السدد ويحلل الرياح والأمغاص العارضة للنساء عند حضور طمثهن ، ويدرر الطمث ، وينقى الرحم من الفضول المانعة لها من قبول النطفة ومن الأخلاط اللزجة التى تكون سبب إسقاط الأجنة ، وينفع الكلى والمثانة ، ويحل الماء الأصفر من البطن ويخرجه بالبول "[٨] . ومن المهن الطبية التى عمل بها اليهود أيضًا خصى العبيد [٩] ، فقد كانت مدينة بجانة بالأندلس مركزاً هامًا لتجارة وخصى العبيد بواسطة اليهود [١٠] ، ومن المرجح أن يقوم يهود بلاد المغرب بنفس المهنة التى عمل بهاإخوانهم فى بجانة وخاصة فى مدينتى وارجلان وزويلة التى كانتا مركزاً لتجارة الرقيق الأسود [١١] ، واستقر بهما اليهود [١٢] ، وخاصة أن هذه المهنة حرمت على المسلمين .

---

(١) الونشريسى ، المعيار ، ٦ ، ص ٤١٨ ؛ ابن عبد الرؤوف ، أداب الحسبة والمحتسب ، ص ٩٥ .
(٢) ليون الإفريقى ، وصف إفريقيا ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .
(٣) الونشريسى ، المعيار ، ٦ ، ص ٤١٨ .
(٤) الونشريسى ، المعيار ، ص ٣١٩ .
(٥) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ١٦٩ .
(6) Mann, (J.Q.R.) 9, 1918-19, p. 151 .
(٧) انظر الفصل الخامس .
(٨) القفطى ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبعة الخانجى ، ١٣٢٦ هـ ، ص ٢١٠ .
(٩) موريس لمبارد ، الإسلام فى مجده الأول ، ص ٣١٦ .
(١٠) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٠ .
(١١) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ، ص ١٦٠ .
(١٢) أبو زكريا ، سير الأئمة وأخبارهم ، ص ١٣٣ ، ١٦٢ .

التجارة :

تعتلى التجارة منصة المهن التى اشتغل بها اليهود ، وكان الشتات من أهم الأسباب التى أدت تفضيلهم هذه المهنة ؛ إذ لم يعد لهم وطن يرتافون منه ويأمنون إليه ، ومن ثم حرصوا على أن تكون أموالهم سائلة ، كما أسفر عن تكوين سلسلة من التجمعات اليهودية تمركزت على طرق التجارة الكبيرة [(١)]، ومن ثم أصبحوا تجاراً بالضرورة[(٢)] . وبحكم الممارسة حازوا خبرة كبيرة أدت إلى نجاحهم فى هذه المهنة . حتى أن الصبية اليهود تدربوا على العمل بالتجارة ، فمن الشائع بين اليهود أن يتركوا أبنائهم لدى إحدى الوكالات التجارية الكبيرة يتعلم فيها أصول التجارة ، ولم يختلف يهود الشمال الإفريقى عن إخوانهم فى ذلك ؛ فقد أرسلت أسرة مقيمة بالمهدية ولدها إلى القاهرة ليتدرب على العمل بالتجارة لدى قريب له ، فما إن اكتسب بعض الخبرة حتى طلب الوالد من معلمه أن يمنح الابن بعض الاستقلالية فى العمل التجارى ؛ بأن يعطيه كميات محدودة من البضائع ليتعامل فيها ، وما إن يبلغ سن الرشد حتى تزيد كميات البضائع حجمًا وقيمة حتى يصبح تاجرا ذو خبرة[(٣)]. ومن أمثلة ذلك ابن عوكل الذى يعد أكبر وكلاء التجار المغاربة فى مصر ؛ إذ تعلم فى وكالة والده ، وسافر إلى المغرب وجاب أقطاره وخبر بضائعه ، وعرف تجاره اليهود ، ثم عاد إلى مصر ، فأصبح أشهر التجار اليهود فيها [(٤)]. أفرزت هذه التربية والتدريب شركات عائلية Family Part-nerships ، أى تكونت من أفراد الأسرة الواحدة ، مثال ذلك عائلة التاهرتى ، التى سكنت مدينة القيروان ، وكونت شركة تجارية من الأب وأربعة من أبنائه وثمانية من أحفاده [(٥)].

التجارات :

أشارت المصادر العربية إلى سوق اليهود بالقيروان [(٦)]، ولا غرو أن يكون لهم أسواقًا أخرى فى المدن التجارية الهامة مثل المهدية وتلمسان وفاس وإن أغفلتها المصادر ، والراجح أن

---

(1) Laghraib, Role Politique, P. 169 .

(٢)حسن ظاظا ، السيد محمد عاشور ، اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة ، القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٢ .

(3) Goitein, Mediterranean Society, 2, PP. 191 - 192 .

(4) Stillman (Jesho) 16, 1973, P. 17 .

(5) Goitein, Commercial and Family Partner Ships in The Countries of Medieval Islam, (Islamic Studies) 3, September 1946, PP. 330-331 .

(٦) الرقيق ، فتح إفريقية والمغرب ، ص ١٦٧ ؛ توفى الرقيق فى القرن الـ٥ هـ / ١١م ، ولايعنى ذلك أن السوق كانت فقط فى زمانه ، بل من المحتمل أنها كانتت موجودة منذ القرن الـ ٢هـ / ٨ م .

التعامل فى هذه الأسواق لم يكن حكراً على اليهود ، وإنما نسبت إليهم من كثرة التجار اليهود فيها . يلحق بالأسواق فنادق لإقامة التجار الغرباء ، حيث يضعون أمتعتهم وبضائعهم فى أسفلها وينامون فى أعلاها ، وغالبًا ما تتم فيها عمليات البيع والشراء . وفى تونس امتلك تجار المدن الإيطالية اليهود فنادق لأهميتها التجارية(١) ، فقد حوت " أسواقًا كثيرة ومتاجر عجيبة ، وخمسة عشر حمامًا ، وفنادق كثيرة رفيعة "(٢) . خص التجار اليهود فى بلاد المغرب بعض السلع باهتمامهم ، ومن هذه السلع الكتان الذى يستورد من مصر ، وتعكس وثيقتين مؤرختين فى ٣٥٧ - ٣٦٨ هـ / ٩٦٧ - ٩٧٨م الاهتمام بالعلاقات التجارية بين الفسطاط والقيروان (٣)، تظهر أهمية تجارة الكتان من خلال كثرة الأنواع والكميات المرسلة من مصر إلى بلاد المغرب عن طريق التجار اليهود (٤). ففى خطاب أرسل سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م إلى أحد التجار اليهود المغاربة المقيم بالقاهرة من عميله بالقيروان يبلغه أنه يبيع أربعة بالات من الكتان فى اليوم ، واستمر البيع لمدة ٢٠ يومًا (٥). كما كانت منتجات الشرق الأخرى من أهم واردات بلاد المغرب عن طريق مصر ، حملها التجار اليهود إلى معظم المدن فى الشمال الإفريقى(٦) ، وخاصة الموانىء ، حيث يعاد تصدير الفائض منها

---

(1) Meanahem Ben-Sasson, Italy and Ifriqia From The Ninth to The Eleventh Century, in Les Relation Intercommunautaires Juives en Mediterranean Occidentale, Paris 1982, P. 36.

وخلال الفترة الباكرة من العصور الوسطى ، كانت هناك مبان خاصة بالتجار الأجانب سواء فى مدن البحر المتوسط أو المدن الداخلية . وكانت هذه المبانى تقوم بتقديم الحماية بالإضافة إلى الامتيازات لهؤلاء التجار ، كما كانت تقوم بتسهيل الأمر على الحكومات المحلية من أجل وضع التجار الأجانب تحت السيطرة الكاملة ، وقامت فى مدن البحر المتوسط مبان خاصة بالتجار الأجانب مثل المتياتا فى بيزنطة ، والفندق فى العديد من المدن الإسلامية ، متأثرة بالفونداكو البندقى (Fundaco)

Lepez, Raymond, I, Medieval Trade in The Mediterranean World, London, 1955, PP. 84-85

(٢)البكرى ، المغرب ، ص ٤٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ، ص ٦٠ .

(3) Mann, Texts and Studies, 1, P. 359 , 360-363 .

(٤) تشير وثائق الجنيزا إلى ١٧ نوعًا من الكتان المصرى صدرت للشمال الإفريقى ، انظر جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٤٢ .

(5) Goitein, Mediterranean Society, 1, P. 277 .

(6) Hirschberg, A History of The Jews In North Africa, 1, p. 253 .

إلى الأندلس[١] فقد سكن التجار اليهود المغاربة فى المدن الساحلية على البحر المتوسط وشبه الجزيرة العربية والهند منذ القرن ٤هـ/١٠م ، وبخلاف التجار اليهود الذين جاؤا أيضًا من مدن صغيرة مثل قرى جبل نفوسه ودرعة [٢]، ومن ثم كان لهم نصيب فى تجارة الكارم التى بدأت فى آواخر عهد الفاطميين ، حيث اتخذ أحد التجار اليهود ويدعى محروس بن يعقوب الذى ينسب إلى بلاد المغرب من مدينة عدن مقرًا لنشاطه التجارى ، وبلغ هناك أعلى المناصب الدينية حتى أصبح رئيسًا لليهود باليمن [٣].

أما أهم صادرات بلاد المغرب إلى الشرق فكانت زيت الزيتون من سوسة وصفاقص وكذلك الثياب السوسية والمهدوية والجلود والنيلة والسكر والفضة[٤] والزعفران والشمع والصوف[٥]. شارك التجار المسلمون اليهود فى معظم هذه التجارات ، بيد أن التجارة التى جذبت اهتمام اليهود كانت تجارة الرقيق لأرباحها الهائلة ، لذلك لعبوا دورًا بارزًا فى أسواق الرقيق المحلى فى بلاد المغرب [٦]، مثلما لعبوا نفس الدور منذ القرن ٢ هـ / ٨م فى مدينة أربونة الفرنسية ، حيث اشتهروا بتجارة الرقيق والجوارى والخصيان مع بلاد الأندلس ، وفضلاً عن ذلك صدر التجار اليهود فى جنوب إيطاليا ونابولى وبالرمو الرقيق إلى العالم الإسلامى[٧]. والمصادر العربية واليهودية المعنية بتاريخ الشمال الإفريقى لم تشير إلى

---

(1) Goitein, Mediterranean Society, I, P. 213 .

(٢) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الرسلامى ، ص ٢٦٩ ؛ Goitein, Jews and Arabs p. 115 .

(٣) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٨١ ؛ وعن تجارة الكارم وبداية ظهورها وأنواع سلعها ، انظر : صبحى لبيب ، التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصر الوسطى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٥٢م ؛ عطية القوصى ، أضواء جديدة على تجارة الكارم ، مجلة الجمعية المصرية التاريخية ، م ٢ ، لسنة ١٩٧٥م .

(4) Goitein, Mediterranean Society, I, P. 212, 216 .

(٥) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٤٠ .

(6) Baron and Kahan, Economic History of The Jews, P. 30 .

تبيح الديانة اليهودية استرقاق غير اليهودى ، ولا يجوز افتداءه ويبقى رقيقًا أبد الدهر ، لأن الله فى اعتقادهم جعل الغرباء عبيد لليهود ، انظر عبد السلام الترمانين ، الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ٢٣ نوفمبر ١٩٧٩م ، ص ٢٩ .

(٧) هايد ، تاريخ التجارة ، ١ ، ص ١٤١ .

اشتغال اليهود فى هذه التجارة ، بيد أن الجيوش الإسلامية فى بلاد المغرب كانت تضم أعداداً كبيرة من الرقيق الأسود ، كما عجت قصور الأسرات الحاكمة بالخصيان والجوارى من بلاد السودان والصقالبة [١]. وعندما أصبحت بلاد السودان هى المصدر الرئيسى فى العالم الإسلامى ، بعدما نضبت مصادره بسبب تحول الصقالبة للمسيحية والأتراك للإسلام[٢] ، اغتنم اليهود هذه الفرصة وخاصة من سكان وارجلان [٣]، حيث كانت تأتيها القوافل محملة بالرقيق الأسود[٤]، مما أثر على التركيب الاثنى فى منطقة وارجلان وقسطيلية[٥] ، كما كانت سجلماسة من المدن التى سكنها اليهود[٦] وشاركت فى تجارة الرقيق ، فقد كان الخدم السود الذين يباعون فى بلاد الإسلام يأتون عن طريق سجلماسة " إذ هم ليسوا نوبة ولا زنج ولا حبشة ولا من البجة ، وإنما هم جنس على حدة أشد سواداً من الجميع وأصفى " [٧]، ولذلك صدرت سجلماسة الرقيق إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى[٨] ، وفى االمقابل صدرت سجلماسة إلى بلاد السودان وأدوغشت القمح والعنب المجفف الذى يأتيها من فاس والمنتجات الحديدية التى تصلها من تادلا - التى سكنها اليهود[٩] - وكان أحياناً يتم التعامل بالمقايضة بدلاً من المقابضة ، حيث يستبدل الملح بالذهب فى بعض ممالك السودان ، وبلغ الحمل منه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار [١٠].

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٩٥ ؛ Sachar, A History of The Jews , P. 170 .

(٢) موريس لومبارد ، الإسلام فى مجده الأول ، ص ١٧٤ - ١٧٧ ؛ محمود إسماعيل ، سسيولوجيا الفكر الإسلامى ، ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٣) أبو زكريا ، سير الأئمة وأخبارهم ، ص ١٦٢ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ٧ ، ص ٥٢ ؛ ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٦ .

(٥) سعد زغلول عبد الحميد ، المغرب العربى ، ٢ ، ص ٥٦ .

(٦) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ .

(٧) الاصطخرى ، المالسك والممالك ، ص ٤٠ .

(٨) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٢ ؛ القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٤٢ .

(٩) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٣٣ ؛ ليون الإفريقى ، وصف إفريقيا ، ص ١٣١ ، ١٦٣ ؛ Slousch, Travels in North Africa, P. 431 .

(١٠) البكرى ، المغرب ، ص ١٧٤ ، ١٨٣ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢١٤ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ، ص ٢٩١ .

لعب التجار اليهود دوراً هامًا فى التجارة مع بلاد السودان - ففى فاس - التى يربطها طريق إلى الشرق عبر ممر تازا ، ويربطها طريقان مع أغمات وسجلماسة [١]؛ مدخل القوافل إلى بلاد السودان - أقام اليهود ، حتى أضحت فاس أكثر مدن المغرب مكانًا لإقامتهم لاشتغالهم بالتجارة [٢]، صدرت المدينة إلى بلاد السودان المنتجات الصناعية والزراعية والنحاس الذى برع اليهود فى تصنيعه بالمدينة [٣]، ولذلك أثرى اليهود ثراءً كبيراً ، مما أثار حنق الأمراء الزناتيين عليهم[٤] . كما عمل يهود درعة فى التجارة ، وخاصة أنها محطة من محطات الذهب الآتى من بلاد السودان [٥]، ناهيك عن أسواقها المتعددة[٦] ، التى صدرت إلى جميع البلدان انتاجها من الحناء وبذورها ، وكذلك النيلج ، فضلاً عن معدن الفضة الذى يستخرج من أراضيها [٧].

الوكالة :

تعامل اليهود فيما بينهم ، متخذين من الوكالة نظامًا ، فالوكيل يوزع البضائع على عملائه ويبيع لهم بضائعهم ويقوم مقام المصرف ، فإذا استدان أحد عملائه منه أو من غيره يودع العميل لديه أموالاً وفاء لذلك الدين عندما يحين موعد استحقاقه [٨]، ويستبدل لعملائه أيضًا عملتهم بالعملة المحلية [٩]، كما تودع لديه البضائع أحيانًا ليتصرف فيها نيابة عن صاحبها [١٠]، ولابد أن تتوافر فى الوكيل عدة شروط منها : أن يكون ذا ثروة بالقدر

---

(١) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٦٠ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ٨٨ ، ١٤٦ - ١٤٧ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) البكرى ، المغرب ، ص ١١٥ ؛ نعيم زكى ، طرق التجارة ، ص ٣٠٨ .

(٣) مولر ، اليهود فى مراكش ، ص ١٤٢ .

(٤) انظر ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٥) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(٦) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٦ .

(٧) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٨٨ .

(٨) عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ٣٠٤ .

(٩) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٧٢ .

(10) Goitein, Mediterranean Society, 1, P. 168 .

الذى يجعله يملك مكانًا متسعًا للتخزين ، وهو ما يسمى بالوكالة ، ناهيك عما تمنحه هذه الثروة من ثقة التجار ، وأن يكون ذا سمعة طيبة لدى الحكومة ، حتى يحصل على الترخيص اللازم (١). وتشير الوثائق إلى أشهر الوكلاء التجاريين لليهود المغاربة بالقاهرة أبى يعقوب أبى فرج يوسف بن يعقوب ابن عوكل (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨م) الذى احتل موقعًا بارزاً فى المجتمع التجارى المصرى ، وكان زعيمًا للطائفة اليهودية فى البلاد ، كما كان وسيطًا بين المجتمعات اليهودية المغربية والمدارس اليهودية فى العراق وفلسطين . وقدم ابن عوكل من تونس إلى مصر مع الفاطميين بعد سنة ٣٦٧ هـ / ٩٦٩م(٢) ، وتشير الوثائق إلى البضائع التى صدرها ابن عوكل إلى بلاد المغرب وخاصة الكتان ، فقد صدر منه فى عام واحد إلى المهدية وحدها ما يوازى أربعة وخمسين طنًا (٣). ولتسهيل عمليات الاستيراد والتصدير من القاهرة إلى بلاد المغرب من ناحية ، ومن بلاد المغرب إلى الشرق مروراً بالقاهرة من جانب آخر عين ابن عوكل وكيلاً له فى مدينة القيروان (٤).

خلف ابن عوكل فى مصر المدعو جودة بن سيجمار وكيلاً عن التجار اليهود المغاربة فى البلاد . قدم من القيروان سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨كم ، وتزوج من عائلة كبيرة بالقاهرة ، وعمل فى الفترة ما بين ٤٤٧ - ٤٩٢ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٩٨م . والوكيل الآخر كان نهراى بن نسيم الذى وصل إلى القاهرة سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤م ، وحاز شهرة واسعة (٥). كما عمل بنفس الوظيفة أحد اليهود الذى أتى من مدينة سجلماسة فى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، ويدعى أبو زكريا جودة كوهين ، وتزوج من أخت محروس بن يعقوب رئيس اليهود فى اليمن ووكيل التجار هناك ، وأحد كبار تجار الهند ، كما يعود بأصله إلى بلدة لبدة الليبية (٦). وفي كثير من الحالات عمل المسلمون كعملاء تجاريين ووكلاء لليهود ، فمثلاً أرسل التجار المسلمون التوانسة بالقاهرة شحناتهم عن طريق بلدياتهم نهراى بن نسيم ، كما كان أحد المسلمين مندوبًا لابن عوكل فى الإسكندرية (٧).

---

(1) Goitein, Mediterranean Society, I, p. 189 .

(2) Stillman, (Jesho) 16, 1973, PP. 16-17 .

(3) Ibid., 16, 1973, P. 29 .

(4) Goitein, Mediterranean Society, I, p. 168 .

(5) Ibid, I, P. 158 .

(٦) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٨١ .

(7) Goitein, Op. Cit, 2, P. 295 .

المعاملات المالية :

تم التعامل بين التجار اليهود بنظام المقايضة ، فقد ورد فى وثائق الجنيزا كثير من القوائم التى يفهم منها أن التعامل كان يتم بالقايضة عند إتمام الصفقات ، مثل الكتان الذى يرسل من مصر إلى تونس ، ويستورد مقابله النسيج التونسى[١] ، كما استعملت النقود التونسية الذهبية والفضية فى الوفاء بأثمان الصفقات التجارية الواردة من مصر وسوريا والشرق . وكانت الدراهم القيروانية متداولة فى السوق المصرية ، حيث طلب تاجر يهودى قيروانى من وكيله فى الفسطاط سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠م شراء دراهم قيروانية ، وذلك لنضوب الفضة فى الغرب كما تاجر اليهود فى العملة نظراً لقبولها فى مصر والشرق ، ويبدو ذلك واضحًا من خلال خطاب تاجر يهودى فى تونس أرسله إلى وكيله فى مصر نهراى بن نسيم ، يبلغه أنه أرسل ٥٠ ديناراً لتحويلهم إلى دنانير دمشقية [٢]. واستعملت السفاتج (الصكوك) فى الوفاء بالالتزامات المالية بين التجار اليهود ، وهى بمثابة خطابات ضمان دائنة تستعمل فى جميع المجتمعات التى تتبع نفس الطريقة ، وكانت تحول بها تبرعات اليهود إلى المدارس العراقية [٣]، وفى حالة الدفع الآجل فى بلد المشترى كان التاجر اليهودى يقر أمام المحكمة بالدين ويوقع على إقرار به ، ولقد أورد مان Mann ثلاثة إقرارات ترجع لسنوات ٣٥٧ هـ / ٩٦٧م ، ٣٦٨ هـ / ٩٧٨م ، ٣٧٢ هـ / ٩٨٢م [٤].

النقل البحرى :

شكلت تونس وصقلية بؤرة البحر المتوسط ، حيث كانتا مركزاً لبيع بضائع الشرق للغرب خلال القرن ٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م ، حيث قامت خطوط ملاحية بين الإسكندرية وإفريقية وأسبانيا ، وكان هناك ما يبدو خط مباشر بين الإسكندرية وبجاية بالجزائر [٥]، وتتم عملية الإبحار بين الإسكندرية والشمال الإفريقى خلال الربيع والخريف[٦] ، وتشرع فى العودة فى

---

(1) Goitein, Mediterranean Society, I, p. 216 .

(2) Ibid, I, p. 235, 238 .

(3) Mann, Texts and Studies, 1, P. 360 - 365 .

(٤) عن نصوص الإقرارات ، انظر الملاحق .

(5) Goitein, Mediterranean Society, I, P. 212 .

(6) Ibid., I, p. 277 .

سبتمبر[١] ، وتختلف مواعيد وصول المراكب بسبب العواصف وهبوب الرياح العكسية من الشرق . يبين ذلك خطاب كتب فى النصف الثانى من سبتمبر فى الإسكندرية يقول : " لم يصل أى من سفن الغرب إلا سفينة من أسبانيا ...... ولم تصل أى سفينة من المهدية حتى الآن " ، وفى رحلة من تونس إلى مصر عن طريق صقلية فقدت السفينة التى تحمل اليهود وتجارتهم لمدة خمسة وثلاثين يومًا حتى وصلت صقلية[٢] .

النقل البرى :

أما النقل البرى فكان يتم عن طريق القوافل التجارية التى تستخدم الطريق الذى يأتى من بغداد حتى إفريقية ماراً بحلب - دمشق - القاهرة - برقة - لبدة - طرابلس - صبرة - جبل نفوسة - أو الطريق الساحلى إلى قابس ومنها إلى سوسة أو المهدية [٣]. ومن هذين المينائين تتفرع الطرق إلى مدينة القيروان ، ومنها يستمر غربًا حتى سبته ، ماراً بمدن المغرب الأقصى . وتزداد حركة القوافل الآتية من الشرق فى فصل الشتاء عندما يكون البحر غير آمن للسفر خوفًا من العواصف [٤]، وترد فى وثائق الجنيزا إشارات إلى استخدام الطرق البرية حتى النصف الأول من القرن ٥ هـ / ١١م قبل تعرض الطرق البرية للاضطراب بسبب غزو قبائل بنى هلال وسليم للشمال الإفريقى [٥].

ارتبطت القيروان مع بلاد السودان من خلال المدن التجارية الواقعة على خطوط التجارة فى الشمال الإفريقى وخاصة سجلماسة ، حيث تخرج منها القوافل فى شهر يناير وكذلك أغسطس إلى القيروان عن طريق صفروى - فاس - وجدة - تلمسان - القيروان ومنها إلى الشرق[٦] .

---

(١) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢١٩ .

(2) Goitein, Mediterranean Society, 1, PP. 319 - 322 .

(٣) عن طريق القوافل التجارية من الشرق إلى الغرب راجع ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٨٥ - ٨٦ ، ٢٢٤ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٤ - ٨٩ .

(4) Goitein, Mediterranean Society, 1, P. 277 .

(٥) جواتيان ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢١٧ .

(٦) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٦٠ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٩٠ - ٩١ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ٨٨ ، ١٤٦ - ١٤٧ .

أما القوافل التى تأتى إلى القيروان من الإسكندرية فعادة ما تبدأ رحلتها فى نهاية أغسطس[١] . نشطت حركة القوافل التجارية إلى بلاد السودان بعد أن مهد الوالى عبد الرحمن بن حبيب الطريق التجارى إلى بلاد السودان بحفر آبار المياه [٢]، وكان هناك أربعة طرق تجارية تربط الشمال الإفريقى ببلاد السودان . وكما شارك اليهود فى القوافل التجارية المتجهة إلى المشرق[٣]، شاركوا أيضًا فى القوافل المتجهة إلى بلاد السودان ، وارتادوا هذه الطرق الموغلة فى الصحراء ، وبتتبع هذه الطرق يمكن رصد سكن اليهود فى أهم المدن التجارية الواقعة عليها ، وهذه الطرق هى الأول : يخرج من طرابلس مارًا بغدامس ومنها إلى زويلة[٤]، والثانى : يبدأ من المسيلة مارًا ببلاد الجريد - وارجلان - وسجلماسة - وأودغشت، أو وارجلان ومنها إلى تادمكة من بلاد السودان [٥]، والطرق الثالث : يبدأ من تلمسان ثم وجدة - فاس - صفرى - سجلماسة - درعة - تادملت - أودغشت ومنها إلى بلاد السودان الغربى [٦]، والطريق الرابع : يبدأ من تلمسان ثم وجدة - فاس - مكناسة الزيتون - جبال فازاز - تادلا - عبر جبال درن - أغمات - أودغشت [٧].

---

(1) Goitein, Mediterranean Society, 1, PP. 276 - 279 .

(٢) البكرى ، المغرب ، ص ١٥٧ ؛ Lassard, La Ville Sidjilmassa et ses Relations Commerciales au XI Siecles, (Hesperis) 10, 1969, p. 25 .

مد الخوارج شبكة التجارة من جنوب المغرب (وارجلان - تاهرت - سجلماسة) عبر الصحراء إلى تمباكت وأودوغشت ، كما أدرك التجار الإباضية كلاً من غانا وجاو ممالك غرب الصحراء ، انظر :

Nehemia, Levtzion, the Jews of Sidjilmassa The Saharan Trade, in Communtes Juives des Marges Sahariennes du Maghreb, Edite Par Michel Abitbol, Jerusalem, 1988, p. 257 .

(3) Mann, Texts and Studies, 1, P. 141 .

(٤) البكرى ، المغرب ، ص ٩ -١١ ، ١٨٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٥) البكرى ، المغرب ، ص ١٨٢ ؛ ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٦ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ؛ سعيد زغلول عبد الحميد ، المغرب العربى ، ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٦) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٦٠ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٩٠ - ٩١ ؛ البكرى ، المغرب ، ص ٨٨ ، ١٤٦ - ١٤٧ .

(٧) البكرى ، المغرب ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، ١٩٣ .

اليهود فى القوافل التجارية :

القافلة التجارية هى جمع كبير من التجار تلتزم بمواعيد معينة سبق الاتفاق عليها بينهم . وهناك القوافل الكبيرة وأخرى صغيرة التى تضم أعداداً صغيرة من التجار فيطلق عليها (صحبة) وليس لها مواعيد ثابتة ، وإنما تبدأ فى الرحيل عندما يكون عدد المسافرين مناسبًا كمجموعة (١). التحق التجار اليهود بالقوافل التجارية التى تنقل التجارات بين بلاد السودان ومدن الشمال الإفريقى ، وبين المغرب وبلاد المشرق ، ومنهم من كان يقصد القدس للحج والتجارة معًا . وتشير وثائق الجنيزا إلى خطاب من رئيس اليهود فى برقة إلى صديق له بالقاهرة أرسلة من الإسكندرية فى طريق عودته إلى بلاده من رحلة حج ، وينتظر خروج القافلة المتجهة إلى الغرب ، يقول فيه : (فى هذا اليوم كانت هناك قافلة كبيرة قاصدة برقة تحت رياسة ابن شبل ، حجزت فيها لنفسى ولبضائعى بسعر ٣ دينار ، معظم المسافرين من برقة وعدونى بمراعاة شعورى كيهودى فيما يتعلق بالمرور من الأماكن التى بها مياه ، وكذلك المحافظة على راحة السبت(٢) ، وليس فى القافلة أى فرد يهودى سواى ، لكنى أثق فى الرب، وأى عمل سأقوم به سيكون وفقًا لإرادته (٣)، تطرح هذه الرسالة عدة تساؤلات عن راحة السبت ، وهل كان التجار اليهود يحافظون عليها ؟ وهل احترم رفقاء الرحلة من غير اليهود هذه الراحة وساعدوهم على ذلك ؟ .

واللافت للنظر أن الكتاب اليهود الذين نقبوا فى وثائق الجنيزا (٤)، وفى الفتاوى والأسئلة الدينية لم يعثروا على وثائق تؤكد أن التجار اليهود حافظوا على راحة السبت أثناء ترحالهم

---

(2) Goitein, Mediterranean Society, 1, P. 276 .

(٢) ليوم السبت عند اليهود قداسة خاصة يحتفلون به أسبوعيًا على مدار العام أحياء ذكرى يوم السابع، حيث يعتقدون أن الرب خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع (انظر ، محمد الهوارى ، السبت والجمعة فى اليهودية والإسلام ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص ٦) وقد ورد ذكر السبت فى القرآن الكريم بقوله تعالى " وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) ، «الأعراف الآية ١٦٣» وتبدأ احتفالات السبت بدخوله مساء الجمعة وينتهى عشية الأحد ، (المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٢١٢) .

(3) Goitein, Op. Cit, 2, P. 274 .

(٤) أمثال Mann ، جواتياين Goitein ، هيرشبرج Hirschberg ، سلوش Slousch .

فى ظل القوافل التجارية . الرسالة الوحيدة التى اعتمدوا عليها لم يرد فيها أى نص صراحة عن تنفيذ راحة السبت ، فالرسالة تقول : " منذ أيام مر علينا المعلم صمويل أبراهام المعروف بالتاهرتى مع القافلة ، وأوفدنا معها إلى حضرة سيدنا حاى نر خمسة وعشرون ديناراً ، وكتبنا أسئلة وأرسلناها مع بعض الأغيار فى القافلة ليوصلها إلى السيد صمويل لأنه سبق القافلة وبعد ذلك كتبنا نسخة ثانية ... ونسأل سيدنا حاى نر أن يرد على أسئلتنا(١) ، وفى تعليقهم على الرسالة يستنتجون أن السيد صمويل سبق القافلة لينفذ راحة السبت .

ومناقشة هذه الإشكالية يقتضى معرفة أن التجار اليهود فى القوافل التجارية كانوا أقلية، وغالبًا ما تحدد أماكن الراحة وفقًا لبرنامج زمنى يوافق الأغلبية ، فإذا سبق اليهودى القافلة لينفذ راحة السبت فإن الأمر يحتاج حراسة من البدو(٢) . مما يزيد من تكلفة الرحلة ، وربما يكلفه الأمر حياته . وخرجت التنبيهات من الجاؤنية عن طريق الجاؤون شيررا Shrira فى رسالة ترجع للقرن ٤ هـ / ١٠م يقول فيها : " عندما يأتى المغاربة إلى مصر فى قافلة ، هذه الرحلة طويلة جداً وتأتى راحة السبت خلال الرحلة فى الصحراء ، فإذا كان هناك بين التجار من يعرف الطريق اجعلوه يرسم دليلاً يوضح فيها أماكن لراحة السبت " (٣)، وكلام الجاؤون هنا مبادىء على الصعيد النظرى وليس تقريراً واقعيًا ، وتتضح صعوبة المحافظة على راحة السبت من تعليق جواتياين نفسه حيث يقول : " إن صعوبة السفر تتجسد فى مزاحمة الأقوياء والأقل مراعاة للشعور من المسافرين على المياه ، حيث يستحوذون على المياه النظيفة أولاً ويتركوا الآخرين (اليهود الضعفاء) مياهًا غير نظيفة عكرة . والصعوبة الأخرى تتمثل فى عدم الالتزام بقوانين السبت "(٤)، كما يورد هيرشبرج رسالة عبارة عن شكوى من صعوبة الالتزام

---

(1) Mann, Texts and Studies, 1, P. 141; Goitein, Mediterranean Society, 1,P. 279 .

(٢) استعانت القوافل التجارية بالعرب والبربر فى الحماية من قطاع الطرق ، (انظر ، ابن الصغير ، أخبار الأئمة ، ص ٣٥٧) والمكان فيما بين برقة وطبرقة كان مسرحًا للقرصنة من العرب والبربر ، ولقد سجلت الجنيزا ذلك أعوام ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٣١م .Goitein, Op. Cit, 1, P. 327 . وتشير الجنيزا أيضًا إلى أمير برقة جبارة بن مكثر كأحد القراصنة المخضرمين ، كما عمل حام للبضائع على الطريق البرى وحام للسفن من خطر القراصنة الآخرين (جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٤٥) .

(3) Hirschberg, The Problem, P. 321 .

(4) Goitein, Mediterranean Society, 2,P. 589, Note 1 .

براحة السبت فى القوافل التجارية ، تقول : " ليس هناك شىء مخزون يأكل (قبل دخول السبت) إلا الخبز واللبن الذى حُلب فى نفس اليوم ... والفاكهة التى جمعت من الأرض"[١] .

مما سبق يتضح أنه من الصعوبة بمكان المحافظة على راحة السبت مع مسير القوافل التجارية بين المغرب ومصر وبلاد السودان مما دعا الجاؤون شيررا إلى مطالبة التجار اليهود المغاربة بمحاولة مراعاة ذلك . كما أن الكتاب اليهود الذى استنتجوا أن اليهود حافظوا على هذه الراحة ، أقروا بوجود صعوبات كثيرة تقابل اليهودى إذا ما أراد المحافظة على تنفيذها ، لذلك يمكن القول إن التزام اليهود المسافرين مع القوافل التجارية ببلاد المغرب براحة السبت كان ضعيفًا ، وربما لم ينفذ إلا مصادفة .

مجمل القول أن اليهود احترفوا كافة ركائز الحياة الاقتصادية من زراعة ورعى وتربية حيوانات ، والصناعات والحرف أيضًا ، علاوة على التجارة التى برعوا فيها وحققوا منها ثروات كبيرة ، خاصة تجارة الرفاهيات وتجارة الرقيق .

---

(1) Hirschberg, A History of the Jews in North Africa, I, P. 173 .

الفصل الرابع
الحياة الاجتماعية لليهود فى بلاد المغرب

الاختلاط السكانى بين اليهود وسكان البلاد - الأسرة «الزواج، الأولاد ، تعدد الزوجات ، المنازعات الزوجية والطلاق » - الملابس والأزياء اليهودية - العادات والتقاليد - القضاء اليهودى - قيادة الجماعة اليهودية (الناجد) .

الاختلاط السكانى بين اليهود وسكان البلاد ونظام الجوار :

امتزج اليهود بالعرب فى بلاد الحجاز ، حيث تخلقوا بأخلاقهم وتأثروا بعاداتهم ، ومن ثم اتبعوا سبيلهم فى النظم والتقاليد الاجتماعية [١]. وجاءت الدعوة الإسلامية واتسعت حركة الفتوح ، فامتزجت حضارات البلدان المفتوحة مع الحضارة العربية . ولقد أفرز هذا الخليط الحضارة العربية الإسلامية التى أثرت بدورها على السكان اليهود بالشمال الإفريقى بطبيعة الحال[٢]. وتشير المصادر الإسلامية واليهودية إلى قيام مجتمعات يهودية فى المدن الإسلامية بالمغرب - مثل القيروان والمهدية وأشير وتلمسان وفاس وسجلماسة وغيرهم - عاشت بين أهل الشمال الإفريقى من العرب والبربر المسلمين وتأثروا بهم وأثروا فيهم ، خاصة أنه لم يفرض على اليهود أماكن لسكناهم ، وإنما وفرت لهم السلطات الإسلامية حرية السكنى والتنقل بسبب سماحة الإسلام والمسلمين ، وللالتزام اليهود بما عليهم من ضرائب [٣]، ولم يتعرض اليهود فى بلاد المغرب للاضطهاد إلا نادراً حتى اعتبر بعض المستشرقين ما حدث لهم من اضطهاد حدثًا عابراً ، ثم تعود حياتهم إلى طبيعتها [٤].

---

(١) إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب والجاهلية ، ص ٧٥ .

(2) Grazel, A History of The Jews, P. 251 .

(٣) موريس لومبارد ، الإسلام فى مجده الأول ، ص ٣١٣ ، لم يتقيد اليهود بالسكن فى أماكن محددة داخل المدن الإسلامية ، بل إن هناك أحد اليهود الذى اشترى منزلاً من مسلم فى حى لا يسكنه غير المسلمين؛ (انظر ، الونشريسى ، المعيار ، ٨ ، ص ٤٣٧) فى زويلة المهدية باع أحد اليهود حجرة تقع عند حدود ملك لأحد المسلمين ، (انظر ، جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٣٢ ، هامش ١) .

(٤) هويكنز ، النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، ص ١٢٤ .

عاشت الجماعات اليهودية فى بلاد المغرب نظام الجوار أو الحماية فى كنف القبائل البربرية والقبائل العربية أيضًا ، إذ عاشت أعداد من اليهود وسط هؤلاء وبين ظهرانيهم ، ليكفلوا لهم، الحماية ، ورصدت بعض المصادر ذلك فى مدينة وارجلان عندما انحازت أعداد من اليهود بالمنطقة لفرقة من الخوارج وأعداد أخرى لفرقة مناوئة " إنكم أظهرتم بينكم الفرقة ، فطائفة يقولون مسجدنا ومسجدكم ، وطائفة يقولون حصيرنا وحصيركم ، ويهودنا ويهودكم"(١) . والغالب على الظن أن الظروف الاجتماعية السائدة فى بلاد المغرب هى التى فرضت اتخاذ اليهود لنظام الجوار ، لكونهم قلة ، قياسًا إلى عدد المسلمين ، علاوة على أن أهل الشمال الإفريقى عرفوا التنظيم القبلى مثل العرب (٢)، يؤكد ذلك ما قاله موسى بن نصير فى وصفه للبربر بأنهم أشبه العجم بالعرب(٣). والنظام القبلى عرف الجوار .

لم يكن هذا النظام وقفًا على يهود وارجلان ، وإنما وجد فى القيروان ، وأشير ، وتلمسان ، وفاس . فأما القيروان فقد عاش اليهود فيها منذ تأسيسها فى حماية وأمن العرب باعتراف أحد الكتاب اليهود(٤) . ويتأكد ذلك من خلال أحد الخطابات الصادرة من القيروان فى عصر بنى زيرى الذى يمدح السلطان باديس بن المنصور الذى حمى اليهود فى القيروان من الرعب الذى ألم بهم (٥). هاجم بلكين بن زيرى مدينة تلمسان سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١م انتقامًا لمقتل أبيه (٦)، وفى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م حاصرهم ونقل كثيراً من سكانها الزناتيين إلى مدينة أشير(٧) ، وضمت قوافل القادمين أعداداً من السكان اليهود الذين تمتعوا بحماية الزناتيين(٨). كما استولى زيرى بن عطية الزناتى على مدينة فاس سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م من

---

(١) أبو زكريا ، سير الأئمة وأخبارهم ، ص ١٦٢ ؛ الدرجينى ، طبقات الإباضية ، ١ ، ورقة رقم ٦٩ .
(٢) ابن خلدون ، العبر، ٦ ، ص ١٠٦ وما بعدها ؛ عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ، ص ٥١.
(٣) ابن قتيبة ، الإمامة والساسية ، ص ٨٣ .
(4) Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 79 .
(5) Stillman, The Jews of Arab Land, P. 183 .
(٦) ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٧ ، ٧٧ ؛ مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٨ ؛
Guatier, Le Passe de L'Afrique du Nord, P. 402 .
(٧) النويرى ، نهاية الأرب ، ٢٤ ، ص ١٧١ ؛ Guatier, Op. cit, p. 402 .
(8) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916 -17, P. 484; Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 105 .

حكامها الصنهاجيين [١]، ومن ثم اتجه السكان الموالين لبنى زيرى إلى مدينة أشير وبصحبتهم أعداد من اليهود الذين تكلفوا بحمايتهم [٢].

ويؤكد نظام الحماية أو الجوار هذا على الاختلاط بين اليهود والمسلمين ، وينفى انعزال السكان داخل أحياء خاصة بهم فى بلاد المغرب ، حيث لم يفرض عليهم الانعزال سوى فى العصر المرينى ، وذلك لأسباب خاصة ، منها : حماية اليهود أنفسهم من أعدائهم ، لذلك برزت الحاجة إلى إيجاد حى يهودى - خوفًا من السكان المحليين وتعصبهم - عرف بالملاح ، ولم يكن ذلك عقابًا أو إذلالاً لهم، لذلك أسس الملاح (جيتو اليهود)[٣] فى مدينة فاس أواخر العصر المرينى سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م [٤] على غرار النموذج الباكر فى أسبانيا (Juderais) وكان بالقرب من قصر الحاكم ليكونوا فى حمايته[٥] . ومن ثم فإن السكان اليهود فى مدن المغرب الإسلامى لم ينعزلوا فى أحياء خاصة بهم منذ الفتح الإسلامى للبلاد وحتى العصر المرينى ، بل اندمجوا واختلطوا مع سكان البلاد . ففى القيروان سكن العالم الشهير حنانيل عند أحد أبواب المدينة بجوار المسلمين [٦]، وفى قابس سكن اليهود العاملون بالزراعة خارج

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، المغرب ، ١ ، ص ٢٣١ .

(2) Mann, (J.Q.R.), 11, 1920 -21, P. 438 .

(٣) (الجيتو) تسمية حديثة لحى اليهود بدأت سنة ١٥١٦م فى مدينة البندقية ، انظر :
Lewis, Bernard The Jews Of Islam, P. 149 .

(٤) أشار ابن الخطيب إلى الحى الذى سكنته الحامية العسكرية من الأسبان النصارى أيام بنى مرين كان يسمى بالملاح " وانتبذ الجند والنصارى فضبطوا مدينتهم المدعوة الملاح " ويبدو أن تلك المنطقة الواقعة جنوبى فاس الجديدة كانت ذا تربة مالحة (سبخة) عسكر فيها الجنود النصارى بالقرب من قصر السلطان ليكونوا رهن إشارته ، وفى أواخر أيام بنى مرين خصص هذا المكان كحى لليهود ليكونوا فى معية السلطان وتحت رعايته ، راجع : لسان الدين ابن الخطيب ، نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٣٤ ، ٣٣٣ .

(5) Lewis, Op. Cit, P. 149 .

وفى أسبانيا المسيحية كان اليهود يعتبرون هذا العزل ميزة ، فكانوا ينادون أحيانًا بتطبيقه ، بحثًا عن نوع من الأمن وطريقة لحسن الدفاع فى حالات الاضطرابات والقلاقل ، فقد كان احتقار الكنيسة لليهود هو الذى جعلهم يفضلون الجيتو عن الاختلاط بالمسيحيين ، انظر : نور الهدى عبد العال ، الملاحات فى المغرب، ص ١٠ .

(٦) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٣٢ . وعن الرابى حنانيل انظر الفصل الخامس .

أسوار المدينة وحتى الذين يقيمون فى المدينة لم يكونوا مركزين فى أحياء بعينها [(١)]، وفى الغالب كانت تجمعاتهم ملحوظة فى الأحياء التى تحوى المعبد والمحكمة والحمام الطقسى، حيث ترتفع كثافتهم فيها [(٢)]. ومن نماذج الامتزاج السكانى توزيع الفطير على المسلمين من جيرانهم فى عيد الفطير اليهودى [(٣)]. بيد أن شوراكى Chouraqui قرر بأن أغلب اليهود فى الشمال الإفريقى أجبروا على أن يعيشوا فى أحياء خاصة بهم داخل المدن منذ بداية الحكم الإسلامى[(٤)] وإن لم يقدم الدليل أو مصدر معلوماته، والمؤكد أنهم تواجدوا فى المدن المغربية فى أحياء ذات أكثرية مسلمة [(٥)].

الأسرة اليهودية :

الزواج :

تبدأ مراسم الزواج فى الشريعة اليهودية بالخطبة، وقد حددت الشريعة السن اللائق للزواج بثمانية عشر عامًا للرجل، لكن يجوز للرجل الزواج عند بلوغ ١٣ سنة، كما يجوز زواج المرأة عند سن ١٢,٥ سنة بشرط أن تنبت عانتها ولو شعرتين [(٦)]. يتم الزواج حسب عقد يسمى كتوباه Katuba من أركانه تسمية المرأة على الرجل وتقديسها عليه بقبولها ولو بخاتم يعطيه إليها يدًا بيد بحضرة شاهدين شرعيين قائلاً لها بالعبرية تقدست لى زوجة بهذا الخاتم، ويحرر العقد، وبعده تعقد صلاة البركة بحضرة عشرة رجال على الأقل [(٧)]. والمهر فى الشريعة

---

(1) Menahem Ben-Sasson, The Jewish Community of Gabes, PP. 283, 4 .

(2) Stillman, The Jews in The Medieval, Islamic City, PP. 10, 11.

(٣) الونشريسى، المعيار، ١١، ص ١١١، ١١٢ .

(4) A History of The Jews of North Africa, P. 48 .

(٥) محمد ماهر سمك، الأقلية اليهودية فى المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية ١٩٩٣م، ص ٢١٣ .

(٦) حاى بن شمعون، الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين، القاهرة ١٩١٩م، ص ٣-٦ .

(٧) نفسه، ص ٨، ٩ . وسمى عقد الزواج باسم غرامة الطلاق أو المؤخر، ومن المرجح أن هذه التسمية جاءت لأن غرامة الطلاق أغلى وأثمن ما فى العقد؛ انظر : ليلى أبو المجد، عقد الزواج عند اليهود (كتوباه) وتأثيره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى القديم، حوليات كلية الآداب، عين شمس، م٢٤، الجزء الأول ١٩٩٥ - ١٩٩٦، ص ٩٢، أما فى الشريعة الإسلامية فينعقد بالإيجاب والقبول، وشروط انعقاده هى الشروط التى يجب تحقيقها فى كل عقد. ومن شروط الزواج حضور شاهدين وأن تكون المرأة =

التلمودية ركن لازم للزواج وشرط قانونى لانعقاده ، وهو قسمان : معجل ، ومؤجل ، ويسمى المؤخر بالعبرية كتوباه [١]. ويشار إلى الجزء المعجل فى العقد بأن الزوجة تسلمته كما هو شائع فى عقود الزواج الإسلامية ، والمؤخر يدفعه الزوج عند الطلاق ، أو يدفعه ورثته بعد وفاته للزوجة[٢] ، ومبلغ الكاتوباه للبكر مائتان والثيب مائة دينار ، وتنص المشنا على أنه "إذا رغب الزوج أن يضيف لهذا المبلغ عشرة آلاف فليضيف " [٣].

يعتبر الزواج فى الشريعة اليهودية عملية شراء للزوجة بما لديها [٤]. وتأثرت الديانة اليهودية بأدبيات الزمان والمكان شرقًا وغربًا[٥]، وظهر التأثير الإسلامى واضحًا فى عقود الزواج اليهودية ، من خلال تقسيم عملية الدفع إلى جزأين : مقدم يدفع للزوجة عند العقد ، ومؤخر فى حالة الترمل أو الطلاق [٦]. وفى مدن الشمال الإفريقى طبق القانون الإسلامى على عقود الزواج اليهودية ، بأن كتبت وثيقتان للزواج : الأولى يهودية ، والثانية إسلامية ، وفى

= محل العقد غير محرمة على الزوج مؤقتًا أو مؤبداً ؛ عبد الرحمن الجزيرى ، الفقه على المذاهب الأربعة ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٩٤م ، ٤ ، ص ٣٠ ؛ محمد أبو زهرة ، الأحوال الشخصية ، القاهرة ، ص ٣٨ - ٧٠ .

(١) ثروت أنيس الأسيوطى ، نظام الأسرة ، ص ٢٢٤ ، والمهر فى الشريعة الإسلامية حق من حقوق الزوجة على زوجها ، لا يلزم تقديمه كله عند إنشاء العقد ، بل يجوز أن يلزم بعضه ، ويؤخر بعضه إلى أجل معلوم كسنة أو شهر ، كما يجوز إلى أقرب الأجلين ، الطلاق أو الوفاة ، محمد أبو زهرة ، الأحوال الشخصية ، ص ١٩٣ - ٢٥٣ .

(2) Goitein, Mediterranean Society, 3, P. 119 .

(٣) ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، القاهرة ١٩٩٥م ، ص ١١٥ .

(٤) لما كانت الملكية الفردية هى أساس النظام الاقتصادى اليهودى ، فإن الزنا يعنى عندهم اتصال رجل بامرأة ابتاعها رجل آخر بماله ، ومن أجل ذلك كان اتصاله بها اعتداء على قانون الملكية يعاقب عليه (ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ٢م١، ص ٣٧٩) وهو تفسير اقتصادى مادى وليس تفسيراً خلقيًا اجتماعيًا ، فالمرأة مملوكة لزوجها ، وهو سيدها المطلق (جوستاف لوبون ، اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٥٠م ، ص ٥٢) .

(٥) تأثرت تشريعات الزواج اليهودى بقوانين البلاد التى أقاموا فيها منذ القدم ، مثل بلاد الرافدين ،. والقانون المصرى ، انظر : ليلى أبو المجد ، مدفعوات الزواج فى التشريع اليهودى فى ضوء قوانين الشرق الأدنى القديم وتشريعاته ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص ٢٥ .

(6) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 184 .

عصر الموحدين كان الزواج يتم وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية[١] . يوقع الحاخام على عقود الزواج [٢]، كما يوقع أعداد من الشهود . ففى برقة عثر على عقد زواج يهودى يرجع لسنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م وقع عليه ٣٦ شخصًا[٣] ، وغالبًا ما كان ذلك إتمامًا لعملية الإشهار فى الشريعة الإسلامية .

تبدأ مراسم الزفاف لليهود فى بلاد المغرب بذهاب العروس إلى الحمام الطقسى قبل الزفاف بيوم ، حيث يمثل ذلك شعيرة رئيسية للطهارة [٤]، ثم يصاحب مراسم العقد والزفاف تجميل العروس وصبغ شعرها باللون البرتقالى بالزعفران ويديها بالحناء . كما كانت هناك عادة بين الفقراء والبسطاء ، وهى وضع صينية للنقوط خلال استقبال التهانى ، ويذهب العروسان إلى المعبد فى السبت السابق واللاحق ليوم الزفاف ، حيث يرتل المرتل أشعاراً دينية مخصصة لهذه المناسبات[٥] . ولقد تركت التأثيرات البربرية أثرها على بعض عادات الزواج اليهودى ، مثل إعداد منزل مؤقت للعريس قبل مراسم الزواج ، وأن يحترس من كل اتصالات مع الأقارب الذكور حتى الأخوة والوالد . وغالبًا ما كان البربر يؤجرون منزلاً للعريس يمكث فيه حتى يصحب عروسه إلى منزله ، ومن ذلك أيضًا عدم رؤية والد العروس لابنته مدة ١٥ - ٢٠ يومًا قبل تركها منزله [٦]. ومن أشهر زيجات المجتمع اليهودى فى الشمال الإفريقى زواج كريمة العالم اليهودى الحانان بن شمريا رئيس المعبد اليهودى فى القاهرة عام ٤١١هـ / ١٠٢٠م لأحد اليهود التونسيين ، وزواج ابنت نسيم بن يعقوب رئيس العلماء اليهود فى القيروان من نجل صموئيل الناجد الوزير اليهودى فى مملكة غرناطة سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م تقريبًا [٧]. كما تزوج المهاجرون من اليهود أبناء عائلات كبيرة فى بلاد المهجر ، مثل زواج سهلان بن أبراهام ، المهاجر من العراق ، والذى عمل رئيسًا للجماعة العراقية فى الفسطاط من حفيدة

(١) نور الهدى عبد العال ، عادات وطقوس الزواج عند يهود المغرب ، وتأثير البيئة المغربية ، القاهرة ١٩٨٩م (بالعبرية) ، ص ١٥ .

(٢) ثروت أنيس الأسوطى ، نظام الأسرة ، ص ٢٤٩ .

(3) Goitein, Mediterranean Society, 3, P. 117 .

(٤) زعفرانى ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص ٨٤ .

(5) Goitein, Mediterranean Society, 3, PP. 116-117 .

(6) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 171 .

(7) Goitein, Op. Cit, 1, PP. 48, 49 .

رئيس اليهود فى سجلماسة عام ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م [١]، وكذلك زواج التاجر الشهير نهراى بن نسيم وكيل التجار المغاربة فى القاهرة من عائلة عريقة بالمدينة[٢] . يدل على رغبة الزوج فى اكتساب نفوذ الأسرة الكبيرة إلى جانبه .

تنفرد الشريعة اليهودية بنظام (زواج الببوم) وهو يعنى ضرورة زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى شريطة أن تكون لم تنجب منه أولاداً " إذ سكن أخوه معًا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى الخارج لرجل أجنبى . أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ، ويقوم لها بواجب أخى الزوج ، والبكر الذى تلده يقوم باسم اخيه الميت لئلا يمحى اسمه من بنى إسرائيل " [٣]، ويلتزم بذلك االشقيق الأكبر ، ويباح للشقيق الثانى تأدية هذا الدور فى حالة رفض الأول . لم يلتزم اليهود بذلك دومًا ، وإنما احتالوا على التخلص من هذا النظام باتباع نظام خلع النعل (الحاليصاه) فى حالة رفض أخوة المتوفى جميعًا الزواج بأرملة أخيهم[٤] .

الأولاد :

حث التلمود اليهود على الإنجاب : إذ أوجب على كل يهودى أن ينجب ولدين أو أكثر[٥]، ومن ثم تراوح عدد الأبناء فى الأسرة اليهودية فى مدن المغرب ما بين ثلاثة أو خمسة أفراد ، وندرت الحالات التى زادت فيها أعداد الأسرة الواحدة إلى خمس أفراد . ورصد الباحثون ذلك من خلال وثائق الوصايا ودعاوى الميراث والمخالصات[٦] . حرصت الأسرة

---

(1) Nehemia Levtzion, The Jews of Sijilmassa and Sahran Trade, in Communates Juives des Marges Sahariennes du Maghreb, Edite Par Michel Abitbol, Jerusalem, 1982, P. 259 .

(2) Goitein, Mediterranean Society, 3, P. 137 .

(٣) سفر التثنية ، الإصحاح ٢٥ ، فقرة ٥ ، ٦ ؛ جاى شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٤ .

(٤) ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ص ١٩٧ ؛ ثروت أنيس الأسيوطى ، نظام الأسرة ، ص ٢١١ ، والحاليصاه تعنى أن تقول الزوجة المتوفى عنها زوجها أمام القاضى أن حموى لا يقيم لأخيه اسمًا فى بنى إسرائيل أو لم يرد نكاحى ، فيقول ما أردت نكاحها ، فيخرج نعله من رجله ، فيبصق فى وجهه وينادى عليه : هذا جزاء من لايبنى بيت أخيه : انظر : ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق أحمد حجازى السقا ، الريان للتراث ، ص ٢٦٥ .

(٥) ثروت أنيس الأسيوطى ، نظام الأسرة ، ص ٢٠٤ .

(6) Goitein, Mediterranean Society, 3, PP. 238 - 239 .

اليهودية فى بلاد المغرب على تدريب أفرادها على الترابط والتضامن مع أبناء دينهم ، كما حرصت على ارتباطهم بمدينة القدس ، يفصح عن ذلك ما فعله بعض اليهود فى مدينة المهدية من إرسال ملابس بناته إلى الفسطاط لبيعها وإرسال ثمنها كتبرع إلى القدس . أما عن ترابط الأسرة الواحدة ؛ فقد عودوا الابن الأكبر أن يعول عائلته وأشقائه ، خاصة النساء منهم (١).

تعدد الزوجات :

شاع مبدأ تعدد الزوجات لدى بنى إسرائيل ، ولم يرد فى التوراة قيد بخصوص عدد الزوجات ، بينما تبين نصوص التلمود أن من حق الرجل أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، وإن لم ينص على ذلك صراحة ، وإنما ورد بصدد تنظيم حقوق الزوجات الأربع فى مؤخر الصداق "(٢) من كان متزوجًا أربع نساء ثم مات ، الأولى سابقة الثانية والثانية سابقة الثالثة ، والثالثة سابقة الرابعة " (٣)، أى سابقة على غيرها فى تحصيل مبلغ الكاتوباه من تركه المتوفى . لم يكن تعدد الزوجات منتشراً بين اليهود فى بلاد المغرب ، فقد كانت عائلة الزوجة دائمًا تعمل على الحصول على ضمانات تمنع الزوج من تزوج امرأة ثانية . ما لم يحصل على رضاء زوجته الأولى (٤). كثرت ظاهرة تعدد الزوجات بين اليهود فى المدن الكبرى عنها فى القرى ، حيث تأثر اليهود بالعرب فى المدن وبالبربر فى الجبال والأودية ، ولم يكن تعدد الزوجات منتشراً بين البربر رغم سماح الشريعة به (٥). يؤكد ذلك أنه لم ترد إشارات عن تعدد زوجات أمراء البربر

---

(1) Goitein, Mediterranean Society, 3, PP. 17, 22, 235, 246 .

(٢) ثروت أنيس الأسيوطى ، نظام الأسرة ، ص ٢٣٢ .

(٣) ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ص ٢٣٩ .

(٤) زعفرانى ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص ٨٠ ، وفى عقد الزواج الإسلامى يحق لكل طرف فيه أن يشترط على الطرف الآخر ما يراه مناسبًا من شروط فى تنظيم علاقاتهما المستقبلية ، مادامت هذه الشروط لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية أو النظام العام أو القانون ، وتدون هذه الشروط فى متن وثيقة الزواج .

(٥) نور الهدى عبد العال ، عادات وطقوس الزواج عند يهود المغرب ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، امتازت مكانة المرأة فى مجتمع البربر وخاصة قبائل جنوبى الصحراء مثل لمتونة ، فالمرأة ند للرجل ولا تباشر الأعمال المنزلية ، بل تشترك فى مجالس القبيلة ، كما لم يعرف المجتمع الملثم عادة تعدد الزوجات ، انظر : زاهر رياض ، شمال إفريقيا فى العصور الوسطى ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨١م ، ص ٩٦ .

فى المصادر ، وإنما أباحته برغواطة ووسعت فيه كنوع من الترويج لنحلتهم (١). ويتضح التأثير البيئى على يهود الشمال الإفريقى بإتباع الزواج الأحادى ، من خلال قبولهم لائحة جرشوم Gershom's Regulations ، التى تنص على أن أى يهودى يتزوج بأكثر من واحدة يعرض نفسه لقانون الحرمان الدينى(٢) ، حيث وجدوا فيها مبتغاهم واستندوا عليها ، وقد أدى فيما يبدو إلى صدور قانون فى بلاد المغرب سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠م يحظر فيه تعدد الزوجات إلى أجل تحدد بعام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م ، الذى يوافق سنة ٥٧٥٧ عبرية(٣) .

المنازعات الزوجية والطلاق :

تنشأ المنازعات الزوجية نتيجة أسباب كبيرة أهمها الأسباب المالية ، فإما أن تسوى بالطرق السلمية عن طريق الصلح أو يتم الطلاق . وتورد لنا وثائق الجنيزا نماذج من وثائق الصلح تشترط فيها الزوجة على زوجها ما ترتضيه للعودة إلى فراش الزوجية . ففى وثيقة من تونس اشترطت الزوجة على زوجها بأن يتعهد برد كل ما بدده من ممتلكات الزوجية ، أما ما بددته الزوجة فيستبعد من قائمة الزواج (٤). مثال آخر على المنازعات الزوجية من مدينة

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ، ص ٢٠٨ ؛ إذ ذكر أن أحد امرائهم اتخذ من الزوجات أربعًا وأربعين .

(٢) بزغ نجم عدد من اليهود فى البروفانس سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠م وجذبوا حولهم تلاميذ من وسط أوربا ، كان أحد هؤلاء هو جرشوم ، الذى اشتهر فى أواسط القرن ٤ هـ / ١٠م فى شمال فرنسا ، وأصبح مشهوراً إلى الحد الذى كان يلقب بالربى أى معلمنا ، وغدت أكاديميته تخرج العلماء القادرين على تفسير الكتاب المقدس ، والتقاليد اليهودية . وضع جرشوم تعديلاً كان عظيم الأثر والأهمية لليهودية ، لم يضعه بنفسه لكن بواسطة مجمع كنسى أو مجلس يهودى يضم قادة مجتمعه ، وربما المجتمعات الأخرى ، ثم وافقوا على لائحته التى ظل معمولاً بها لمدة ٤٠٠ عامًا عندما فقدت قوتها سنة ٧٥١ هـ / ١٣٥٠م ، لكن ظل الأساس حى بين اليهود . انظر: Grazel, A History of The Jews, P. 318 ؛ نور الهدى عبد العال ، عادات وطقوس الزواج ، ص ٢٠ . يتضح التأثير الكاثوليكى على اليهود فى مجال الزواج الأحادى ، والتأثير المسيحى بشكل عام على إجراءات إصدار مرسوم التحريم .

(٣) ذكرت صحيفة (أكتوليه جويف) الفرنسية فى ٢٤ مارس ١٩٩٧م أنه عثر على مخطوط يهودى نادر بمدينة مراكش المغربية يرجع تاريخه إلى سنة ١٠٠٠م يبيح تعدد الزوجات لليهود اعتباراً من عام ٧٥٧ عبرية أى ما يوافق عام ١٩٩٧م . (جريدة الأهرام القاهرية ، ٢٥ مارس ١٩٩٧م) وهو ما يعنى أن تعدد الزوجات كان محرمًا خلال المدة المذكورة .

(٤) كان يصحب عقد الزواج فى العادة بيان بكل قطع الجهاز التى تحضره العروس ، جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ١٩٤ ؛ انظر الملحق رقم (٦).

قابس بدأ عندما باعت مباركة بنت صمويل خادمتها بمبلغ ٢٠,٥ دينار ، وأعطتهم إلى شقيقها الذى بدأ رحلة تجارية إلى الغرب ، بناء عن رضاء زوجها ، لكن يبدو أن سوء تفاهم حدث ، قام على أثره الزوج بمقاضاة زوجته[١].

تتم مراسم الطلاق اليهودى فى المعبد بحضور الزوجين أمام القاضى وشاهدين ، ويسلم الرجل وثيقة الطلاق إلى مطلقته قائلاً " استلمى وثيقة طلاقك فأنت طالق وصرت حلا لغيرى"[٢]. يحتفظ المطلق بنسخة من نفس الوثيقة ، وتعرف بالعبرية (كت) Get ، وتكتب الوثيقة بالعبرية وتنص على اسم الزوجة والزوج وتاريخ الطلاق فى التقويم العبرى ، واسم المدينة التى يسكنها الزوجان[٣] . وأمام الشهود تعلن الزوجة استلامها مستحقاتها وهو ما يسمى بالإبراء [٤]. ويحق للزوجة الزواج بعد مرور أيام العدة ، وهى ٩١ يومًا [٥]، إلا إذا كانت حاملاً عند الطلاق ، ويجوز للزوج أن يرد مطلقته إلى عصمته حينما يريد مرة أخرى ، ما لم يكن الزنا هو السبب الرئيسى للطلاق ، وللزوج أن يمنعها من الزواج برجل أتهم بعلاقة

---

(1) Goitein, Mediterranean Society, 3, P. 183 .

(٢) حاى بن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ٩٩ ، ١٠٥ ، والمرأة التى تخلى عنها زوجها دون أن يسلمها وثيقة الطلاق ، التى تفسخ الزواج شرعًا تبقى " عجونة Agunah" أى مهجورة ومربوطة فى آن واحد (معلقة) . انظر أسعد رزق ، التلمود والصهيونية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٠م ، ص ٢٨٠.

(3)Malka, Essai D'ethnographie Traditionnelle de Mellahs, Rebat, 1946, P. 83 .

(4) Goitein, Op, Cit, 3, P. 267 .

(٥) فى الشريعة اليهودية لا يجوز العقد على المطلقة أو الأملة قبل إنقضاء عدتها اثنين وتسعين يومًا يحسب لها يوم الطلاق والوفاة ، صبية كانت أو مسنة ومقيمة مع زوجها أو بمعزل عنه حتى ولو لم يدخل عليها ، (حاى بن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٥) وتلتزم المرأة بالعدة دون تفرقة فى مدة هذه العدة بين ما إذا كان الانحلال بسبب الطلاق أو الوفاة ، بعكس ما تقره الشريعة الإسلامية فى هذا الشأن ، حيث قال تعالى " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربص بأنفسهن أربعة أشهر وعشر " البقرة ٢٣٤ " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " البقرة ٢٢٨ ، وقد شرعت العدة لاستبراء الرحم وزادت فى حالة الوفاة مراعاة لحرمة الزوج المتوفى ورعاية خاطر أهله ، انظر ، الجزيرى ، الفقه على المذاهب الأربعة ، ٤ ، ص ٥٢٠ .

آثمة معها قبل الطلاق [١]. وللزوجة الحق فى طلب الطلاق فى حالة سفر زوجها عبر البحار ولم يأت فى موعده [٢]. ومثال ذلك مواطن من برقة مثل هو وزوجته أمام الموثق العام فى الفسطاط ، حيث سمحت له زوجته بالغياب فى سفره حتى عيد الفصح فى أبريل ، على أن يفوض الموثق بكتابه وثيقة طلاق وتسليمها إلى زوجته فى حالة عدم عودته فى الوقت المحدد[٣] . وبعد إتمام مراسم الطلاق تتسلم الزوجة مؤخر صداقها من الزوج بعد أن تقسم اليمين على أنها لم يسبق لها تسلم كتوبتها حسب الشريعة التلمودية " من تسلمت جزءاً من الكاتوباه لا يسدد الباقى إلا بحلف اليمين " [٤]، إلا أن التأثر بالأقاليم التى عاش فيها اليهود مثل القيروان جعل المرأة تقبض مؤخرها دون أن تحلف اليمين [٥]، كما كان يتم دفع المؤخر على أقساط [٦]. ومن التأثيرات الشعبية المغربية على مراسم الطلاق اليهودى ، ما كان يحدث فور خروج المطلقة من المعبد بعد إتمام مراسم الطلاق ، حيث تنتظرها النسوة ، ويسكبون كوبًا من اللبن رمزاً للسعادة ، ولا تعود المطلقة إلى منزل والدها فى أول ليلة طلاق؛ إذا كانت فيه نساء متزوجات خشية أن يصبهن نفس المصير [٧].

الملابس والأزياء اليهودية :

ارتدى اليهود فى الشمال الإفريقى ملابس سكان البلاد . أما تحديد لبس معين لليهود يميزهم عن المسلمين والذى تحدثت عنه المصادر العربية وتلقفه الكتاب اليهود المحدثون ، فكان على الصعيد النظرى دون إلزام دائم فى الجانب التطبيقى ؛ والغالب على الظن أن التطبيق كان يتم كرد فعل لحدث معين . وأقدم المصادر العربية التى تناولت تميز ملابس أهل الذمة فى القيروان خلال العصر الأغلبى كتبها فقيه عاش فى القرن ٥ هـ / ١١م ، تقول روايته " فجعل على أكتاف اليهود والنصارى رقاعًا بيضاء ، وفى كل رقعة منها قرد وخنزير ، وجعل على

---

(١) حاى بن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ٥٦ ؛ Malka, Mallahs, P. 85.

(٢) حاى بن شمعون ، نفس المرجع ، ص ١٠٥ .

(3) Goitein, Mediterranean Society, 3, P. 190 .

(٤) ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ص ٢٢١ .

(5) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I, P. 185 .

(6) Goitein, Op. Cit, 3, P. 267 .

(7) Malka, Op. Cit, P. 86 .

أبواب دورهم ألواحًا مسمرة فى الأبواب مصوراً فيها قردة "(١) . والنص ذاته يحمل بين طياته التشكيك فى حدوثه ، ناهيك عن كون الكاتب فقيهًا ، ومن ثم عرض للجانب النظرى للاشتراطات الفقهاء المسلمين أكثر من عرضه للتطبيق الواقعى لها ، وأسقط المالكى الحاضر على الماصى ليجعل له سنداً فى عمق التاريخ (٢). والونشريسى يورد شكوى وصلت ليحيى ابن عمر صاحب سوق القيروان (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١م) تشير إلى أن أهل الذمة فى القيروان تشبهوا بالمسلمين(٣) ، ويشير أيضًا إلى أنهم تشبهوا بالمسلمين كذلك فى منطقة فاس(٤) ، حيث يوضح أن عادة التميز بين المسلم واليهودى كانت مهجورة (٥). والتميز الذى حدث فى زمن الموحدين وجد فى بعض الأماكن القريبة من الإشراف الحكومى ، حيث منعوا أهل الذمة من " الزى بما هو من زى المسلمين ، أو بما هو أبهة ، وينصب عليهم علم يتميزون به من المسلمين كالشكلة فى حق الرجال والجلجل فى حق النساء " (٦)، وهو أمر ممكن تنفيذه على عكس ماجاء به المالكى مدعيًا أنه حدث فى عصر الأغالبة ، الذين تسامحوا مع اليهود واتخذوا منهم الأطباء (٧).

---

(١) المالكى ، رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية ، نشر حسين مؤنس ، النهضة المصرية ١٩٥١م ، ١ ، ص ٣٨١ .

(٢) توفى المالكى سنة ٤٢٨ هـ أو سنة ٤٥٣ هـ ، ومن المحتمل أنه نقل ذلك عن أحد فقهاء العصر الأغلبى ، وغالبًا ما يتبنى الفقهاء وجهة النظر المثالية البعيدة عن التطبيق العملى .

(٣) المعيار ، ٦ ، ص ٤٢١ ، كان يوسف بن صمويل الناجد إذا خرج فى رفقة باديس بن حبوس الصنهاجى أمير غرناطة يعتلى كل منهم جواده ، ولم يرى الناس فارقًا بين لباس الأمير ولباس وزيره ، دوزى، المسلمون فى الأندلس ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م ، ٣ ، ص ٧٥ .

(4) Archives Marocaines, XII, 1908, P. 233 .

(٥) الهادى روجى إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ٢ ، ص ٣٨٢ ، وإذا كان التميز هو السبب فى تقييد اليهود ببعض الألوان فى زحام المدن ، فإنه من غير المقبول تطبيق ذلك على القري والمحليات الصغيرة حيث كانوا معروفين ، انظر : . Archives Marocaines, XII,, 1908, P. 231 .

(٦) الجرسيفى ، رسالة الجرسيفى فى الحسبة ، ص ١٢٢ ؛ Jewish Encyclopedia, 6, P. 658 . والشكلة تعنى اللون أى يلبسون ملابس لاتشبه ملابس المسلمين فى اللون ، والجلجل جرس صغير ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ١٩٨٥م ، ص ١٣٣ .

(٧) ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ٣ ، ص ٥٨ ، ٥٩ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٦ .

وغالبًا ما تشابه لباس اليهود مع لباس الشمال الإفريقى فيما عدا لون العمامة فكانت عمامة اليهودى سوداء ، وإن تميزت عمامة الرابى عن الجماعة اليهودية بفخامتها[(١)] . فقد لبس رجال الدين بجانب الجلباب معطفًا ذا غطاء رأس ضخم (Capote) أو برنس تفتح أكمامه من عند الكوع حتى المعصم [(٢)]. وربما يكون ذلك من التأثيرات البربرية على ملابسهم، وانعكست تقاليد العامة من المسلمين على اليهود فى استخدامهم للتمائم والتعاويذ، وخاصة النساء ، مثل استخدام كف اليد (كف فاطمة) للوقاية من الحسد فى تزيين ملابسهن ، ولباس المرأة اليهودية أكثر جمالاً حيث صنعت من مزيج من الألوان المزركشة[(٣)]. كما استعملت اليهوديات فى تونس الملابس المطرزة بأشكال زخرفية دينية مثل الشمعدان اليهودى ونجمة دواؤد ذات الأضلاع الستة[(٤)] والجنيزا تشير إلى تشبه النساء اليهوديات بالمسلمات فى ملابسهن ، مثل : ارتداء الثوب والحجاب والخمار والبرنس[(٥)] ، وهى فى الغالب ملابس للخروج . ولم يتقيد النساء اليهوديات بارتداء الملابس الداخلية وخاصة فى الجنوب ، وربما كان ذلك تقليداً لنساء البربر فى المناطق شديدة الحرارة . أما ملابس الأطفال اليهود ، فكانت زاهية الألوان ، وفى قابس وجربة ارتدى الأطفال صديرى بنفسجى فوق ملابسهم يحميهم من البرد [(٦)].

العادات والتقاليد :

اهتم اليهود بعامة بالنظافة والطهارة [(٧)]. وفى الشمال الإفريقى وجد ما يسمى بالحمام الطقسى الذى يتم التطهر فيه وخاصة العروس قبل زفافها . وفيه تتم إزالة شعر الإبط

---

(1) Margoliouth, Apilgrimage to The Land of My Fathers, London, 1850, 2, P. 46 .

(2) Loc. Cit; Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 65 .

(3) Yedida, K. Stillman, Costume as Caltural Statement, P. 133 .

(4) Goitein, Mediterranean Society, 4, P. 199 .

(5) Goitein, Mediterranean Society, 4, P. 191 .

(6) Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 66 .

(٧) انظر سفر اللاويين ، الإصحاح ١١ - ١٥ ، كما يتضمن الجزء السادس من التلمود (سدرت طهورت) قسم التطهيرات ، ويتالف من اثنى عشراً سفراً ؛ ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ٢، م١، ص ٣٧١ .

والعانة، إذ وردت رسالة من القيروان ترجع للقرن ٥ هـ / ١١م بصدد ذلك[١] ، رد عليها الجاؤون حاى Hay بجواز ذلك . وكثيراً ما أرسلت خطابات من يهود شمال إفريقيا تستفسر عن أمور الطهارة [٢]. تمسك اليهود بعادة الختان عندما منعهم ملوك الفرس من إجرائها[٣] ، كما ظلوا متمسكين بها خلال العصر الرومانى ، وتصدى الفلاسفة اليهود للدفاع عن عادة الختان ، وأقاموا الدليل على فوائدها الصحية [٤]، والمرجح أن هذه العادة مصدرها مصر[٥]، يؤكد ذلك فحص المومياوات والرسم على المقابر[٦] . وتجرى عملية الختان بقطع الغرلة فى الذكور وإزالة الغلفة عند النساء كوسيلة من وسائل التطهر[٧] . واتخذ الختان قدسيته عند اليهود فى الشمال الإفريقى من كونه حلفًا مع الرب ذا مظهر دموى[٨] . ويجرى عادة عندما يبلغ الولد سن السابعة أو التاسعة ويقوم الخاتن بامتصاص دم الختانة ورش العضو التناسلى بالكحول [٩]. وتتم عملية الختان غالبًا فى المعبد ، تصاحبها بعض الطقوس والمراسيم . وفى العصور القديمة كان رب الأسرة هو الذى يقوم بعملية الختان ، وبتقدم الزمن أصبح للختان شخص مختص به فى المعبد يسمى الختان (بالعبرية الموهل Mohalim) [١٠].

اعتاد يهود الشمال الإفريقى زيارة قبور القديسين وفاء لنذور قطعوها علي أنفسهم ، إذ كانت عائلات بأكملها تتحمل فى بعض الأحيان عناء الأسفار الطويلة للوصول إلى أماكن هؤلاء القديسين فى مواعيد محددة [١١]. وعادة تقديس الأولياء وزيارة الأضرحة عادة قديمة

---

(1) Mann, Texts and Studies, I. P. 115 .

(2) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 106 .

(٣) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى ، ص ٢٦٦ .

(٤) مصطفى كمال عبد العليم ، اليهود فى مصر ، ص ٢٩٧ .

(٥) أحمد سوسة ، مفصل تاريخ العرب واليهود فى التاريخ ، ص ٥٤٤ .

(٦) فرويد ، موسى والتوحيد ، ترجمة عبد المنعم الحفنى ، الدار المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ٧١ .

(٧) ول ديورانت .، قصة الحضارة ، ٢ م١ ، ص ٣٧١ ؛ زكى شنودة ، المجتمع اليهودى ، بدون نشر ، ص ٢٤١ .

(٨) ثروت أنيس الأسيوطى ، نظام الأسرة ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٩) زعفرانى ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٠) زكى شنودة ، المجتمع اليهودى ، ص ٢١٥ ؛
Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 62 .

(١١) زكى شنودة ، المجتمع اليهودى ، ص ٢٣ .

عند سكان المغرب نتيجة لأفكار دينية اختلطت بالإسلام [١]، وهى منتشرة بين سكان الشمال الإفريقى حتى الآن . ومن العادات الأخرى استخدام التعاويذ والتمائم كوصفات طبية كما تستخدم فى الحماية من الأرواح الشريرة ، وهذه العادة لقيت معارضة من القرائين . وفى القيروان خلال القرن الـ ٥ هـ / ١١م استنكر يهودى يدعى دانيال القابسى هذه العادة ، وربما انتشرت هذه العادة الأمر الذى تطلب استفساراً ، فوردت فتوى من الجاؤون حاى إلى القيروان بخصوص ذلك [٢]، كما شهدت تونس ممارسات سحرية تعود لأصول قديمة[٣] . والسحر والكهانة والتنبؤ عادات بربرية[٤] من المتوقع أن تكون أثرت على اليهود فى تلك البلاد ، وقد استخدم اليهود الرموز الزخرفية للوقاية من السحر والحسد[٥] ، واعتادوا أن يسبق اسم الأم فى كتابة الأحجبة والتمائم [٦]. يورد الكاتب اليهودى سلوش Slousch عدداً من العادات اليهودية ذات جذور قديمة انتشرت فى مدن المغرب . ففى الذاب وفاس وصف الكاتب احتفال اليهود باليوم الأول من سيدر Seder ، حيث كانوا يمثلون عملية الأبعاد من القدس ، وفى جبل نفورسة اعتاد اليهود ترك ما تبقى من حصادهم للفقراء ، كما أنهم لا يشربون فى كوب واحد مرتين ، ويتركون بالمنزل جداراً غير مبيض[٧] ، اقتصر ذلك على يهود جبل نفوسة دون الجماعات اليهودية الأخرى ، مما يعنى أنها عادات اختصت بجبل نفوسة وأهله من البربر وتأثر بها اليهود .

---

(١) ديلاس أوليرى ، الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ، ترجمة تمام حسان ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦١م ، ص ٢٣٦ .

(2) Mann, Texts and Studies, 2 , P. 90; Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 169 .

وعن استخدام السحر فى معالجة الأمراض والوقاية منها انظر : جيمس فريزر ، الغصن الذهبى ، دراسة فى السحر والدين ، ترجمة أحمد أبو زيد ، هيئة الكتاب ١٩٧١م ، ١ ، ص ١١٧ وما بعدها .

(3) Slousch, L'ethnographie Juive de L'Afrique de Bulletin de La Societe de Geographie, T. X. Cairo, 1921, P. 258 .

(٤) الونشريسى ، المعيار ، ١٢ ، ص ٥٥ .

(5) Yedida K. Stillman, Costume as Caltural Statement, P. 133 .

(٦) زعفرانى ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص ٦٤ .

(7) Slousch, Op. Cit, P. 258 .

يذبح اليهود في الشمال الإفريقي وفقًا للشريعة اليهودية ، التى تشترط أن تنفخ الذبيحة حتى تملء هواء لاختبارها من الثقوب ، فإن وجد بها حرموها ، كما يتفقد القلب فإن وجد ملتصقًا إلى الظهر أو إلى أحد الجانبين حرموها . ولم يلتزم القراؤون بهذه الأمور ، ولا يحرمون شيئًا من الذبائح التى يتولون ذبحها البتة (١). تتم عملية الذبح بواسطة الجزار المقدس (Shochetim) (٢)، وهى وظيفة ملحقة بالمعبد ، ونهى فقهاء المسلمين عن ذبح اليهودى للمسلم ، وكذلك شراء اللحم من مجازرهم(٣) . حيث أورد ابن عبدون " لا يجب أن يذبح يهودى لمسلم ويؤمر اليهود أن يتخذوا أوضامًا لأنفسهم "(٤) ، ويفهم من النص أن المحتسب أراد أن يضع حداً لذبح اليهودى للمسلم فى بلاد المغرب بعد أن تزايد فى زمانه (٥).

تأثرت بعض المجتمعات الإسلامية فى الشمال الإفريقى ببعض العادات اليهودية ، ومرد ذلك إلى كثرة أعداد اليهود داخل هذه المجتمعات . فقد أورد أبى زكريا ما يلى : " فخرج عبيد الله متوجهًا إلى سجلماسة ، فجاز بطريقه إلى وارجلان ، فلما رآه سفهاؤهم هزأوا منه . وقالوا هذا الذى جاء من المشرق يطلب الملك ؟ فرموا فى وجهه وضربوا له القرون "(٦) . والنفخ فى قرون الحيوانات (النفير) عادة يهودية تستخدم لجمع الناس ، أو الإعلان عن شيء ، وردت فى التوراة باسم بوق الهتاف (٧). والدرجينى الذى نقل كل ما كتبه أبو زكريا

---

(١) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى ، ص ٢٥٩ ، ٢٦١ .

(2) Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 62 .

(٣) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ٢ ، ص ٤٠ ؛ ابن عبد الرؤوف ، أداب الحسبة ،ص ٩٤ .

(٤) أداب الحسبة ، ص ٤٩ ، والأوضام مفردها وضم ، وهى ما يوضع عليه اللحم من الخشب ، المعجم الوسيط ، ٢ ، ص ١٠٨٣ .

(٥) اعتاد اليهود حسب شريعتهم عدم أكل بعض أجزاء من ذبائحهم يسمونه طاهوراً ، فكانوا يبيعونه للمسلمين ولا " يبينونه " مما دفع بعض المسلمين فى بلاد المغرب للشكوى من ذلك وطلب الفتوى ، الونشريسى ، المعيار ، ٢ ، ص ٢٩ . وفى الأندلس حرم الإباضية طعام أهل الكتاب من اليهود والنصارى على أتباعهم ، ابن حزم ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ٤ ، ص ١٤٤ .

(٦) سير الأئمة وأخبارهم ، ص ١٠٩ .

(٧) سفر اللاويين ، الإصحاح ٢٥ ، فقرة ٩ ، ١٠ .

أسقط عبارة " وضربوا له بالقرون "(١) . ومعاصرة أبى زكريا للأحداث تمنح الثقة فى مقولته ، ولعل الدرجينى أغفل ذلك لمعاصرته للحركة الصليبية فى العالم الإسلامى شرقه وغربه ، حيث حاول عدم إبراز ذلك التأثير حتى لا يساعد فى الدعاية للحركة الصليبية ضد المسلمين .

استخدم اليهود أيضًا الموسيقى فى احتفالاتهم بمقدم مولود حديث ، إلا أن هناك إجابة شهيرة ضد استخدام الآلات الموسيقية بعث بها الجاؤون حاى خلال القرن الـ ٥ هـ / ١١ م إلى أحد علماء القيروان وبأخرى إلى علماء قابس (٢). صاحب احتفالات اليهود أدعية دينية تسمى " الحزانة أو البيوط " تقام فى المناسبات المختلفة من أعياد ومواسم وأفراح تنشدها المجموعة بألحان مختلفة لكل مناسبة (٣).

القضاء اليهودى :

اختصت المحاكم اليهودية بالفصل بين اليهود فى قضاياهم (٤). وقامت المحكمة العليا بالقيروان بهذه المهمة خلال الفترة الجاؤونية ، وسميت بيت الدين (٥)، ورأسها أحد الأحبار(٦)، ولقب أب بيت الدين أو كبير بيت الدين (Ab Bet-Din Haggadol) . أطلق عليه أيضًا ديان اليهود Dayyan (٧). وإلى جانب المحكمة العليا بالقيروان قامت المحاكم المحلية فى المدن المختلفة مثل فاس وسجلماسة (٨). وتتحدد شروط وجب توافرها فى الديان ، منها أن يكون من طلاب المدارس الجاؤونية ، وأن يكون متفقهًا فى الشريعة التلمودية . أما عن هيئة المحكمة فكان الديان يختار اثنين من كبار المجتمع اليهودى الذى يحكم فيه كمساعدين له ، ويشكل مجلسًا مناسبًا للفصل فى القضايا المرفوعة أمامه من أفراد المجتمع

---

(١) طبقات الإباضية ، ١ ورقة رقم ٤١ .

(٢) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٤٧ .

(٣) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى ، ص ٢٦٧ .

(٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ٤٥ ، ٤٦ .

(5) Hirschfeld, (J.Q.R.) 16, 1904, P. 575 .

(٦) إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود والعرب فى الجاهلية ، ص ٧٤ .

(7) Mann, The Jews in Egypt and in Palestine, 1, P. 265 .

(8) Mann, (J.Q.R.) 7, 1916 - 17, P. 485 .

اليـهـودى (١). وتظهر وثائق الجنيزا أن معظم القضايا المدنية فى عهد الفاطميين كانت تنظر أمـام محـاكم يهـودية (٢)، وكان للجماعة اليهودية الحق فى تطبيق ما تصدره محاكمها من أحكام ، أما القضايا التى يكون أحد طرفيها مسلمًا والآخر يهوديًا فكان طبيعيًا أن يوكل أمرها إلى القضاء الإسلامى (٣)، كما استجاب المسلمون إلى رغبة اليهود فى التقاضى فيما بينهم أمام القضاء الإسلامى (٤).

لجأ اليهود دومًا إلى المحاكم اليهودية فى الشمال الإفريقى بخصوص قضايا الميراث (٥). ومن أمثلة ذلك قضية ميراث ترجع إلى عام ٤٢٤ هـ / ١٠٣٢م ، وكان مقدم الدعوى فيها يهودى يدعى موسى ويلقب ابن عمران بن يعقوب القابسى ، الذى قدم دعواه أمام بيت الدين فى القيروان للحصول على ميراث والده بعد وفاته فى رحلته إلى صقلية ، وعندما اضطر موسى للسفر إلى مصر واصلت والدته متابعة الدعوى فى القيروان ، وقدمت وثائقها إلى هيئة المحكمة (٦). طالت الفترة التى تستغرقها قضايا الميراث أمام المحاكم اليهودية ، والمثال على ذلك ، دعوى حول دين قدره ١٤٠٠ درهم مؤرخة بسنة ٤٤٦ ، ٤٤٧ هـ / ١٠٥٤ ، ١٠٥٥م، أقامها التاجر جودة بن جوزيف على التاجر المشهور مناس بن داؤد القيروانى ، وبعدما توفى

---

(1) Mann, The Jews in Egypt and in Palestine, 1, P. 246 .

(٢) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ١٩٤ .

(٣) محمد عبد الوهاب خلاف ، وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ١٢ ، وعن نماذج القضايا انظر القضايا ، رقم ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ .

(٤) الونشريسى ، المعيار ، ١٠ ، ص ٥٦ ، ومن نماذج ذلك . طلب أحد اليهود المدعى عليه من قومه محاكمته أمام قضاه مسلمون لأنه يحمل وثيقة باللغة العربية تشهد على براءته وقع عليها شهود مسلمين . (الونشريسى ، المعيار ، ١٠ ، ص ٥٦) وفى حالة ما أثبت اليهودى أن قضاة اليهود وفقهاءهم على عداوة به أو بعائلته يوكل أمره للقضاة المسلمين . (الونشريسى ، المعيار ، ١٠ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩) .

(٥) ميراث الأب لأبنائه الذكور فقط وللولد البكرى مثل حظ اثنين من إخوته ، ويمكن أن يتفق الأخوة على اقتسام الميراث بالتساوى ، والأم لا ترث فى ابنها ولا فى بنتها ، وإن ماتت يكون ميراثها لأبنائها الذكور ، وإن لم يكن لها ولد فلإبنتها ، إذ توفيت الزوجة يرثها زوجها فقط ، والزوجة لا ميراث لها من تركة زوجها ، سعاديا الفيومى ، الأحكام الشرعية ، ٢ ، ص ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

(6) Hirschfeld, (J.Q.R.) 16, 1904, P. 575 .

الاثنان ، استمر تداول القضية بين أبنائهما ، وواصل أحفادهما ذات القضية[١] . ومن مهام المحكمة اليهودية اختيار أوصياء القصر . ومن حق الوصى جمع أملاك القاصر الوريث ، ورفع القضايا نيابة عنه ضد المدنيين ، ومن مهام المحكمة أيضًا تنفيذ وصايا المتوفى ؛ إذ لم يتعارض مع الشريعة اليهودية ، ومن أمثلة ذلك وصية من والدة تسكن القيروان بتقسيم الدور العلوى فى منزل لها بالتساوى بين أولادها الإناث والذكور [٢]. وفى حالة التباس الأمور على محكمة القيروان فى إحدى القضايا أرسلت إلى بغداد والقدس طالبة الفتوى ؛ وكانت المحكمة ملزمة بالفتوى حيث تعتبر أن هذه الفتوى وضعت الأمور فى نصابها الصحيح [٣]، وأخيراً نيط بالمحكمة اليهودية تسجيل عقود الزواج ، والاحتفاظ بسجلات تحتوى على نسخًا من هذه العقود [٤].

(الناجد) رئيس الجماعة اليهودية فى الشتات :

يعنى لقد الناجد[٥] بالعربية رئيس اليهود ، ويحكم وظيفته فإنه يمثل كل اليهود فى مجتمعه ويخدمهم كسلطة قانونية وكقاضى طبقًا لقوانينهم . فهو يراقب عقود الزواج ويعلنهم بالمحرمات ويوجههم فى صلواتهم ، وكان المسئول أمام السلطات الإسلامية عن جماعته [٦]. أطلق اليهود بعد السبى البابلى على عميدهم لقب ريش جالوت Rash Ha-Qehillot ، وهى لفظة آرمية تعنى رأس الجالية وعنها أخذ العرب لفظ رأس الجالوت [٧]، حيث ظهر هذا

---

(1) Goitein, Mediterranean Socity, 3, P. 288 .

(٢) عن ميراث البيوت ، انظر سعاديا الفيومى ، الأحكام الشرعية ، ٢ ، ص ١٣٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ؛

Goitein, Mediterranean Society, 3, PP. 281, 300 .

(3) Mann, (J.Q.R.) 11, 1920 - 21, P. 442 .

(٤) طلبت سيدة فقدت عقد زواجها من المحكمة صورة منه بعد زواجها بعدة سنوات ، واستخرجت نسخة طبق الأصل من النسخة الأصلية المحفوظة فى سجلات المحكمة ، انظر : جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ١٩٨ .

(٥) ورد لفظ الناجد فى التوراة ، ودائمًا تترجم على أنها أمير أو قائد ، وهى اختصار لأمير الشتات ، وأمير شعب الرب ، وأمير الأمراء ، انظر : Goitein, Mediterranean Socity, 2, P. 24 .

(6) Mann, The Jews in Egypt and in Palestine, I, P. 255 .

(٧) بنيامين التطيلى ، رحلته ، عزرا حداد ، بيروت ١٩٩٦م ، ص ١٩٦ .

اللقب بشكل مستقل فى الشرق ، فقد شغل هذا المنصب مواطن بارز ، غالبًا ما كان يخدم فى البلاط فى وظيفة ما (١).

تأخر ظهور لقب الناجد فى مناطق الشتات ، إلا أن الوثائق تشير إلى وجود قادة لليهود بالمدن ، وتعود أقدمها إلى سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م وتتعلق بمجتمع اليهود فى مدينة الفسطاط، وتنم عن أن رئيس هذه الجماعة تبع الرئاسة الروحية فى العراق(٢) . أما سلطة هذا الرئيس - الذى لقب فيما بعد بالناجد - فتكشفها أوراق الجنيزا ، مؤكدة أنه صاحب السلطة القضائية والإدارية العليا على الجماعة ، إذ حق له تعين قضاة الجماعة ، كما نيط به الموافقة على تعيين الموظفين الذين يختارهم القضاة ، واختيار المقدمين لرئاسة الجماعة اليهودية فى الأقاليم وفى الريف التابع لمدينته (٣). وعلى الصعيد المالى بات الناجد مسئولاً عن جباية الضرائب المفروضة على أبناء دينه(٤) وبذلك يمكن القول إن صاحب هذه الوظيفة كان حلقة الوصل بين إخوانه وقادة المجتمع من المسلمين ، ومن جانب آخر بين مجتمعه وقيادته الروحية .

اختلف المؤرخون والباحثون فى التاريخ اليهودى حول بداية ظهور لقب الناجد (٥)، لأن الوظيفة التى تولاها صاحب هذا اللقب وجدت بالفعل قبل ظهور اللقب ، إذ وجد من تولى

---

(1) Stillman, The Jews of Arab Lands, P. 46 .

(2) Mann, The Jews in Egypt and in Palestine, I, PP. 13 - 15, 26 .

(٣) استعمل لقب (مقدم) فى المهدية ، حيث ورد هذا اللقب فى خطاب قادم إلى القاهرة من المهدية ، انظر: Goitein, Mediterraneann Society, PP. 33-34, 76 .

(4) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I, P. 207 .

(٥) سادت أعداد من الألقاب بين اليهود قبل القرن الـ ٣ منها رابى Rabye بمعنى سيدى ، وربان Ra-ban بمعنى سيدنا ، وراب أو راف Rab بمعنى سيد ، وظهرت ألقاب أخرى بعد القرن الـ٣م منها مار Mar وتعنى سيد باللغة الآرمية ، انتقلت إلى المسيحية بعد ذلك وتقلده كبار القديسين مثل مار جرجس . أما فيما يتعلق بالألقاب فى الشمال الإفريقى ، فقد أرسل الجاؤون شيررا Shrira رئيس مدرسة بمبادثا رسالة إلى الرابى يعقوب بن نسيم فى القيروان يصفه بالسيد يعقوب بن السيد نسيم (مار يعقوب بن مار نسيم) يوضح فى رسالته الأمور المتعلقة بالألقاب ، كما أن الخطابات الآتية إلى القيروان وصفت قادة اليهود فيها ألقاب مثل (ربان) ، (ناجد) ، انظر :

Mann, (J.Q.R.), 11, 1920 - 21, P. 430؛ عبد الرازق قنديل ، الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ١٩٩ .

مسئولية الجماعة اليهودية فى المدن وتوابعها دون أن يحمل لقب الناجد . ورأى البعض أن لقب الناجد من صنع الفاطميين (١)، بينما قال آخرون أن اللقب وجد قبل قيام الدولة الفاطمية. والغالب على الظن رجاحة الرأى الأخير ، إذ منح اللقب لأحد أفراد الأسرة الجاؤونية بالعراق سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٠م (٢). وفى المغرب الإسلامى وجدت الوظيفة (رئيس اليهود) دون اللقب أول الأمر ، لأنه لم تصلنا أخبار عنه حتى أطلق على شخص يدعى أبراهام بن عطا Abraham Ibn Nathan الذى لقبه الجاؤون حاى Hay باللقب وقرن اسمه به فى قصيدة لشاعر مجهول(٣) . ووجدت وظيفة الناجد (رئيس الجماعة اليهودية) بمدن الشمال الإفريقى، ففى أخريات العصر الأغلبى قدم من بغداد إلى القيروان أحد اليهود الذى دعى ماروكبه ma-ruqba واستوطنها وقام بمهام رئيس اليهود فيها (٤). كما شغل هذه الوظيفة إبان هيمنة الخلافة الفاطمية على شرق الشمال الإفريقى من يدعى بالتيل Palteil ، وبسط نفوذه على اليهود فى تلك المنطقة الواقعة تحت سيطرة الفاطميين (٥)، وخلفه فى هذا المنصب ابنه

---

(1) Goitein, New Sources Concerning The Nagids of Qayawan, (Zion) , 27, 1962, (In Hwbrew), P. 11 .

(2) Goitein, Mediterraneann Society, 2, P. 24 .

(2) Mann, (J.Q.R) II, 1920 - 21 , P. 430 .

نشر Stillman خطاب أرسل من القيروان إلى الجاؤون حاى Hay من جوزيف ونسيم برخيا عن طريق جوزيف بن عوكل بالفسطاط ، حملته قافلة من القيروان فى ٢٥ ديسمبر ١٠١٥ ، تصف الرسالة حالة الهدوء والأمان التى تلت عاصفة الرعب (الحرب مع زناته) ويرجع ذلك إلى منحه من الرب وهبها إلى السلطان الصنهاجى باديس بن المنصور الذى حمى المغرب ، وكان يرافقه فى انتصاراته الناجد أبو اسحاق إبراهام بن عطا ، انظر نص الرسالة: The Jews of Arab lands, PP. 183 - 184 .

(4) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I, P. 207 .

(5) Mann, The Jews in Egypt and Palestine, I, P. 252 .

يذكر هيرشبرج Hirschberg أن بالتيل Palteil ما هو إلا موسى بن ايليعازر طبيب المعز الفاطمى (Op. Cit, P. 104 , 205) ، ويرجع أصله إلى جنوب إيطاليا ، أسره أحد المسلمين التونسيين عند إغارته على الجنوب الإيطالى سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥م ، وأصبح من أشهر تلاميذ الطبيب اليهودى اسحق الإسرائيلى Isaac Israeli ، وكتب دستور الأدوية وتفانى فى خدمة المعز ، انظر القفطى ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة الخانجى ١٣٢٦هـ ، ص ٢١١ ؛ Goitein, Mediterranean Society, 2, P. 243 .

صمويل Samuel . أما فى غرب الشمال الإفريقى حيث بسطت الخلافة الأموية سلطانها[١]، اختار المنصور بن أبى عامر يهوديًا يدعى يعقوب بن جو Jacob Ibn Jau لشغل الوظيفة فى المغرب الأقصى والأندلس[٢] .

انتقل الفاطميون إلى مصر ، فانتقل معهم بالتيل Palteil ومارس مهامه كرئيس لليهود فى أفريقية ومصر حتى أواخر القرن الـ ٤ هـ / الـ ١٠م ، حتى اختارت مدرسة العراق شخصًا أخر لشغل هذا المنصب فى أفريقية وحدها ، ويدعى يهودا بن جوزيف Yahuda B. Joseph، ووصفته رسالة الجاؤون بـ (سيد شعبه وقائده)[٣] . والغالب على الظن أن الفصل بين القاهرة والقيروان فى هذا المنصب نجم عن خلع بنى زيرى الصنهاجين طاعتهم للفاطميين [٤]، وبذلك لم تعد إفريقية تابعة لهم . حتم ذلك على مدرسة العراق اختيار شخص آخر لرئاسة الجماعة اليهودية بإفريقية ، غير رئيس الجماعة اليهودية بالقاهرة - لتبعية كل جماعة لسلطة سياسية منفصلة - ولعل يهودا هذا كان آخر من شغل منصب رئيس اليهود فى إفريقية دون اتخاذ لقب الناجد ، لأن إبراهام بن عطا الذى جاء بعده أول من اتخذ لقب الناجد ، وأسس ناجدية القيروان [٥].

تعد ناجدية القيروان أول مؤسسة يهودية رسمية أوكل إليها رعاية شئون اليهود فى الشمال الإفريقى ، إذ تم تنصيب إبراهام بن عطا ناجداً للقيروان فى النصف الأول من القرن الـ٥هـ/ ١١م [٦]. ولعل سبب اختياره لهذا المنصب قربه من أصحاب السلطان واتخاذ القرار ،

---

(١) تبع المغرب الأقصى وبعض الأوسط للخلافة الأموية بالأندلس ، وإن كانت سلطة الأمويين بين مد وجذر فى عهد الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبى عامر سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦م ، بعد قضاء الأمويون على محاولة الأدارسة بمساعدة بنى زيرى الصنهاجين لاستعادة المغرب الأقصى ، ابن أبى زرع ، الأنيس ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ، ص ١٨٥ ؛ مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٢٠ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٢٩ .

(2) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 205 .

(3) Mann, Texts and Studies, I, P. 116 .

(٤) خلع بنو زيرى طاعة الفاطميين إبان حكم الأمير الزيرى المعز بن باديس سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١م ، انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ، ص ٢٨٨ ، ومابعدها .

(5) mann, (J.Q.R.) , II, 1920 - 21 , PP. 429 - 430 .

(6) Ibid., P. 429 .

فقد كان يرافق باديس بن المنصور فى رحلاته الحربية إلى الغرب (١)، كما عمل طبيبًا لابنه المعز (٢). ولا مراء فى أن ذلك مكنه من تسهيل أمور أبناء دينه ، ومنحهم امتيازات تاقت نفوسهم إليها (٣)، كما رفعته مدارس العراق وخاصة الجاؤون حاى Hay مكانًا عليًا حين خلعت عليه لقب ناجد سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥م (٤)، عله يزداد رفعة فى عين المعز بن باديس وبلاطه . خلف إبراهام بن عطا فى منصب الناجد ، يعقوب بن عمران الذى أضفت عليه الوثائق لقب (أمير الشتات) (٥) ولقبته الخطابات الواردة إلى القيروان بلقب الناجد (٦)، عاش بالقيروان وأقام بالمهدية من حين لآخر (٧). وينتمى يعقوب إلى جذور أوربية ، حيث تفصح إحدى الوثائق عن جمعه أموالاً لقريب له رومى تعويضًا عما سلبه اللصوص أثناء سفره(٨). ويؤكد ذلك عودته إلى أوربا عندما اصطدم بالسلطات فى القيروان سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠م ، حيث هاجر إلى أسبانيا واستقر بها (٩).

بات جليًا أن اختيار الناجد القيروان تم دومًا برضاء السلطة الحاكمة ومباركة السلطة الروحية لليهود ، كما أفصحت الوثائق من سبق إطلاق لقب الناجد على العريف المنوط به أمور اليهود بالقيروان عن نظيره فى مصر وكذلك الأندلس ، فقد أشارت الوثائق إلى أن مبارك بن سعاديا أول من حمل لقب الناجد فى مصر سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م (١٠)، مما يدعو إلى الاعتقاد بأن القيروان بلغت شأنًا أبعد من مصر لدى القيادة الروحية لليهود أبان تلك الفترة . يرجع ذلك أنه تم فصل المهام الدينية عن الإدارية للناجد فى القيروان (١١)، بينما

---

(1) Stillman , The Jews of Arab Lands, P. 183 .

(2) Goitein, (Zion), 27, 1962, P. 12 .

(٣) الونشريسى ، المعيار ، ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ . Archives Marocaines, Pairs, 1908, XII, P. 233 .

(4) Mann, (J.Q.R.), II, 1920-21, P. 430 .

(5) Goitein, Mediterranean Society, 2, P. 24 .

(6) Mann, (J.Q.R.), II, 1920 - 21, P. 429 .

(7) Mann, (J.Q.R.) , 9, 1918-19, P. 163 .

(8) Mann, (J.Q.R.), 11, 1920 - 21, PP. 454 - 455 .

(9) Goitein, Mediterranean Society, 2, P. 25 .

(10) Ibid., 2, P. 30 .

(11) Ibid., P. 25 .

جمعت للناجد فى مصر أبان ذات الفترة . فقد اسندت المهام الدينية فى القيروان إلى أحد الأحبار اليهود يدعى الحانان بن حوشيل R. El Hanan Ibn Husheil الذى شغل منصب رئيس بيت الدين (المحكمة) فى القيروان فى ذات الوقت الذى تولى فيه يعقوب بن عمران منصب الناجد [١]، بينما جمع ناجد مصر مبارك بن سعاديا الذى عاصر يعقوب بن عمران الشقين الإدارى والدينى [٢]، رغم أنه سبق الفصل بين هذين الشقين فى مصر ، والراجح أن هذا الفصل نبع من مدى اهتمام السلطات اليهودية العليا بمنطقة ما . فإذا كان هناك فصل فى مصر قبل هذه الفترة فذلك لما تتمتع به الدولة الفاطمية من قوة اقتصادية وسياسية . أما هذه الفترة فقد ضعفت فيها مصر بعد الشدة المستنصرية [٣]، مما يبين اهتمام اليهود بالقيروان بعد خروجها على طاعة الفاطميين .

مجمل القول أن اليهود خضعوا لنظام الجوار فى بعض مناطق بلاد المغرب مما يؤكد على الاختلاط بالسكان ويدحض فكرة الانعزال ، ومن نتائج هذا الاختلاط تبادل التأثير الحضارى بين سكان البلاد من العرب والبربر واليهود .

---

(1) Mann, (J.Q.R.), II, 1920-21, P. 430 ;

تصف الخطابات الواردة إلى القيروان الرابى الحانان بن حوشيل بصفات التبجيل والاحترام مثل " معلمنا الحاخام العظيم رئيس محكمة العدل والفطنة والصدق " كما يرد اسمه فى الخطابات قبل اسم الناجد ، راجع :
Mann, (J.Q.R.), 1918-19, 171 , 175 .

(2) Goitein, Mediterranean Society, 2, PP. 29-31 .

(٣) النويرى ، نهاية الأرب ، ٨ ، ص ٢٤ ، وما بعدها .

الفصل الخامس
الثقافة والعلوم عند اليهود فى بلاد المغرب

مقدمة – اللغة العربية – التعليم – المدارس الشرقية وتنافسها – العلماء اليهود المحليين – العلماء اليهود المهاجرين – الأطباء – القراؤون .

مقدمة :

تأخر ظهور ثقافة محلية يهودية فى بلاد المغرب ، كما لم تصل إشارات عن ظهور أدبيات يهودية قبل القرن ٤ هـ / ١٠م ، سوى رسالة يهودا بن قريش إلى يهود فاس ؛ التى من المحتمل أن تكون قد كتبت فى نهاية القرن ٩م /٣-٤ هـ ، أما خلال القرن ٤-٥ هـ/ ١٠-١١م فقد ظهرت إرهاصات لفكر دينى يهودى فى القيروان بعد وصول الرابى حوشيل إليها ، وكذلك يعقوب بن نسيم ، وهما اللذان كانا على رأس مدرستين دينيتين إنصب اهتمامهما على الدراسات التلمودية . كما أن المراكز اليهودية الأخرى فى تلمسان وفاس وسجلماسة وغيرهم لم يكن لها تأثير على الثقافة اليهودية أبان تلك الفترة ، ويبدو أن اهتمام اليهود قد انحصر بصفة أساسية فى تأويل الكتاب المقدس والشريعة بخلاف الدراسات الطبية وعلوم الطبيعة ، وهو ما قام به العلماء والأطباء اليهود فى بغداد فى عصر المأمون [١].

اللغة العربية عند اليهود :

عاش اليهود فى معظم الأقطار ، واستخدموا لغة السكان الذين يعيشون بينهم[٢] ، بسبب رغبتهم فى إظهار توافقهم مع المجتمع ، وعدم اعتبارهم عنصراً غريبًا فيه ، ناهيك عما يمنحهم تعلم لغة أهل البلاد من فرص الاختلاط والعمل . ففى الإسكندرية القديمة ، على سبيل المثال ، اهتم اليهود باللغة والثقافة الإغريقية ، وتعتبر أعمال الفيلسوف اليهودى السكندرى فيلون نموذجًا لإنتاج اليهود الأدبى فى العصر الرومانى ، حيث طغت عليه لغة البلاد حتى إنه

---

(١) ديلاس أوليرى ، الفكر العربى ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(2) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, I, P. 147 .

كـان يجـهل العـبـرية (١). وفى المجتمعات العربية استعمل اليهود الذين عاشوا بها اللغة العربية منذ الأزمنة الباكرة (٢)، وفى الشمال الإفريقى - قبل ظهور الإسلام - اتخذ اليهود لغة البلاد لغة لهم ، إذ لم تكن عمليات التهويد تتم بين القبائل البربرية دون الإلمام باللغة البربرية . ولأن اللغة البربرية لم تترك ميراثًا ثقافيًا فلم تصمد طويلاً أمام اللغة العربية التى كانت دومًا فى ركاب الفاتحين المسلمين وتعلمها أهل البلاد بعد أن اتخذوا الإسلام دينًا ، ورويداً رويداً تحول اليهود إلى اللغة العربية ولم تأت سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠م حتى تعلمت معظم المجتمعات اليهودية اللغة العربية واستخدمتها فى معاملاتها(٣)، دون أن نغفل أن بعض المناطق سبقت بعضها فى تعلم العربية ، ولاشك أن المدن كانت أول المجتمعات التى سادتها اللغة العربية ، ومن ثم امتلك اليهود ناصية اللغة العربية حرصًا على المعاملات التجارية والاتصالات اليومية ، أما المتهودون من البربر الذين عاشوا فى السهول والصحارى والجبال بعيداً عن المدن فظلوا لايجيدون العربية لفترة أطول بعد الفتح مثل إخوانهم فى الجنس.

تساوق اليهود الذين عاشوا فى كنف الدولة الفاطمية مع اللغة العربية وبلغت معرفتهم بها أن بات بعضهم خبراء فى الخط العربى (٤)، فلم تغفل المدارس اليهودية تدريس الخط العربى إلى جانب اللغة العربية (٥). فتمكن اليهود من اللغة العربية حتى أمست لغة تخاطب بينهم، وإن أدخلوا عليها بعض المصطلحات العبرية وخاصة التى ترتبط بأمور دينهم (٦)، يؤكد ذلك

---

(١) مصطفى كمال عبد العليم ، اليهود فى مصر ، ص ٢٩٢ .

(2) Lewis, Bernard, The Jews of Islam, P. 112 .

(٣) أصبحت اللغة العربية هى السائدة بين اليهود فى البلدان العربية بعد ٣٥٠ سنة من الفتوحات الإسلامية (Goitein, Jews and Arabs, P. 131) وفى نفس الفترة ازدهرت اللغة العبرية مع ازدهار اللغة العربية فى الأندلس ، وانبثقت حركة أدبية قوية باللغة العبرية اقترنت بعناية فائقة بضبط اللغة وتقييد ألفاظها وقواعدها ؛ إذ أن إجادة اليهود للعربية - التى هى وعاء الثقافة الإسلامية - جعلهم ينفتحون على الثقافات العربية الإسلامية فى الأندلس ، (حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى ، ص ٢٠٣) .

(٤) وقعت إحدى رسائل الإباضية إلى بنى أمية فى الأندلس لمساعدتهم فى مواجهة الفاطميين فى أيدى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، وعندما ألقى القبض على أحد شيوخ الإباضية الذى عمل كاتبًا لأحد قواد الإباضية ، فأرادوا أن يستكتبوه ليتحققوا هل هو كاتب رسالة الاستغاثة أم لا ، قال اليهودى " أنا استخرج لكم خطه " انظر أبو زكريا ، سير الأئمة وأخبارهم ، ص ١٤٥ ؛ الدرجينى ، طبقات الإباضية ، ورقة رقم ٥٩ .

(5)Goitein, Mediterranean Socity, 2, PP. 173, 193 .

(6) Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 64 .

أن يهود المغرب العربى دونوا خطاباتهم التجارية وعقود معاملاتهم وعقود الزواج أيضًا باللغة العربية ، مما يعطيها قيمة شرعية أمام المحاكم الإسلامية [١]. أما خطاباتهم التى تخص أمورًا داخلية أو أحوالاً خاصة فغالبًا ما كتبوها باللغة العبرية [٢]. رصدت الفتاوى الدينية الخاصة بالشمال الإفريقى استعمال اليهود للغة العربية فى توجيه الأسئلة والاستفسارات إلى مدارس العراق والرد عليها ، حيث رد الجاؤون شيررا Shrira سنة ٣٦٨هـ/٩٨٧م باللغة العربية على الأطراف المعنيين بالقضية [٣]. كما دون اليهود مؤلفاتهم باللغة العربية وإن استخدموا الحروف العبرية فى كتاباتهم ؛ لذا أطلق عليها اللغة العربية اليهودية[٤].

سادت اللغة العربية بين يهود الشمال الإفريقى ، حتى أنهم استخدموها فى كثير من الأعمال الأدبية وفى الكتابات الدينية والعلمانية وتوضيح وشرح التوراة والمشنا واللاهوت والفلسفة ومناقشات القانون اليهودى ، وكذلك دراسة النحو العبرى ، وتأليف المعاجم [٥]، ولا أدل على شيوع اللغة العربية بين اليهود فى الشمال الإفريقى من استعمالها فى تأليف كتب النحو العبرى [٦]. لا مراء أن يهود الشمال الإفريقى تمكنوا من اللغة العربية حتى أنهم استعاروا أساليبها الأدبية فى التعبير اليهودى ، حيث تأثر يهود سجلماسة بالأسلوب العربى، فكتبوا أسئلتهم الدينية التى أرسلت إلى بغداد متأثرين بالأدبيات الإسلامية مثل الفقه وغيره[٧]. استخدم يهود فاس أيضًا اللغة العربية أمام المحاكم اليهودية ، فقدم الأطراف

---

(١) الهادى روجى إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ٢ ، ص ٢٨٣ .

(2) Goitein, Jews and Arabs, PP. 93,94 .

(3) Mann, (J.Q.R.) 11, 1920-21, P. 463 .

(٤) نظرًا لاستخدام حروف الهجاء العبرية فى كتابة اللغة العربية التى تزيد عن العبرية بستة حروف هى الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين . استخدمت العربية اليهودية فى بعض الأحيان حرفًا عبريًا واحدًا للتعبير عن حرفين عربيين ويشار إليه بوضع نقطة أو خطًا مائلاً فوق الحرف الذى يختلف عنه نطقًا ، انظر ، ليلى أبو المجد ، الوثائق اليهودية فى مصر فى العصور الوسطى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٨٧م ، ص ٩٠ .

(5) Goitein, Jews and Arabs, P. 132 .

(٦) نجوى هدايت ، اليهود فى قرطبة فى عصر الخلافة الأموية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٩٥م ، ص١٢٢ .

(7) Goietin , Op. Cit, PP. 121 - 122 .

حججهم مدونة باللغة العربية ، وسجلوا بها القرارات التى سيرت أعمالهم التجارية مثل العقود [(١)]. وهكذا سبق يهود مدينة فاس إخوانهم فى مدن الشمال الإفريقى الأخرى فى استعمال اللغة العربية ؛ إذ استخدموها منذ إنشائها سنة ١٩٣هـ/ ٨٨٠م، يوضح ذلك الرسالة التى أرسلها العالم اليهودى فى تاهرت يهودا بن قريش فى نهاية القرن الـ ٣هـ/الـ٩ م إلى المجتمع اليهودى فى فاس بعد مرور حوالى مائة عام على إنشائها يطلب منهم العودة إلى اللغة الآرامية فى قراءة التوراة بالمعابد (الترجوم) ، معترضًا على تنازلهم عنها معضداً مطلبه فى رسالته بأن معرفة اللغة الآرامية تساعد على الفهم الجيد للغة العبرية [(٢)]، التى بدأت تتوارى فى فاس حتى خاف عليها من الاندثار . ولعل سبق يهود فاس إلى تعلم اللغة العربية بسبب أنهم نزحوا إليها من القيروان ومن الأندلس فضلاً عن اليهود البربر الذين سكنوا الإقليم قبل بناء المدينة [(٣)]، وإن استعمال هؤلاء اليهود للغة العربية أنهم - قبل هجرتهم إلى فاس - عاشوا فى كنف حكومات إسلامية عربية ، على عكس البربر المتهودين منهم فربما تأخروا قليلاً فى اكتساب اللغة العربية وكذلك فى إجادتها حينًا ، ولعل ذلك كان فى نهاية القرن الـ ٤هـ/الـ ١٠م [(٤)]، وأضافوا إليها العديد من مفرداتهم الأمازيغية ، مثلما أضاف اليهود المهاجرون بعض المفردات العبرية إلى اللغة العربية وخاصة فى العبادات [(٥)]. لذلك كانت رسالة ابن قريش حثًا صارخًا للمجتمع اليهودى فى مدينة فاس على استخدام الترجمة الآرامية للتوراة ، فيهود فاس لم يعرفوا لهم لغة سوى اللغة العربية مما دفع ابن قريش أن يكتب رسالته باللغة العربية . أما الصفوة منهم فربما جمعوا بين العبرية والآرامية والعربية ، ومن ثم امتهن بعض يهود المغرب العربى خلال العصور الوسطى الترجمة إلى العربية [(٦)]، كما

---

(1) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 152 .

(2) Y. Demach, (Hesperis) XIX, 1934, PP. 82,83 .

انتشرت اللغة الآرامية بين اليهود بعد السبى البابلى ، برغم جهود الأحبار فى محاربتها خوفًا على لغتهم القومية العبرية ، فإنها رسخت قدمها لأن الطبقات غير المتعلمة منهم نسيت العبرية ، حتى اضطر الأحبار إلى أن يدونوا تراجم التوراة باللغة الآرامية ، فأصبحت لغة البحث فى شرائع التوراة وتفسيرها ، انظر ، إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، القاهرة ١٩٢٩م ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) انظر قبله .

(٤) عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ١٠٦ .

(5) Choueaqui, A History of The Jews of The North Africa, P. 64 .

(٦) ابن عبدون ، أداب الحسبة ، ص ٥٧ .

وجدت نماذج كثيرة للغة العربية فى وثائق الجنيزا من كتابات بخط متقن بأسلوب سليم فى الخطابات الى كتبها اليهود المغاربة [١]، يدل ذلك على امتلاك اليهود ناصية اللغة العربية ، وقد سبق يهود الشمال الإفريقى فى الترجمة إلى العربية الجاؤون سعاديا بن يوسف الفيومى ٢٦٩ - ٣٣١ هـ / ٨٨٢ - ٩٤٢ م ، فقد كان أول من ترجم العهد القديم إلى اللغة العربية ، وكتب تعليقات على معظم أجزائه ، كما كتب مؤلفات باللغة العربية ، مثل كتاب الأمانات والاعتقادات الذى ترجم بعد ذلك إلى العبرية وهو كتاب يهاجم فيه القرائين [٢] .

التعليم :

لعب التعليم الدينى دوراً مهمًا فى حياة اليهود بالشمال الإفريقى ، كما حرصوا على إحياء لغتهم التى اندثرت ، ومنذ القرن ٤ هـ / ١٠م تأسست مدارس تلمودية فى المدن ذات التجمعات اليهودية الكبيرة فى الشمال الإفريقى مثل القيروان وتلمسان وسجلماسة ، والغالب على الظن أن هذه المدارس كانت ملحقة بالمعابد مثلما كان الكتاب الإسلامى ملحقًا بالمساجد[٣]. ففى القيروان تأسست مدرستان فى القرن ٤هـ / ١٠م ؛ أسس الأولى الرابى يعقوب بن نسيم (ت ٣٩٧ أو ٣٩٨ هـ / ١٠٠٦ أو ١٠٠٧م) ، وتبعت هذه المدارس المدارس العراقية [٤]، والثانية أسسها الرابى حوشيل R. Husheil (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م تقريبًا)

---

(١) جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٢٠٦ .

(٢) المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٢١٣ ، وسعاديا هو أول العلماء اليهود الذين اهتموا بكل أفرع العلوم والمعرفة فى زمانه ، ولذلك فهو يسمى أبو الفلسفة اليهودية وله إسهامات كثيرة فى هذه الفروع . ولد سعاديا فى مصر وذهب فى رحلة للحج إلى الأراضى المقدسة ، ومن هناك توجه إلى حلب ثم بغداد واستقر نهائيًا فى جاؤونية سورا حيث عين رئيسًا لها فى عمر ٣٦ عامًا ، انظر :

Menahem Mansoor, Jewish History and Thought, Ktav Publishing House 1991, PP. 200-201 .

تأثر سعاديا بالفكر العربى حيث عاش عصر ازدهار الفكر والعلوم الإسلامية ، وانتعش بالثقافات المختلفة التى امتلأت بها خزائن دار الحكمة فى بغداد ، فاطلع على ما خلفه علماء المسلمين من فكر وقرأ عن المناقشات العلمية بين مدرستى الكوفة والبصرة فى النحو ، وبين مدرسة الحجاز والعراق فى التشريع والفقه ، انظر ، عبد الرازق قنديل ، الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ، ص ١٨٧ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(4) Mann, Texts and Studies, 1, P. 113 .

لتعليم اللاهوت (١). أدت مدرسة يعقوب بن نسيم دورها العلمي طيلة حياة مؤسسها ، فما أن وافاه الأجل حتى اختارت المدارس العراقية يوسف بن براخيا خلفًا له على أن يتولى مسئولية المدرسة ، علاوة على أن يكون مندوبًا عن المدارس العراقية فى الشمال الإفريقى(٢)، وأدى يوسف الدور المنوط به حتى خلفه في رئاسة المدارس نسيم بن يعقوب (٣)؛ ولعل ذلك دلالة على وراثة المناصب الدينية ، والأخير كان همزة الوصل إلى الجاؤون حاى Hay والوزير الغرناطى صمويل الناجد (٤). كما كانت اتصالات نسيم بن يعقوب مع المدارس العراقية تتم عن طريق القاهرة ، حيث ترسل الأسئلة والخطابات أولاً إلى ابن عوكل ومنها إلى العراق ، وتأتى أيضًا عن طريقة الإجابات . ففى رسالة من نسيم بن يعقوب إلى ابن عوكل تفصح عن قلق نسيم من تأخر إجابات الجاؤون حاى Hay ، وتتضمن الرسالة سؤالاً جديداً إلى الجاؤون ، وهناك إشارة إلى مبلغ أرسل كتبرع للمدارس هناك(٥) .

---

(1)Goitein, Mediterranean Society, 1, P. 53 .

(١) وصل إلى القيروان رسالة مؤرخة بسنة ١٠٠٧م من العراق تفيد تعيين جوزيف بن براخيا مندوبًا للمدارس العراقية فى القيروان ، انظر الملاحق وكذلك : Mann, Op. Cit, 1, P. 133, 159.

(3) Stillman, The Jews of Arab Lands, P. 45 .

(4) Mann,Texts and Studies, 1,P. 112 .

وزر صمويل لصاحب غرناطة حبوس بن ماكس بن زيرى (٤١٠ - ٤٢٩ هـ / ١٠١٩-١٠٣٧م) ثم لابنه باديس (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٧م - ١٠٧٤م) ولقبه اليهود هناك بالناجد ولقبه بنى زيرى بالوزير والمشير، كان عالمًا بالعربية وأصولها ، وبالرياضيات والهندسة - والنجوم والمنطق والفلسفة والنحو وفاق نظرائه فى الجدل ، عطف على شباب الباحثين اليهود ، واستخدم جماعة من الكتاب ينسخون له المشنا والتلمود وراح يهب هذه المخطوطات إلى الطلاب العاجزين عن شرائها ، وامتدت أفضاله وعطاياه إلى أبناء دينه فى الشمال الإفريقى وصقلية والقدس والعراق ، خلفه ابنه يوسف على الوزارة فى عهد باديس ، لمزيد من التفاصيل انظر : (ابن حزم الأندلسى ، الرد على ابن النغريلة اليهودى ، تحقيق : إحسان عباس ، دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٠م ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ١ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ؛ دوزى ، المسلمون فى الأندلس ، ٣ ، ص ٢٢ - ٢٤ ، ٧٥ ؛ عنان ، دول الطوائف ، مكتبة الخانجى ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ . فكر صمويل فى وقت من الأوقات فى إقامة دولة يهودية فى الأندلس ، دائرة المعارف الإسلامية " مادة بنو زيرى " صفحة ٥٤١٢ ، ٥٤١٣ .

(5) Mann, Op. Cit, 1, PP. 137, 142 - 143 .

خلف الرابى حوشيل بعد موته سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م فى رئاسة مدرسته ابنه الرابى الحانان R.Hanan الذى ذاعت شهرته فى القيروان ، وبوأته مكانته لتولى رئاسة المحكمة هناك لكونه من أوائل المفسرين للتلمود بالشمال الإفريقى [١]. ولم تقف شهرته عند حد الشمال الإفريقى ، وإنما تخطته إلى صقلية فوصفه يهودها " بمعلمنا الحاخام العظيم رئيس المحكمة العدل والفطنة والصدق " [٢]. ومن هاتين المدرستين تخرج الكثير من علماء الدين اليهودى ، وضمت مدرستا القيروان أقوى هيئة كهونتية ذات تنظيم فى الشمال الإفريقى ، وتلت مدارس العراق فى المرتبة [٣]، وشهدت هاتان المدرستان نهضة علمية يهودية خلال القرن ٤ ، ٥ هـ / ١٠ ، ١١م بعد تبادل العلوم والمناظرة مع المدارس العراقية [٤]، وانعكست هذه النهضة على المجتمع اليهودى فى الشمال الإفريقى ، يؤكد ذلك رسالة خرجت من المهدية تبين مهام المدارس والعلوم التى تدرس فيها حيث تقول : " إنك قد قرأت التوراة للمرة الثانية ، وإنك تعلم ما بها ، وإنك درست المشنا والتلمود ، مما جعلنى سعيداً جداً بهذه الأخبار ، وفى الحقيقة لقد توجت نجاحك وسعادتك ، لكن يجب ألا تهمل دراسة الخط العربى " [٥]. لذلك فقد كان التعليم اليهودى يتضمن قراءة التوراة وترجمتها ، وكذلك دراسة التلمود والنحو العبرى واللغة العربية .

بدأ نجم القيروان فى الأفول عندما توفى ركنا التعليم بها نسيم بن يعقوب والحانان بن حوشيل سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥١م ، حيث عين بعدهم اسحق بن يعقوب الفاسى المولود فى قلعة حماد ٤٠٤ هـ / ١٠١٣م رئيسًا للدراسات التلمودية بالقيروان ، ولكنه ما لبث أن رحل إلى القلعة سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨م ثم إلى فاس [٦]. ومن المراكز اليهودية فى بلاد المغرب مدينة فاس التى سكنها كثير من اليهود ، وتخرج منها رجالات العلوم والآداب،

---

(١) حسن ظاظا ، الفكر الدينى الإسرائيلى ، ص ١٠٤ ؛ . Mann, (J.Q.R.) 9, 1918-19, P. 161

(2) Mann, (J.Q.R.) 9 , 1918-19, P. 171 .

(3) Stillman, The Jews of Arab Lands, P. 45 .

(4) Roth, AShort History of The Jews, London, 1969, P. 158 .

(5) Goitein, Mediterranean Socity, 2, P. 193 .

(٦) ابراهام شتال ، تاريخ يهود المغرب ، ص ٥٥ ، ٥٦ ؛ الهادى روجى إدريس ، الدولة الصنهاجية ،٢، ص ٤٦٢ .

الذى تجلى نبوغهم بعد أن رحلوا إلى بلاد الأندلس[١] ، مثل دوناش بن لبرات ، واسحق بن يعقوب الفاسى ، وغيرهما ممن سيأتى ذكرهم . وراسل طلبة فاس مدارس العراق ينهلون منها واستفسروا عما اختلط عليهم وجاءتهم الإجابات والفتاوى [٢]، وعكست بعض هذه الفتاوى اهتمام اليهود فى فاس بالتصوف [٣]. وبجانب القيروان وفاس نشطت حركة التعليم فى المدن الأخرى ، مثل سجلماسة التى ازدهرت فيها مدرسة ربانية منذ القرن ٤ هـ / ١٠م ، وواصلت ازدهارها حتى خربها الموحدورن ، حيث رثاها أحد الرباه قائلاً " بكيت مثل المرأة فى أسى للشر الذى أحدق بالمجتمع فى سجلماسة هذه المدينة التى تشتهر بالعلماء والحكماء وبالضوء الذى حجب مع العتمة والظلام ... هذا الصرح الكبير خمد كجثة هامدة ، ودنست المشنا وديست بالأقدام " [٤].

التنافس بين المدارس العراقية والفلسطينية فى جذب يهود بلاد المغرب :

دعت الحاجة إلى التبرعات والهبات وتبوء الساحة الدينية إلى تنافس مدارس العراق فى سورا وبمادثة مع نظيراتها فى القدس على جذب أتباع لها فى كل مكان يوجد به يهود[٥]،

---

(1) Abbou, Muslamans Andolous, P. 281 .

(٢) تشير إحدى الفتاوى إلى أن اثنين من الإخوة المتعلمين فى فاس هما ابراهام وتنحوم أبناء يعقوب أرسلوا أسئلة إلى بغداد وتم الرد عليهم بالفتوى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م ، حيث أرسلت إلى الفسطاط فى طريقها إلى فاس ، انظر نص الرسالة وكذلك التعليق عليها ؛

Mann, (J.Q.R.), 11, 1920 - 21 , PP. 439-442; Idem Texts and Studies, 1, P. 114 .

(3)Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 346 .

يهدف التصوف فى نظر اليهود إلى تطلع الإنسان إلى الاتحاد مع الله من خلال إهماله لشهواته الشخصية، وتعرف فى العبرية بالقابلاه ، وهو لفظ أطلق على التصوف خلال القرون الوسطى ، وكثير من الباحثين يرون أن القابلاه ظاهرة يونانية فى جوهرها ، وأثرت القابلاه على الطوائف اليهودية الربانية ، انظر (دائرة المعارف اليهودية " بالعبرية " القدس ١٩٧٧م ، مجلد ٢٩ ، ص ٧١ - ٧٣) ؛ على النشار ، وعباس الشربينى ، الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٢م ، ص ٨٦ - ٨٩ .

(4) Slousch, Travels in North Africa, P. 347 .

(5) Menahem Ben Sasson, Intercommunal Relation, P. 23 .

ودأبت مدارس العراق والقدس على طلب التبرعات من يهود الشتات ، وأرسلت الحكماء والعلماء من تلاميذها إلى البلاد البعيدة لجمع التبرعات[١] ، لذلك حاولت كل منها أن تثبت أنها الأحق بالولاية على يهود الشتات ، وظهرت المعركة الحقيقية بينهما فى بلاد المغرب والأندلس [٢]. لم يتعصب المجتمع اليهودى فى بلاد المغرب لمدرسة معينة ، وإنما كان يحس أنه فى حاجة إلى المزيد من العلم والمعرفة من أى مكان يشعر أنه قد يستفيد منه ، وبهذا فهى لم تنحاز إلى أى منهما ، وإن كانت المدارس العراقية أكثر تأثيراً ، حيث سار المجتمع طبقًا للمناهج العراقية على الرغم من أنها لم تقطع علاقاتها نهائيًا أو تبتعد عن مدرسة القدس[٣]. وتتضح المنافسة بين المدارس من خلال خطاب مرسل إلى الرابى يعقوب بن نسيم فى القيروان يفيد بتوقف بهلول بن يوسف المراسل السابق لمدرسة بمبادثة العراقية ببلاد المغرب عن إرسال أسئلته وتبرعات إخوانه اليهود بعد تغير ولائه إلى مدرسة القدس . والمثال الآخر على المنافسة هو طلب الجاؤون حاى Hay بن الرابى يعقوب بن نسيم التوسط لدى الرابى حوشيل لمراسلته ، ولعل الرابى حوشيل كان يدين بولائه للقدس [٤].

أرسلت المدارس العراقية إلى أسبانيا[٥] تنعى الفقر وتلتمس التبرعات على أن ترسل إلى المندوب صمويل بن جوزيف فى القيروان حتى يرسل مباشرة إلى بغداد لمندوب المدارس العراقية

---

(١) تتحدث معظم الرسائل المرسلة إلى المدارس عن قيمة التبرعات بجانب الأسئلة .

(2) *Menahem Ben Sasson, Intercommunal Relation, P. 23 .*

(٣) عبد الرازق قنديل ، الأثر الإسلامى فى الفكر اليهودى ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٢٠٥ .

(4) Mann, Texts and Studies, 1, P. 109, 110 .

(٥) عاش اليهود فى الأندلس فى كنف المسلمين ، واتخذوا منهم الوزراء ، أتاح هذا المناخ لليهود التواصل مع إخوانهم فى الشرق ، وتوافد كثير من العلماء والأدباء اليهود إلى قرطبة أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر وولده الحكم ، تولى حسداى بن شبروط الإشراف على الخزانة العامة فى عهد الناصر ، وترجم كتاب ديسقوريدس عن الأعشاب الطبية من اليونانية ، وقامت مدرسة قرطبة التلمودية ، ومن ثم انتقلت القيادة الروحية لهم من العراق إلى الأندلس بعد موت الجاؤون حاى ١٠٣٨م ، ولمزيد من التفاصيل انظر : (عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ط٤ ، الخانجى ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٥١٥ - ٥١٦ ؛ دول الطوائف ، ص ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ؛ نجوى هدايت ، اليهود فى قرطبة ، وعن حسداى بن شبروط ، انظر : . Astotr, The Jews of Moslem Spain, PP. 155 - 227

مروان إبراهام المغربى الذى استوطن بغداد [١]، لأن التبرعات التى كانت ترسل عن طريق القاهرة تعرضت للنقص ، وعندما تم تعيين يوسف بن براخيا مندوبًا عن المدارس العراقية فى القيروان سلكت التبرعات نفس الطريق [٢]. انتقل الخلاف إلى المدارس العراقية فيما بينها على أسلوب توزيع التبرعات والهبات والهدايا ، حيث اشتكى جاؤون مدرسة سورا صمويل بن حفنى من أن التبرعات التى تأتى من القيروان يستولى عليها جاؤون مدرسة بمبادثة شيررا ، وحسمًا للأمر وقعوا اتفاقية قبل موت الأخير ، تنص على نصيب كل مدرسة فى التبرعات القادمة من يهود الشتات ، أما عن الهدايا المسماة فتكون من نصيب صاحبها دون أن يدعى الأخر الحق فيها[٣] .

معلوم أن العلاقة بين يهود الغرب الإسلامى ومشرقه لم تكن ملزمة ، ولكنها رغبة الغصن فى الاتصال بالجذر ، لكن أسلوب المنافسة بين مدارس العراق ونظيرتها فى القدس أدى إلى أن فكر يهود المغرب فى الاستقلال عن مدارس المشرق ، بإيجاد بديل شرعى من المركز المحلية يجمع بين المغرب والأندلس ، حيث أن الظروف المعيشية والحياتية متشابهة ، وهو ما حدث عندما مات الجاؤون حاى Hay سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨م ، وتحولت القيادة الروحية من العراق إلى الأندلس [٤]. والملاحظ أن الاتصالات والتبعية كانت أكثر للمدارس العراقية عنها للمدارس الفلسطينية ، التى عكست الوثائق اتصالاتها بالشمال الإفريقى [٥].

العلماء اليهود المغاربة :

العلماء اليهود المحليين :

يهودا بن قريش :

مازالت الفترة الزمنية التى عاش فيها هذا العالم محل جدل بين الباحثين ، كما أن رسالته إلى مدينة فاس لم يعرف بالضبط إن كانت قد كتبت فى تاهرت أو فى فاس ، والرسالة

(1) Ashtor, The Jews of Moslem Spain, P. 187 .

(2) Mann, Texts and Studies, 1, PP. 148, 159 .

(3) Ibid, 1, P. 148 .

(4) Ben Sasson, Intercommunal Relation, P. 27 .

(5) Mann, (J.Q.R.), 9, 1918-19, P. 163, 11, 1920-21, PP. 453 - 454 .

احتوت ثلاثة موضوعات ، الأول : عنى بمطابقة ومقارنة اللغة الآرامية باللغة العبرية ، وكرس الثانى : للعلاقة بين لغة التوراة (الكتاب المقدس) والمشنا والتلموديين ، أما الثالث: فاهتم بمقارنة اللغة العبرية بالعربية ، وناقشت خاتمة الرسالة العلاقة بين اللغات الثلاث [١]. عرف يهودا بأنه أبو النحو العبرى [٢] ، فلو أخذنا بالافتراض الذى ينص على أنه عاش فى أواخر القرن ٩م / وأوائل القرن ١٠م ، فإنه يكون قد سبق أقرانيه من النحويين اليهود [٣].

الرابى حوشيل (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م) :

وصل الرابى حوشيل القيروان وأسس فيها مدرسة تلمودية ذائعة الصيت ، وعن كيفية وصوله وتاريخه إلى المدينة اعتمد الكتاب اليهود على ما أورده أبراهام بن داؤد[٤] عن قصة الرابى حوشيل ورفاقه الثلاثة ، وتتلخص فى أن أربعة من الحكماء اليهود قاموا برحلة إلى الغرب بهدف جمع تبرعات للمدارس العراقية ، وفى طريقهم من بغداد زاروا مصر أولاً ثم شمال إفريقيا ، وعرجوا على أسبانيا ، ومن هناك قفلوا راجعين إلى إيطاليا . وبعد انتهاء مهمتهم استقلوا مركبًا من بارى فى إيطاليا إلى مصر فى طريق عودتهم إلى بغداد ، وبينما هم فى عرض البحر اعترضهم قائد الأسطول الأموى فى عهد الحكم المستنصر ٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م وعرج بهم على الإسكندرية وهناك تم افتداء الرابى شمريا بن الحانان - أحد رفاق حوشيل - بواسطة إخوانه فى المدينة ، ونال حوشيل نفس المصير فى إفريقية [٥]. اجتهد مان Mann وحدد تاريخ هذا الحدث بسنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠م [٦]، ثم عدل عن ذلك

---

(١) ابراهام شتال ، تاريخ يهود المغرب ، ص ٥٨ ؛ سليم شعشوع ، العصر الذهبى ، ص ١٢٩ ؛

Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 308 .

(2) Chouraquim A History of The Jews of North Africa, P. 82 .

(3) Ḥirschberg, OP. Cit, 1, P. 308 .

(١) إبراهام بن داؤد (١١١٠ - ١١٨٠م؟) فيلسوف كتب Book of Tradition وسمى بالعبرية سفر هاقابلاه Sefer Ha-Kabbalah سنة ١١٦١م وخصصه لمعارضة القرائين ، إلا أنه يعتبر مصدر أصيلاً من مصادر التاريخ اليهودى ، انظر : Maenhem Mansoor, Jewish History and Thought, PP. 211-212

(5) Mann , (J.Q.R.) , 9, 1918-19, PP. 168, 169; Margoliouth A Pilgrimage to The Land of My Father, PP. 42 - 44 .

(6) (J.Q.R.) , 9 , 1918 - 19, P. 169 .

وقـال بأنه تم فى سنة ٣٦١ / ٩٧٢م [١]، والغالب على الظن أن الاجتهاد الأخير على قدر كبير من الصحة ، خاصة أن مان Mann افترض أن يكون الذى أسر الحكماء الأربعة هو القائد عبد الله ابن ريحان خلال استيلائه على طنجة سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢م ، إلا أن هناك خطأ فى اسم القائد، فهو عبد الرحمن بن روماحس وليس عبد الله بن ريحان [٢].

بيد أن هذه القصة ظلت المرجع الوحيد عن وصول الرابى حوشيل إلى القيروان حتى سنة ١٨٩٩م عندما اكتشف شختر رسالة مرسلة إلى الرابى شمريا بن الحانان فى مصر من صديقه حوشيل فى القيروان ونشرها فى (J.Q.R.) ١٩٠١م ، تفيد هذه الرسالة أن الرابى حوشيل جاء إلى القيروان طوعًا وليس أسيراً . اجتهد هيرشبرج فى محاولة للجمع بين قصة ابن داؤد

---

(1) Texts and Studies, 1, P. 86 .

(١) استنتج مان Mann أن الذى قام بأسر هؤلاء الأسرى (حوشيل ورفاقه) ربما يكون عبد الله بن ريحان عندما استولى على طنجة سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢م ، حيث قال " هذا الأدميرال من دون شك بدأ فى الطواف مراراً وتكراراً فى البحر المتوسط لأسر المراكب الآتية من مصر والقادمة إليها (Texts and Studies, 1, P. 86-87, Note (69)) ؛ وفى محاولة للتوصل إلى تاريخ الحملة واسم قائدها لعدم شيوع اسم عبد الله بن ريحان بين قواد الأسطول الأموى المشهورين أطلعنا على كتاب " تاريخ البحرية الإسلامية للدكتور السيد عبد العزيز سالم والدكتور أحمد مختار العبادى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ " ؛ الذى أورد أن هناك غزوتان لطنجة قام بهما الأسطول الأموى إحداهما فى ذى القعدة سنة ٣٦١ هـ بقيادة عبد الله بن رياحين ، والثانية فى ذى القعدة سنة ٣٦٢ هـ بقيادة عبد الله بن روماحس . وللتحقق من وقوع الأسر فى أى من الغزوتين كان حتمًا تمحيص المصادر . التى أبانت أنها غزوة واحدة فقط ، إذ أورد نص مخطوطة ابن عذارى أن اسم قائد الحملة هو عبد الله بن رياحيف ، فاعتقد محققها الأول " دوزى" أنها رياحين (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٢ ٢٦٥ ؛ هامش ١ نفس الصفحة) ، وعندما أعاد ليفى بروفنسال تحقق المخطوطة ذكر أنه عبد الله بن روماحس وليس رياحين ، (ابن عذارى ، البيان المغرب، ٢ ص ٢٤٥) فاعتقد المؤرخان المحدثان أنهما غزوتان ، بيد أنهما غزوة واحدة تمت سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م كما ذكرت فى المصدر . (يرجع أنها غزوة واحدة تطابق تاريخ اليوم والشهر فى العامين المذكورين ، ويؤكد ذلك ابن حيان الذى كتب تاريخ أربع سنوات (٣٦٠ - ٣٦٤ هـ) فى ٢٤٤ صفحة، أى أنه كتب تفاصيل تاريخ الأندلس إبان الفترة المذكورة باليوم وفى بعض الأحيان بالساعة لم يذكر سوى غزوة واحدة تمت فى سنة ٣٦١ هـ . (المقتبس ، تحقيق الحجى ١٩٦٥ ، ص ٨٩) . ويحسم اختلاق قضية الأسر الغموض الكثير الذى اكتنف الرواية ، والتناقض فى أحداثها وتوقيتها ؛ فكيف يكون قائد الحملة مغيراً على طنجة الواقعة على المحيط الأطلسى وفى ذات الوقت يقوم بعملية قرصنة قرب الشواطىء الإيطالية فى شرقى البحر المتوسط ! .

والخطاب الذى عثر عليه شختر ، وافترض أنه كان هناك اثنان من الرباه فى القيروان بنفس الاسم عاشا معًا فى نفس الفترة ، الأول وصل من العراق أسيراً وابنه حنانيل ولد فى المدينة ، أما الآخر فقد وصل طوعًا من إيطاليا فى نهاية القرن ١٠ م ، ولحقه ابنه الحانان ، والافتراض الثانى هو أن يكون الرابى حوشيل أبا لولدين ، الأول : الحانان ولد فى إيطاليا ، والثانى : حنانيل ولد فى القيروان ، وفطن إلى محاولته التفسير دون سند من المصادر ، فأبان عن موضوعية ذلك بأنها إشكالية يعجز البحث التاريخى عن حسمها طالما لم تظهر مادة جديدة يرتكن عليها الباحثون (١).

العلماء المهاجرون :

اشتهر من العلماء اليهود فى بلاد المغرب دوناش بن لبراث Duansh B. Labrat ٣٠٨ - ٣٨٠ هـ / ٩٢٠ - ٩٩٠م ، الذى ولد فى مدينة فاس وقضى بعض شبابه بها ، والراجح أنه من أصل بربرى ، لأن اسمه واسم والده من الأسماء البربرية(٢) . ذهب دوناش إلى العراق ودرس بها اللغة العربية وآدابها على يد سعاديا الفيومى ، كما درس العلوم الدينية اليهودية(٣). عاد دوناش إلى فاس ، ولكنه لم يمكث بها طويلاً ؛ إذ تركها سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠م ملبيًا دعوة حسداى بن شبروط فى قرطبة ، وهناك بزغ نجمه وانجلت عبقريته ، فأنتج الكثير من الأعمال التى صنعت شهرته المحلية والعالمية متأثراً بالأدب العربى وفنونه . ففى مجال الشعر كانت قصائده متأثرة بالأسلوب العربى الموزون ، حيث استعمل البحور والأغراض الشعرية العربية التى لم يسبقه إليها أحد من الشعراء اليهود ، مثل المدح والهجاء والوصف

---

(1) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 321 .

(2) Ashtor, The Jews of Moslem Spain, 1, P. 252 .

إذ اشتهر اسم دوناش بين القبائل البربرية المسلمة ؛ فمن أمراء بنى يفرن ابن دوناس (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣ ، ص ٢٧٠) وكذلك دوناس بن حمامة ، وهو أحد أمراء مغراوة الذين حكموا إمارة فاس مع بداية القرن ٥هـ / ١١م (ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١١١ ؛ مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٤٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٧ ، ص ٣٥) .

(٣) محمد بحر عبد المجيد ، اليهود فى الأندلس ، ص ٢٧ ، نصح دوناش اليهود بدراسة العربية فى بيت شعر يقول : فلتكن الكتب المقدسة جنتك ولتكن الكتب العربية فردوسك ؛ نفسه

والإخوانيات والخمريات[١] والرثاء [٢]، ومن نماذج الأخير ما قاله فى ذكرى الرابى شمريا بن الحانان ، وأبرزت أعماله الشعرية قيمته الحضارية والتاريخية ، فقد ارتقى بالشعر إلى مصاف الآداب، فلم يكن للشعر العبري اسمًا فى سماء الشعر قبله [٣]، ولم يقتصر دوره على الشعر وإنما تعداه إلى النحو العبرى ، فأوجد التفرقة بين الفعل اللازم والمتعدى [٤]، وألف كتابًا أسماه " جذور القواعد " [٥]، ولم يغفل فى شعره مجال الشعر الدينى (البيوط) فترك بعض القصائد التى تتعلق بالطقوس والشعائر الدينية [٦]، ولعل شعره الدينى بسبب عمله كقائد جوقه ترتيل (حزان) أول نزوحه إلى قرطبة . وله فى الشعر الغنائى باع ؛ إذ ترك قصائده تغنى فى الاحتفالات المختلفة مثل الزواج وغيره [٧]. ويظهر من سيرة دوناش تأثر اليهود فى عبادتهم وتلاواتهم وترتيلهم وإنشادهم بالذوق العربى فى الأذكار والأناشيد والموسيقى ، كما انفردوا بنصوص شعرية ونثرية فى أدعيتهم وصلواتهم (البيوط) قريبة الشبة بما يماثلها عند المسلمين فى الأندلس [٨]، واستمرت هذه الأشعار تتلى كسنة فى أعيادهم ومواسمهم وأفراحهم [٩].

ومن العلماء المهاجرين أيضًا اسحق بن يعقوب الفاسى Issac Alfasi ٤٠٣ هـ - ٤٩٧ هـ / ١٠١٣ - ١١٠٣م . ولد فى قلعة حماد ، وتتلمذ فى القيروان على يد نسيم بن يعقوب والحانان بن حوشيل ، وبعد موتهما تولى اسحق قيادة الدراسات التلمودية فى المدينة [١٠]،

---

(١) إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، ص ٩٨ ؛

Zinberg, A History of Jewish Liteture, Translated by Bernard Martin, London, 1972, 1, P. 196 .

(2) Mann, The Jews in Egypt and in Palestin, 2, PP. 21 - 23 .

(3) Zinberg, Op. Cit., 1, P. 19 .

(4) Menahem Mansoor, Jewish History and Though, P. 187 .

(5) Semach, (Hesperis), XIX, 1934, P. 83 .

(6) Abbou, Muslmans Andlous, P. 282 .

(7) Ashtor, The Jews of Moslem Spain, 1, P. 252 .

(٨) حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى ، ص ٢٠٣ .

(٩) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى ، ص ٢٦٧ .

(١٠) الهادى روجى إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ٢ ، ص ٤٦٢ .

ثم اضطر للرحيل منها إلى قلعة حماد ، ومنها إلى فاس ، وإليها انتسب ، حيث أسس فيها معهداً للدراسات اليهودية قبل هجرته إلى الأندلس [١]. درس اسحق فى مدينة فاس القواعد والأحكام التى تساعد على فهم التوراة (الحلقوت)[٢] . وعندما بلغ من الكبر عتيا حيث وصل إلي سن خمسة وسبعين عامًا نزح إلى الأندلس ، وأصبح رئيسًا لأشهر مدرسة تلمودية هناك فى لوسينا ، حيث كتب خلاصة وافية للتلمود [٣]، ومنذ ذلك الحين درست أعماله فى كل الأنحاء بالأندلس وفى البروفانس ووسط أوربا وبولندا ، ومازالت تدرس فى المدارس الربانية فى أنحاء العالم[٤] .

رحل العلماء اليهود المغاربة فى طلب العلم من الشرق ، وبلغوا مناصب عليا فى أماكن دراستهم ، مثل سلمون بن يهودا ت ٤٤٣ هـ / ١٠٥١م ، وصمويل بن حفنى الذى ولد فى فاس سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م ، وسلمون وصل إلى منصب رئيس جاؤونية القدس سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥م ، وظل فى هذا المنصب حتى وفاته ، وكان معاصراً للجاؤون حاى رئيسس مدرسة بمبادثة بالعراق[٥]، وله مراسلات مع المجتمع اليهودى بالقيروان وتاهرت [٦]. أما صمويل بن حفنى ، فينسب إلى فاس التى رحل منها إلى الشرق ودرس فى مدارس العراق ، إلى أن وصل إلى رئاسة مدرسة سورا [٧]، وعاصر الجاؤون شيررا رئيس مدرسة بمبادثة ، ثم ابنه الجاؤون حاى الذى تولى رئاسة المدرسة بعد وفاة والده ، وتزوج حاى ابنة صمويل ، حيث أثر هذا الزواج فى تطبيع العلاقات بين المدرستين ، اللتين كانتا على خلاف بسبب توزيع التبرعات والهدايا

---

(1) Hirschberg, A History of The Jews in North Africa, 1 , P. 347 .

(٢) حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى ، ص ١٠٤ .

(3) Menahem Mansoor, Jewish History and Thought, P. 186; Roth, Ashort History , P. 175.

(4) Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 83 .

(5) Mann, The Jews in Egypt and in Palestin, 1, P. 132, 150; Idem Texts and Studies, 1, P. 118 .

ولمزيد من التفاصيل عن فترة جاؤونية سلمون بن يهودا ، انظر :

Mann, The Jews in Egypt and Palestin, 1, PP. 45 - 105 .

(6) Mann, (J.Q.R.) 9, 1918-19, P. 163; 11, 1920-21, PP. 453 - 454 .

(7) Semach, (Hesperis) XIX, 1934, P. 83 .

الواردة إليهما [١]. واستمرت اتصالات صمويل مع مسقط رأسه مدينة فاس ، وخاصة عندما تعرض اليهود فيها لبعض المضايقات بسبب الصراع بين الأمراء الزناتيين فى القرن ٥ هـ / ١١م [٢].ترك صمويل تفاسير باللغة العربية ، منها البلوغ والإدراك ، ويتحدث فيه عن البلوغ والإدراك عند الإنسان ، وكتاب المجاورة ، وهو خاص بالمساكن وما يتعلق بها من أمور، وكتاب البيع ، وهو خاص بأمور البيع فى الشريعة اليهودية ، كما ترجم التوراة إلى العربية ، وطبعت أجزاء منها عام ١٨٨٦م [٣].

ولعله من اللافت للنظر هجرة علماء اليهود من الشمال الإفريقى إلى المشرق ومصر ، دون أن يحققوا فى أواطنهم نبوغًا كما حققوا فى مهجرهم ، وليس ذلك بغريب ، لأن بغداد والقاهر وقرطبة كانت أعلى المراكز العلمية كعبًا فى العالم الإسلامى برمته ، بل والعالم المعروف آنذاك كله ، وكثيراً ما نزح إليهم علماء الإسلام من كل مكان فى مختلف فروع المعروفة العقلية والنقلية ، وحازوا بهم شهرة وصيتًا لم ينالوه فى بلادهم الأصلية ، وذلك لأن المدن الثلاث كانت عواصم الخلفاء المسلمين .

الأطباء اليهود فى بلاد المغرب :

امتهن اليهود الطب فى بلاد المغرب [٤]، ولم يجد المسلمون حرجًا فى تعلم هذه المهنة منهم[٥]، لما تمتع به أصحاب هذه المهنة من تقدير وتكريم الحكام ، علاوة على أنهم مثلوا الطبقة المثقفة فى المدن [٦]. ومن الرعيل الأول الطبيب اسحق بن سليمان الإسرائيلى ٢٣٦ - ٣٣٩ هـ / ٨٥٠ - ٩٥٠م الذى تتلمذ على الطبيب اسحق بن عمران ، وعمل فى بلاط الأمير زيادة الله الأغلبى ٢٩١ - ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ - ٩٠٨م أخريات عصر الأغالبة ، وفى بلاط عبيد الله المهدى ٢٩٨ - ٣٢٣ هـ / ٩١٠ - ٩٣٤م الذى أقام الخلافة الفاطمية على أنقاض

---

(1) Mann, Texts and Studies, 1, P. 148 .

(2) Cowley, (J.Q.R.), 18, 1906, PP. 403 - 405 ولمزيد من التفاصيل أنظر الفصل الثانى

(٣) عبد الرازق قنديل ، الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ، ص ٢٠٢ .

(٤) ابن عبدون ، آداب الحسبة ، ص ٥٧ .

(٥) ميخائيل إمارى ، نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، بغداد ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(6) Julien, History of North Africa, P. 43 .

الدولة الأغلبية ، وعاش مائة عام ، وألف العديد من الكتب الطبية ، مثل كتاب البول ، وكتابًا عن الحمى وكيفية الوقاية منها ، والغذاء المسموح به فى حالة الإصابة بها [١]، تُرجم هذا الكتاب إلى اللاتينية فى القرن ١٦م ، ودُرس فى جامعات أوربا بعنوان : Cpera Om-nia Isaci Judeai[٢] ، وله مؤلفات فى الفلسفة والمنطق [٣]، ومن تلاميذه أبى سهل دوناش بن تميم ، وكان يصغره بعشرين سنة وعمل فى خدمة الخلفاء الفاطميين ، حيث خدم فى بلاط إسماعيل المنصور ، ثم ابنه المعز لدين الله قبل انتقاله لمصر [٤]، وأجاد اللغة العربية ، ونشر العديد من الأعمال حول علم الفلك ، وله رسالة حول النحو العبرى [٥]. كما عمل فى بلاط الفاطميين الطبيب موسى بن اليعازر الذى سبق ذكره ، ورافق المعز الفاطمى فى رحلته من المغرب إلى مصر ، وركب له أدوية كثيرة ، ومما ركب له شراب التمر هندى ، وبالغ فى فوائده الكثيرة[٦] . وخلال العصر الصنهاجى عمل فى بلاط باديس بن المنصور ، ومن بعده ابنه المعز بن باديس ناجد اليهود الطبيب أبراهام بن عطا ، الذى كان يرافق القواد الزيريين فى حروبهم[٧]. وفى درعة بالمغرب الأقصى ظهر الطبيب اليهودى موسى الدرعى [٨]. من المعلوم أن تكون هذه المهنة قد انتشرت بين اليهود ومارسوها فى بلاد المغرب المختلفة ، إلا أن المصادر لم تشر إليهم إلا عابراً ، وخاصة إلى هؤلاء الذين يعملون فى بلاط الحكام ، ويرجع سبب عمل اليهود فى الطب واشتهارهم به إلى ترحيب المسلمين باطلاعهم على حرماتهم وأسرارهم ، والمحافظة عليها خوفًا من البطش بهم .

---

(١) ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحماء (ألف الكتاب سنة ٣٣٧ هـ / ٩٨٧م) تحقيق فواد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٨٧ ؛ ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ٣، ص ٥٨ ، ٥٩ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية " مادة القيروان " ، ص ٨٤٥٢ . واسحق بن عمران طبيب بغدادى استوطن القيروان ، وخدم زيادة الله الأغلبى ، انظر : ابن أبى أصيبعة ، المصدر السابق ، ٣ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(2) Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 81 .

(٣) ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٨٧ ك ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ٣ ، ص ٥٩؛ على سامى النشار ، وعباس أحمد الشربينى ، الفكر اليهودى ، ص ١٢١ - ١٢٤ .

(٤) حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الأول ، تونس ١٩٦٥م ، ص ٢٩٧ ؛ على سامى النشار ، وعباس أحمد الشربينى ، الفكر اليهودى ، ص ١٢٤ .

(5) Chouraqui, A History of The Jews of North Africa, P. 81 .

(٦) القفطى ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢١١ .

(7) Stillman, The Jews of Arab Lands, P. 183 .

(٨) طوبياه ، روش بناه ، القاهرة ١٩٤٧م ، ص ٤٧ .

القراؤن :

ظهرت فرقة القرائين فى القرن الـ ٢ هـ / ٨ م ، أسسها الحبر عنان بن داؤد . دعت هذه الفرقة إلي نبذ التلمود ، ونادت علنًا برفضه ، ومن هنا جاءت تسمية القرائين : بمعنى الذين يقرأون التوراة دون التلمود . تشبعت فرقة القرائين بآراء فرقة المعتزلة الإسلامية وخاصة بالآراء التى تنادى بمسئولية العبد عن عمله ، وكذلك عدم وصف المولى سبحانه وتعالى بالمادية [١]. وتأثر ابن عنان شخصيًا بموقف المعتزلة من الحديث فى الإسلام ، ومن هنا جاء رفضه للتلمود[٢] . أسست شريعة القرائين على ثلاث دعائم هى نص التوراة والقياس والتقاليد [٣]، وهذه المعايير شبيهة بالمعايير الإسلامية من حيث الأخذ بالقياس المعتمد على المنطق ، والاعتماد على المعرفة العقلية ، وتختلف عنها فى عدم الأخذ بما يقابل السنة عند المسلمين وهو التراث الشفهى [٤].

اجتهد القراؤن أيضًا فى ضبط اللغة وشروحها وتحليل عبارات العهد القديم تحليلاً عقليًا ليحاجوا به الربانيين ، واحتوت شروحهم على كثير من الملاحظات النحوية [٥]، لذلك نجد أن أقدم القرائين فى بلاد المغرب - يهودا بن قريش الذى عاش فى القرن ٩ أو ١٠ م - كان عالمًا فى النحو [٦]. من الصعب الوصول إلى تاريخ محدد لدخول المذهب القرائى بلاد المغرب ، لكن تتجه الدراسات الحديثة إلى دخوله خلال القرن ٣ هـ / ٩م ؛ ذلك اعتماداً على بعض الفتاوى التى وردت إلى الشمال الإفريقى [٧]، وينسب إلى القرائين العالم اليهودى يهودا بن

---

(١) أتباع هذه الفرقة " لا يتعدون شرائع التوراة ، وما جاء فى كتب الأنبياء ، ويتبرؤن من قول الأحبار ويكذبونهم ، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام والأندلس " ، ابن حزم ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ١، ص ٨٢ ؛ أحمد سوسة ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، ص ١٩٨ .

(٢) تختلف مرويات التلمود عن الحديث الشريف فى أنها لا ترتفع بسند متصل إلى موسى ، أو إلى من جاء بعده من الأنبياء . وفى أنها تتناقض تناقضًا صارخًا فيما بينها ، وكذلك فيما بينها وبين التوراة ، انظر، حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى ، ص ٢٤٩ .

(٣) طوبياه ، روش بناه ، ص ٤٧ .

(٤) محمد خليفة حسن ، تاريخ الديانة اليهودية ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٥) ليلى أبو المجد ، الوثائق اليهودية فى مصر ، ص ٦٩ .

(6) Semach, (Hesperis) XIX, 1934, P. 83 .

(7) Slousch, Travels in North Africa, P. 221 .

قريش وكذلك موسى الدرعى نسبة إلى إقليم درعة بالمغرب الأقصى . الذى عمل فى العلوم الطبية[١] . تأخر وصول تعاليم وأفكار هذه الفرقة فترة من الزمن حتى انتقلت من فلسطين إلى الشمال الإفريقى ، حيث تصدت لها الدعاية الربانية ، ناهيك عن بعد المسافة ، حيث مرت على مصر أولاً ومنها إلى بلاد المغرب [٢]، وانحدرت إلى المناطق البعيدة فيها وخاصة وارجلان ، وبثت دعايتها بين اليهود المقيمين فيها وبين التجار اليهود ، ووجد المذهب قبولاً فى تلك المدينة [٣]. أما فى القيروان فقد أحدث وصول المذهب القرائى إليها نوعًا من الجدل بين سكانها من اليهود ، انعكس سريعًا فى صورة أسئلة إلى العلماء فى العراق ، مثل شيررا الذى وصله أحد الأسئلة سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧م عن المشنا وكيف كتبت ، واحتدم النقاش والجدل بين الدعاة من القرائين والربانيين من سكان القيروان حول النفخ فى قرن الكبش (النفير) عند قدوم العام الجديد ، مما جعل الربانيين يلجأون مرة ثانية إلى الجاؤون شيررا وابنه حاى حتى يزودهم بالرد المناسب على خصومهم [٤]. وإلى فاس ينسب أحد القرائين الذى يدعى ديفيد بن إبراهام الفاسى الذى عاش فى القرن ٤ هـ / ١٠ م ، وألف معجمًا لألفاظ التوراة ، عرف باسم جامع الألفاظ [٥].

تمت اتصالات بين القرائين فى المغرب وإخوانهم فى المذهب بالمشرق ، رغم أن الجنيزا لم تدون ذلك إلا فى النصف الأول من القرن ٦ هـ / ١٢م ، عندما كشفت عن خطاب وصل من مصر إلى زعيم المذهب القرائى فى وارجلان ديفيد بن حسداى ، مما يثبت استمرار المذهب القرائى فى الإقليم [٦]. نشأ اختلاف بين القرائين وسائر اليهود فى أخص الأمور الدينية ، مثل تركهم قواعد التقويم اليهودى فى تحديد المواسم والأعياد . فالشهر لايثبت لديهم إلا إذا

---

(١) طوبياه ، روش بناه ، ص ٥١ .

(٢) قاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، الفكر للدراسات ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(3) Goitein, Mediterrean Society, 1, P. 65 .

(4) Hrischberg, A History of The Jews in North Africa, 1, P. 159 .

(٥) ألف ديفيد قاموسًا عبريًا عربيًا لألفاظ التوراة خلال القرن ٤ هـ / ١٠م وأطلق عليه اسم أجرون (Agron) نشر فى فيلادليفيا ١٩٤٥م فى جزئين ، حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى ، ص ٢٥٢ .

(6) Mann, Texts and Studies, 2, PP. 138, 139, 153 - 155 .

قرر أحد الشهود العدول رؤية الهلال مثل التقويم الهجرى ، ولذلك نشأ اختلاف بين أعيادهم وأعياد باقى اليهود ، كما اختلفت مظاهر الاحتفال بها [(١)]، فعلى سبيل المثال كان من عادات القرائين بوارجلان فى احتفالاتهم بعيد الفصح Passover فى ١٥ نيسان ، إقامة مهرجان فى الصحراء ، وتمثيل عملية الإبعاد مثلما فعل الإسرائيليون أيام النبى موسى [(٢)]. وقد جرت عادة الاحتفال بين الربانيين فى هذا العيد بأكل خبز لا تدخله خميرة ولا ملح ، ويسمى عيد الفطير [(٣)]، دون تمثيل عملية الخروج وعلى أية حال فإن المذهب القرائى لم يلق قبولاً كبيراً فى بلاد المغرب بعكس بلدان أخرى مثل العراق وبلاد الشام ومصر ، الذى انتشر منها المذهب إلى بلاد المغرب والأندلس [(٤)].

مجمل القول فإن الحركة الثقافية اليهودية فى بلاد المغرب لم تكن من الأهمية بمكان أن يرصد لها بيان أو ينصب لها ميزان ، وحاولت الدراسة رصد ما دار فى المنطقة من تحولات ثقافية مثل تعلم اليهود اللغة العربية حتى يجدوا أماكن للعمل ، وكذلك اشتغالهم بالطب ، أما حركة القرائين التى أثمرت فكراً يهودياً فى المشرق فلم تلق قبولاً بين يهود المغرب ، على الرغم من أن بلاد المغرب كانت أرضاً خصبة لقبول الأفكار الخارجية والشيعية والاعتزالية . وأخيراً يمكن القول أن بلاد المغرب كانت مناطق طرد للموهوبين ثقافياً من اليهود ، بينما كانت الأندلس منطقة جذب لهم .

---

(١) بنيامين التطلى ، رحلة بنيامين ، ص ١٩٥ .

(2) Slousch, Travels in North Africa, P. 340 .

(٣) المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٢٧٦ .

(٤) قاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

الخاتمـــة

تمخضت الدراسة عن بعض التحقيقات ، كما أسفرت عن بعض الجديد فى مجال الرأى فيما نعلم ، وأبانت لمن يتتبع خريطة الشمال الإفريقى أن الاستقرار اليهودى موازيًا للساحل ، وينحدر للداخل عندما يضيق الساحل مثل منطقة جبل نفوسة فى ليبيا ؛ وتزايد أعداد المستقرين منهم فى المدن الواقعة على الطرق التجارية وفى الحواضر الإسلامية مقر حكام الدول للقرب من السلطة ، ولما تحظى به العواصم من رواج كافة الأنشطة . وكثرت أعدادهم فى إقليم المغرب الأقصى لما تميز به من خصوبة التربة ووفرة الأنهار ؛ ناهيك عن قربه من الأندلس ؛ ومن ثم جذب الفارين من الاضطهاد القوطى ، وتميز هذا الإقليم بتسرب اليهودية إلى بطون بعض القبائل البربرية التى ضربت فيه . بذلك يظهر جليًا أهمية العامل الاقتصادى فى تفضيل اليهود لمدن أو مناطق بعينها ، من حيث موقعها ومواردها الطبيعية. كما أسفرت الدراسة أيضًا عن أن استقرارهم لم يقتصر على المدن فقط ، بل سكن بعض اليهود فى المناطق الجبلية وفى الهضاب والبوادى بحثًا عن الأمان ، حيث نعموا بحرية السفر والانتقال بين بلدان الشمال الإفريقى المختلفة وبين أسبانيا والشرق .

ناقشت الدراسة آراء المحدثين عن دخول اليهودية بلاد المغرب ؛ وخلصت أن ذلك كان منذ القرن ٣ ق.م، وأبانت عن كيفية تسلل اليهودية إلى البربر من خلال التأثير المباشر بين الجماعات اليهودية التى استقرت فى بلاد المغرب ، والقبائل البربرية ، نافية فكرة النقاء العرقى الذى قال به سلوش Slousch الذى عمل علي تبرير ذلك بأن التهويد تم بين قبائل تعود فى أصولها إلى جذور فلسطينية . إذ انتهت الدراسة إلى أن التهويد تم فى بعض من بطون أو أفخاذ قبائل بربرية الأصل لا تمت لأهل فلسطين بصلة . واتضح من الدراسة أيضًا وثنية الكاهنة التى أدعى معظم الكتاب اليهود يهوديتها . وأسفرت الدراسة عن ارتحال اليهود إلى العواصم الإسلامية بُعيد تأسيسها طمعًا فى القرب من السلطة وطلبًا للحماية ، وظل آخرون فى مضاربهم .

احترف اليهود كافة ركائز الحياة الاقتصادية من زراعة ورعى وتربية الحيوانات ؛ والصناعات أيضًا ، علاوة على التجارة التى برعوا فيها وحققوا منها ثروات كبيرة ، خاصة تجارة الرفاهيات وتجارة الرقيق ، وأفصحت الدراسة عن الأسباب التى دعت اليهود إلى عدم

الإقبال على مهنة الزراعة واحتراف مهن أخرى تدر ربحًا أكثر منها بنفس المجهود نظراً لحالة الشتات الى عاشها اليهود . وبالرغم من ذلك فإن هناك من اليهود من عمل فى فلاحة الأرض وربما تملكوها ، ومعظم هؤلاء من البربر المتهودين الذين غلبت عليهم حياة البداوة ، واستنبطت الدراسة ذلك من الأسئلة الدينية والفتاوى التى تعد وثائق موثوق بها لم تمتد إليها يد التزييف والتحريف ، وهو أمر أغفلته المصادر العربية كلية .

وأفصحت الدراسة أن عمل اليهود بالحرف والصناعات فى بلاد المغرب لقى قبولاً لدى أهل البلاد الذين غلبت عليهم البداوة ، ومن ثم أنفوا من امتهان هذه الحرف ، وذاع صيت اليهود فى بعض المهن مثل الصياغة لما تمثله هذه المهنة من رأس مال سائل واستثمار مضمون . وكان لقرب بلاد المغرب من مصادر الذهب الأثر الكبير فى انتشار هذه المهنة ، وأوضحت الدراسة الحرف الأخرى التى احترفها اليهود مثل تشكيل النحاس والحديد ، والصباغة ، والحياكة ، ودباغة الجلود ، وصناعة الحرير ، ومن أهم المهن التى تخصص فيها اليهود مهنة الطب ، وما يتعلق بها من تركيب الأدوية واستخدام الأعشاب الطبية ، وابتكار الجديد منها ، وكذلك خصى الرقيق .

تتبعت الدراسة أماكن استقرار اليهود ، وأظهرت وجود كثافات منهم على الطرق التجارية ومحطاتها ، حيث شاركوا فى العمليات التجارية الداخلية والخارجية ، ووثائق الجنيزا تعطى وصفًا دقيقًا لحالة التجارة بين بلاد المغرب ومصر والشرق وأوربا ، حتى أنه يمكن أن نطلق على اليهود (الشعب الجوال) لأن تلك الوثائق تعكس جانبًا كبيراً من الحركة التجارية فى العصور الوسطى تفصح عن أن اليهود كانوا فى حركة دائبة بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب . وأعد كل جيل منهم خلفه إعداداً جيداً فى هذا الميدان وكونوا شركات عائلية لها فروعها فى الأسواق الكبرى فى بلاد المغرب ومصر ، وأوضحت الدراسة أن أهم عمل قام به يهود المغرب فى هذا المجال تجارة الكتان واستيراده من مصر إلى المغرب فضلاً عن تجارات الشرق من التوابل . وصدر اليهود من بلاد المغرب الثياب السوسية والجلود والسكر والفضة والزعفران والشمع والصوف ، وعمل اليهود فى تجارة الذهب والرقيق الأسود القادم من بلاد السودان . وأوضحت الدراسة أيضًا أن التجار اليهود من أهل الشمال الإفريقى اتبعوا نظام الوكالة ، حيث عكست الجنيزا ذلك ، وهو نظام قوامه تسهيل الإجراءات المصاحبة للعمليات التجارية حتى تسهل حركة التجارة وتحقق الربح الوفير . ناقشت الدراسة كذلك مشاركة التجار اليهود

فى القوافل التجارية البرية وفى الرحلات البحرية من مصر إلى بلاد المغرب ، وخلصت إلي صعوبة محافظة اليهود على راحة السبت على نقيض ما حرص الكتاب اليهود على تأكيده .

وعلى صعيد الحياة الاجتماعية أسفرت الدراسة عن أن المجتمع اليهودى فى بلاد المغرب لم يكن مجتمعًا منغلقًا على نفسه - كما هو شائع عن المجتمعات اليهودية - وإنما كان فى اختلاط دائم مع سكان البلاد فى حياتهم اليومية ، وخلصت الدراسة إلى وجود نظام الجوار أو الحماية الذى عاشه يهود المغرب فى ظل القبائل البربرية والعربية ، فاتضح من خلال ملاحظة المسح الديمغرافى لليهود لجوئهم للقوى الكبرى . فبعد أن وضح جليًا غلبه العرب المسلمين وسيطرتهم على بلاد المغرب بلا منازع دخل اليهود فى حماية الحكام وكذلك فى حماية العرب والبربر مع أوائل القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ، وذلك بمقارنة ما فعله اليهود فترة الفتح العربى لبلاد المغرب ، وتصرفهم منذ بداية عصر الولاة . فقبل أن تتأكد السيطرة للمسلمين التزم اليهود الحياد ، مثلما حدث فى القيروان عندما غزاها كسيلة بعد موت عقبة بن نافع سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤م ، فى برقة بعد خروج حسان بن النعمان . أما بعد أن دانت بلاد المغرب للسيطرة الإسلامية ، فقد دخلت جماعات من اليهود فى حماية وأمن المسلمين مثلما حدث فى وراجلان . فقد تضامن اليهود مع الخوارج الإباضية ، وهجروا معهم المدينة عندما هاجمها الفاطميون ، وما حدث فى القيروان ، وتلمسان ، وأشير ، وفاس عندما اضطرت بعض قبائلها للنزوح عنها خرج معهم اليهود الداخلون فى جوارهم ، وهذا ما ينفى فكرة الانعزال ويؤكد على الاختلاط بين اليهود وسكان البلاد .

ناقشت الدراسة أيضًا تواصل اليهود مع أهل البلاد من خلال بعض التأثيرات الإسلامية والبربرية على الزواج اليهودى في مراسمه واحتفالاته ، وأبانت كذلك عن تعدد الزوجات بين يهود المدن فى الشمال الإفريقى ، أما إخوانهم فى القرى والجبال فقد تأثروا بالبربر واكتفوا بالزواج الأحادى ، والدليل على ذلك ظهور مخطوط فى مدينة مراكش يعود تاريخه لسنة ١٠٠٠م ينم عن تحريم تعدد الزوجات . خلصت الدراسة كذلك إلى أن اشتراطات الفقهاء المسلمين فى موضوع التمييز بين المسلمين واليهود فى الملبس كانت على الصعيد النظرى فقط؛ إذا لم يلتزم بها يهود المغرب . وأوردت الدراسة بعض الفتاوى التى أكدت عدم تنفيذ هذه الاشتراطات فيما عدا فترات محددة صاحبت بعض الأزمات التى حدثت فى المجتمع . وفى مجال الطهارة أوضحت الدراسة مدى حرص اليهود عليها ، حتى كثرت الكتابة حولها

فى سفر اللاويين ، والجزء السادس من التلمود اختص بالطهارة ويتألف من اثنا عشر سفراً. ومن ثم حافظ يهود المغرب على الختان ودافعوا عنه ، وأرسلوا من بلادهم الأسئلة التى تستفسر عن الطهارة الشرعية . وأبانت الدراسة أيضًا تأثر اليهود فى الشمال الإفريقى ببعض التأثيرات البربرية فى مجال السحر والكهانة والتنبؤ واستخدام الأشكال والرموز للوقاية منها.

تابعت الدراسة النظام القضائى اليهودى فى بلاد المغرب بإنشاء محكمة عليا فى مدينة القيروان تتبعهما محاكم محلية أطلق عليها بيت الدين تنظر أمامها القضايا المختلفة الخاصة باليهود مثل قضايا الميراث ، والطلاق ، وتسجيل العقود . حققت الدراسة قيام أول ناجدية فى القيروان تهيمن على كل اليهود فى بلاد المغرب ويكون الناجد مسئولاً أمام السلطات الإسلامية عن إخوانه هناك وحفظه التواصل بينهم وبين الرئاسة الروحية فى العراق ، وبلغت قوة ونفوذ ناجدية القيروان وثرائها أن خطبت المدارس العراقية والفلسطينية ودها طمعًا فيما كانت تجود به من تبرعات وهبات . ووجود هذا المنصب فى بلاد المغرب قبيل أن يوجد فى مصر يفصح أن الجماعات اليهودية فى بلاد المغرب بلغت قدراً كبيراً من الأهمية من حيث العدد والثراء . إذ ما قورنت بغيرها من بلدان العالم الإسلامى .

تأخر ظهور ثقافة محلية يهودية فى بلاد المغرب ، حيث لم تصلنا إشارات عن ظهور أى أدبيات يهودية قبل القرن ٤ هـ / ١٠م سوى رسالة يهودا بن قريش إلى يهود فاس التى من المحتمل أن تكون قد كتبت فى نهاية القرن ٣ هـ / ٩م ، أما ظهور إرهاصات الفكر الدينى فى مدينة القيروان فكان خلال القرن ٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١م ، وانصب اهتمام اليهود فى القيروان على الدراسات التلمودية . وأظهرت الدراسة هجرة عدد من علماء اليهود من بلاد المغرب وخاصة من فاس إلى الأندلس والشرق ، وأن هؤلاء لم ينبغوا فى مواطنهم ، وإنما تجلت عبقريتهم فى مهجرهم ، حيث تبوءوا مناصب دينية هناك ، وظهر ذلك جليًا فى الأندلس مثل دوناش بن لبرات وفى القدس مثل سلمون يهودا وفى العراق مثل صمويل بن حفنى . وأسفرت الدراسة عن ظاهرة تسترعى الانتباه وهى أن الحركة القرائية لم تلق قبولاً بين يهود المغرب مثلما وجدت فى الشام والعراق ومصر ، رغم أن بلاد المغرب كانت أرضًا خصبة لقبول الأفكار الخارجية والشيعية والاعتزالية .

الملاحق

الملحق رقم (١)(*)

أجزاء من رسالة صمويل بن حفنى (ت ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م) إلى المجتمع اليهودى فى مدينة فاس .

ص (٤٠٣)

فلنتبع سلوك الحاخامات الأعزاء وأبائك وأبائى ولا تتغاضى عن التفكير فيه ، لأن ذلك يزيد ألمى وحزنى ، وإذا ما ذكرت لأبناء هذا العصر فضائل آبائهم فإن الفضلاء يتمسكون بسلوك الصديقين من آبائهم وحاخاماتهم ، ووجدنا كثيرين نهجوا سلوك الحاخامات بكثرة فضائلهم ، وعندما يتبع الحاخام سلوك الفضيلة فإن تلاميذه من بعده ينهجون نفس السلوك مثل الحاخام يهودا الذى نهج الحاخام حونا من بعده نفس السلوك وكان يقيم ثلاث وجبات فى يوم السبت واتبع من بعده الحاخام نحمان نفس العادة ثم الحاخام ششت والحاخام يوسف . أما الحاخام زيرا كان يقيم الفرائض الدينية وكان يذهب إلى كل إنسان غاضب منه حتى بيته ويصالحه ، واتبع من بعده الحاخام زوطر نفس السلوك وكان أيضًا معتاد على الصلاة . كذلك أنت قادر على اتباع سلوك آبائك ولتداوم على رسائلك التى تكتب لى أخبارك واستفساراتك من العهد القديم أو المشنا أو التلمود لكى أجيبك عليها وفقًا لتعليمات الله معلمنا ولتكن رسائلك مرسلة عن طريق رجل عجوز أو كهل . شموئيل الكاهن ابن كوهين صديق رئيس المدرسة اليهودية والطائفة التى يقول عنها يوسف هانجيد بأنها الطائفة المقدسة التى مثل حجر الأساس كما أنها الشمعة المضيئة فى المنفى وهى طائفة تقيم الفرائض بدون خجل وبفخر ، وطائفته فى الدولة الكبيرة (ص٤٠٤) هى دولة فاس القديمة وفيها تقام تعاليم التوراة وعاش حاخامات كثيرين وكثيرين فيها أرادوا تعاليم الله فاليحفظ الله أنفسهم ويثبت أقدامهم ويبقى نسلهم واسمهم فاليقومهم وينهى أزماتهم ويقيم شموعهم ويبنى بلاطهم ، فبقدرتك يارب بنوا خراب العالم ، وأيضًا هدوء الأحوال والشجاعة والجرأة وزوال الغمة وانتصار القامات وزيادة البركات .

(*) Cowley, (J.Q.R.), 18, 1906 , P. 403-405 .

ليكن لكم أخواننا شيوخنا حاخاماتنا حمايتنا لكم ولكل أقاربكم حتى يعود إليكم الآمان والهدوء ، نقدم إليكم المساعدات من الحاخامات وأبناء الحاخامات والقاضى والتلميذ ، وأخيراً نحن بفضل الله نتوسل أمامه ونقف فى ظله (حماه) ونشتكى .

وصلتنا أخباركم فارتعدت قلوبنا وانتزعت من مكانها وتبكى عيوننا وقلوبنا على تدمير معبدكم ، وعلى قتل أبناء قومنا وعلى الضرر الذى وقع لشبابنا ونطلب من الله أن يقتل قاتليهم وأن يسىء لهم وأن يصيبهم بسوء ، ونريد قبل هذا أن يواسينا وأياكم وأن يحسن إليكم وأن يحول أحزانكم إلى أفراح وأن يسعد قلوبكم ، وقبل كل شىء نشكر الله على الشر والخير ونسبح اسمه على كل فضائله ، وعلى الرغم من أن عمل بنى البشر فى هذا العالم فى الخير والصدق إلا أنكم مقهورين فى هذا العالم وموضوعين فى عدة اختبارات وامتحانات وعلى الرغم من أن خالقنا يمتحنا فيعلم الخبايا والخفايا وكل الامتحانات التى يمتحنها للصديقين والأتقياء فالله يختبر الصديق والشرير ومن يحبه الله يبتليه وهذا الأمر نتعلمه من موسى حذرنا من الضيق من عقاب الله ، وقال : لا تقنطوا من عقاب الله لأنه هو الأب لكل بنى إسرائيل ، ونحن نعلم أن اللهنا تبارك اسمه أختبر إبراهيم فى حادثة ذبح ابنه اسحاق ، وأول اختبار اللهنا لبنى إسرائيل يتجسد فى فرائض الصوم وواجب الحفاظ عليهما ، والاختبار الثانى لبنى إسرائيل أنهم (ص ٤٠٥) ساروا فى الصحراء ٤٠ عام ، والاختبار الثالث أنهم يسيرون فى طريق به ثعابين وعقارب وهم عطشى ونجا الصديقين منهم ورواهم من عطشهم ، والاختبار الرابع أنه عذبهم وأجاعهم وبعد ذلك أشبعهم ، والاختبار الخامس أنه وضع أغراب فى بلدهم ليختبرهم ، والاختبار السادس أن اللهنا اختبر شعبه باضطهاد الممالك لهم ، والاختبار السابع والثامن أن اللهنا اختبر شعبه بالنفى والفقر والضعف ، والاختبار التاسع والعاشر أن اللهنا يختبر العقلاء بأربعة طرق للشر وهى سيف ، حرق ، أسر ، نهب ، والعقلاء من القوم سيفهمون ، والعشرة شيوخ القتلى كانوا مختبرين ومقهورين فى قتلهم وهم اتقياء ومن العقلاء ، ويوجد من العقلاء من يقتلون من أجل الدين وهم الذين يضيئون فى السماء ككواكب وكل العقلاء سيضيئون كضوء السماء ، وويل لك يا سافك دم برىء ويسطلب منهم دم القتيل ودم نسله ، وعندما أراد حاخاماتنا تفسير هذا من العهد القديم وجدوا " دم أخيك تصرخ إلى من الأرض " .

تعليق على الملحق رقم (١) :

الرسالة لا تشير إلى تاريخ محدد ، والواضح أنها أرسلت إلى مدينة فاس بعد أحداث عنف ألمت باليهود ، ويرى هيرشبرج Hirschberg ربما أرسلت فى أعقاب استيلاء بلكين بن زيرى على المدينة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩م ، أو فى أعقاب الصراع بين بطون زناتة مغراوة الموالية للأمويين وبنى يفرن الذى انتهى لصالح بنى يفرن سنة ٤٢٤ هـ / ١٠٣٣م [(١)]، ويتفق مان Mann مع هيرشبرج فى الاقتراح الأول[(٢)] إلا أن الراجح ما أكدته المصادر العربية من أن البلاء الذى وقع لليهود كان فى أعقاب صراع بطون زناته حيث قتل منهم ستة آلاف[(٣)] .

ملحق رقم (٢)[(٤)]

خطاب تعيين يوسف بن براخيا

مندوبًا للمدارس العراقية فى القيروان سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م

باسم اليشيفا (المدرسة اليهودية لتعليم اليهود أصول دينهم) ترسلوه مجرداً بدون اسم واحد منا لأن الإرسال باسم يضره ، وعندما ترسلوه يكون عن طريق شجاعنا وبطلنا ... المخلص الأمين السيد يوسف الصديق العظيم والحاخام ذو الباس أو السيد الحاخام ريش الشجاع ، ونعلمكم أننا أوقفناه على موقفه واقمناه فى مكانه والآن احفظوا يا أخواننا كل هذا واحذروا لئلا ...

حقًا ترسلوا تبرعاتكم يكون معكم أسئلتكم لكى نجيبكم عليها

حقًا لقدعرفتم قوتنا بتوارة الرب وقدرتنا بحكمته حكمة المقرا (الكتاب المقدس)

والمشنا والتلمود وكل الكتب المقدسة وعلمنا أن :

.... وأن تفعلوا سنفيدكم عندما

---

(1) A History of The Jews in North Africa, I,P. 105 -107 .

(2) Texts and Studies, I, P. 150; Idem (J.Q.R.), II, 1920 - 1921, P. 339, 340.

(٣) راجع الرسالة ، لمزيد من التفاصيل راجع ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ص ١١٠ ؛ السلاوى ، الاستقصاء ، ص ٢٠٢ .

(4) Mann, Texts and Studies 1.P.159 .

.... لرزق حاخاماتكم والانفاق على فقرائكم .

.... على الرب الرزق فهو الذى يهبه .

تعليق على الملحق رقم (٢) :

عينت المدارس العراقية مندوبًا لها فى الشمال الإفريقى يكون مسئولاً عن إرسال الأسئلة والهبات والتبرعات وتلقى الفتاوى والإجابات .

ملحق رقم (٣)(١)

خطاب من نسيم بن يعقوب بالقيروان

إلى يوسف ابن عوكل بالقاهرة

سيدى ومولاى الشيخ الجليل أبو الفرج أطال الله بقاءه وأدام تأيده ونعمه يوسف بن يعقوب بن عوكل ، أطاله وحفظه .

من نسيم بر يعقوب

سيدى ومولاى أدام الله تأيدك ونعمك وأمد فى أجلك وأحسن لك العاقبة فى دينك ودنياك ولا أخلاك من الـ ....

... يجب عليك يا سيدى التمسك بمن يتمسك بك والمحافظة على من يحفظ ودك ويكره بعزك والقياس فى أسباب ....

.... والعناية بأمرهم حسب مقصدهم إليك وبقدر ما تبلغه طاقتك وترك الأحوال فى حتى

.... من قصدك وقدم إليك أسبابه بمن قصد سواك ويحذر أن يظفر به فهذا الذى يليق بك وبأدبك وصفاتك .

..... لاسيما وقد أكثرت عليك بالسؤال والرغبة فى عدة كتب أن تجهد فى ألا يظفر بنا من يغضبك وأن يقوم بالعناية بسرعة الإيفاد والحرص على صيانة ما يصل والتأكيد على سرعة الجواب لما وجدت فيك من نشاط .

---

(1) Mann, Texts and Studies 1.PP.142-143 .

ولعمرى أنك معذور لكثرة اشتغالك بأحوال الدنيا لكن إنما هى ساعة واحدة فى وقت خروج القافلة تفرغ ذهنك لمكاتبة من تكاتبه لا غير وهو أمر بسيط جداً وأنت تعلم يا سيدى مدى حبنا لك .

الآن يا سيدى أحب أن يكون لكلامى موضع فى نفسك وموقع من قلبك وأن تجاوبنى على ما أسئلك مـ ... م .... بل ويقرب ....

منك على غيرنا ... كنت قد أرسلت إليك مع السيد أبى نصر صدقة الشامى أيده الله كتاب إلى سيدنا حاى ويحتوى على أسئلة هامة أيضًا ولعله يسرع فى الجواب وأن يصل جوابه إلى قريبًا ، كما أرسلت إليك عدة كتب على يد الشيخ أبى عمران موسى بن يحيى أيده الله و ..... أرجو أن تكون قد وصلت وقد أخذتها وهذه كتب ....

تعليق على الملحق رقم (٣)

توضح الرسالة مدى العلاقة بين القيروان ومصر ، كما تظهر أن الرسائل المتبادلة بين العراق والقيروان تصل أولاً إلى مصر ومنها ترسل إلى العراق وكذلك الحال فى الخطابات القادمة من العراق ، وهذه الرسالة أرسلت من نسيم بن يعقوب العالم الشهير فى القيروان إلى جوزيف بن يعقوب بن عوكل فى الفسطاط مليئة بالسؤال والقلق عن تأخير رد الجاؤون حاى عليه . انظر تعليق : Mann, Texts and Studies, 1, P. 157 .

الملحق رقم (٤)[1]

أجزاء من رسالة جماعة اليهود فى صقلية إلى الرابى الحنان بن حوشيل رئيس محكمة القيروان

ص (١٧٥)

إلى المبجل المحترم كبير الطائفة التى فى القيروان . منا نحن أخوانكم فى طائفة صقلية لكم منا التحية والبركة .....

..... يرث الصديقون الأرض ويسكنون بها ويفرح الصديقون ويبتهجون بفرحة ... البارين معروفين ... أيضًا أبطال ... معروفين بحكمتهم ....

---

(1) Mann, Texts and Studies 1.PP. 175-176 .

..... أصدقاء يطلبون الخير ويفعلون الطيبات وهم مستقيمين وأكفاء ... و ... و ... وهم مبجلين محترمين يتمسكون بالأخلاق والقيم يساعدون الفقراء ويعملون على افتداء وتحرير كل أسير .....

.... رحماء وليسوا مندفعين قضاه عادلين ومجتهدين هم خاماتنا ومعلمينا وهم يزرعون الصدق والحق والعدل والإحسان .

..... المحترم الحاخام الحنان رئيس محكمة الحاخام حوشيل(*) والمحترم السيد الحاخام يعقوب الناجد (رئيس اليهود) وكل الشيوخ والمفكرين ص (١٧٦) نستقى من الميراث الخير لتعليمهم وإرشادهم فى مبعدين عن أرضهم ...

نبوءتهم وإحضارهم إلى حدود قدسية مكان صلاتهم مفتدين بسعادة وفرحة لوحدتهم واتحادهم مع كل أبناء الشتات ....

كرمال فى البحر وكعمق الأنهار منهم شبابكم محكمة صقلية وشيوخ جذبوا بنورهم وهدوءهم ... مثل أرض طيبة وكتبنا إلى المبجلين معلمينا الأعزاء لمعرفة إحسان ربنا تبارك وتعالى اسمه لا تنتهى رحماته وفضائله على شعبه فى كل عصر وجيل ..

يحقق لهم الخلاص فى هذا الأمر الـ بفضل عدله ولكن هذا لأنهم فى أرض أعدائهم .

ولا يخفى أيضًا عن معلمينا ما طلبه السابقين رحمهم الله ولإن معلمينا وبعد حوالى عامين... الله تعالى اسمه فى عصرنا مخلصين ومؤمنين يراعون الحاخام حاييم المدعو خلق بر يعقوب السفارادى وربى نسيم حمود و ...

.... عدلهم وصدقهم ويأنفسهم وأملاكهم ولم يحتاجوا إلى إخوانهم أو إخواتهم ليأخذوا شيئًا منهم ....

.... رجال كثيرين وأموال كثيرة بمخافة الله الكامنة فى قلبهم أيضًا وانقذوا الفقراء من الضريبة .... (الالتزام بالضريبة على الفقراء) .

(*) شغل الحنان بن حوشيل منصب رئيس الدين فى القيروان ورئيس المدرسة التلمودية بها التى أسسها والده حوشيل (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م) . ولمزيد من التفاصيل رراجع متن الرسالة .

ملحق رقم (٥)

إقرار بدين (قرض)[١]

إنه فى يوم السبت الثانى من شهر سيوان لعام ألف ومئتان وثمانية وسبعون للتاريخ الذى اعتدنا على العمل به وحسابه . فى مدينة الفسطاط التى تقع بمصر المستقرة على النيل وحضر أمامنا للشهادة اسحاق بن إبراهام المغربى فقال أمامنا وفى حضورنا فلتكونوا شاهدين على من الآن واكتبوا واجعلونى أختم بكل لغة حق واعطوا هذا لدافيد هكوهين بن شلومو أننى اعترف أمامكم بقلب سليم وعقل راجح متزن وبدون ضغط أو إجبار وبدون خطأ أننى حصلت منه وأخذت منه ستمائة نقرة[٢] (عملة مالية) وهم قرض ودين على أسدده له فى مدينة (القيروان) ولا اتباطىء ولا أتأخر فى هذا . ولن أمنعهم عنه أو أأجلهم بل أننى سأدفعهم له كاملة ومكتملة فى مدينة (القيروان) وبدون تأخير أو نقص أو تأجيل . أنا اسحق بن أبراهام كل أملاكى التى لى فى هذه الحياة لدافيد هكوهين بن شلومو هذا سواء فى البر أو البحر فى البرية أو الصحراء سواء فى البيت أو الحقل كل أملاكى تكون له ولورثته من بعده حتى يأخذ حقه منى أنا اسحاق هو أو ورثته من بعده . وليكن شاهد على كلامى شهود مخلصين أمناء شهود يشهدون بأن هذا المال دين قائم على أنا اسحاق بن أبراهام إلى دافيد هكوهين بن شلومو.

..... الستمائة نقرة (عملة مالية) خالصة المعروفين ....

..... اسحاق بن أبراهام وكل الذى فى المستقبل يعطى ....

..... ورثته بكل لغات .....

..... على أنا اسحاق بن أبرهام .

---

(1) Mann, Texts and Studies 1.PP. 360 - 361 .

(*)يتم الإقرار بالدين أمام المحكمة ويتسلم الدائن صك الدين.

(٢) كلمة نقرة تعنى السبيكة .

ملحق رقم (٦)

إقرار بدين (بقية الدوطه)

الشهادة التى كانت أمامنا فى يوم السبت التاسع والعشرين من شهر سيوان لعام ألف ومائتان وثلاثة وتسعون بالتاريخ الذى نعده ونعمل به فى مدينة الفسطاط بمصر التى تقع على نهر النيل . من يعقوب بر يوسف برمونيح قال أمامنا فلتكونوا شهوداً علىّ الآن واكتبوا بكل لغة حق واختموا وأعطوا ليوسف هكوهين بر أبراهام المعروف بسبب أننى رغبت بإرادة نفسى وبلا إجبار وبلا أى اضطرار بل بقلب سليم وفطنة تامة ورجاحة عقل أنا اعترف أمامكم بأننى أشترطت بينى وبين سوف هذا أن يكتب على نفسه فى عقد زوجته غاليا ابنتى فى مهرها أوانى ذهبية وأدوات وملابس ومستلزمات منزلية بمائة وخمسين ... ذهب كعادة العقود فى هذا البلد وأخذت على نفسى بأن أعطيه مائة من الذهب الخالص الموزون ... ليس فيها نقص وأعطيته من هذه المائة عشرين وبقى له مبلغ ثمانين أخرى وهى كل الديون والقروض وأجاب على هذا الشرط وتقبله قبل أن يكتب على نفسه المهر ... غاليا وعلى هذا .... وفى أى وقت يتوافر لدى مبلغ الثمانين من الذهب سأعطيه له ... من وقت لآخر وإذا حاشى لله وافتنى المنية ومت ولم أدفع .... له .... فإن هذا دين وقرض على .... وهذه الثمانين الذهب تكون على وعلى ورثتى من بعدى وعليهم أن يسددوه من أملاكى التى تحت السماء سواء فى البر أو البحر فى المنزل أو الحقل فعليهم تسديد الديون والقروض . وعند كل تعديل يا حاخامات المحكمة سيكون لديكم علم به ولإن لديكم علم بكل ما تم حتى اليوم .

ممتلكاتى أنا يعقوب بر يوسف بر موينح تكون ليوسف هكوهين هذا هى له حتى تسديد الدين المكتوب أنفًا باقى وقائم ... وتم تقبله دافيد الوف بير ...

حسن برفشاط بر هكوهين بر ...

بر ثابت ....

---

(1) Mann, Texts and Studies 1.PP. 363-365 .

(*) نتعرف من هذا الإقرار على عادة الدوطة اليهودية (هدية أهل العروس للعريس) وكذلك على قائمة منقولات الزوجية .

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات :

- **بيبرس الدويدار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥م)** : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، جزء ٦ ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٢٤٠٢٧ .
- **الدرجينى ، أبى العباس أحمد (ت منتصف القرن ٧ هـ / ١٣م)** : طبقات الإباضية ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم ١٢٥٦١ ح .
- **المكى ، محمد المكى بن يوسف الناصر** : طليعة الدرعة فى تاريخ وادى درعة ، (كتب سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م) ، المخطوط محفوظ بخزانة الرباط تحت رقم ٣٧٨٦ د .

المصادر :

- **ابن الآبار ، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى ، (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠)** : التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٥م.
  - الحلة السيراء ، الجزء الأول ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣م .
- **ابن الأثير ، محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م):** الكامل فى التاريخ ، طبعة سنة ١٨٧٣م .
- **الإدريسى ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف (ت ٥٥٨ هـ / ١١٦٢م)** : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .
- **الاصطخرى ، ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفاسى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٧٥م)** : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى ، القاهرة ١٩٦١م .
- **ابن أبى أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٨م):** عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، بيروت .

- **البكرى ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١١٠٣م)** : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد .

- **بنيامين التطلى ، بنيامين بن يونه التطلى النبارى الأندلسى (من رحالة القرن السادس عشر الميلادى)** : رحلته ، ترجمة عذرا حداد ، بيروت ١٩٩٦م .

- **البلاذرى ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٧٩٢م)** : فتوح البلدان، بيروت ١٩٨٣م .

- **التادلى ، أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م)** : التشوف إلى رجال التصوف ، تصحيح : أدولف فور ، الرباط ١٩٥٨م .

- **الجزنائى ، أبى الحسن على (ت أواخر القرن ٨ هـ / ١٤م)** : كتاب زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ، الجزائر ١٩٢٢ .

- **ابن جلجل ، أبى داود بن حسان الأندلسى (ت بعد ٣٣٧ هـ / ٩٨٧م)** : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥م .

- **ابن حزم الأندلسى ، الإمام بن حزم الظاهرى الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣م)** : الرد على ابن النغريلة اليهودى ، تحقيق إحسان عباس ، دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٠م .

  - الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- **ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل النصيبى ، من كتاب النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى** : صورة الأرض ، منشورات دار الحياة ، بيروت .

- **ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م)** : المقتبس فى أخبار الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن حجى ، بيروت ١٩٦٥م .

- **ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ / ٩٣٢م)** : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد .

- **ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله السلمانى (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م) :**
الإحاطة فى أخبار غرناطة ١ - ٤ ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٧م .

- أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، الجزء الثالث ، نشر أحمد مختار العبادى ، ومحمد إبراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ١٩٦٤ .

- نفاضة الجراب فى غلالة الاغتراب ، تحقيق : أحمد مختار العبادى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة .

- **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م) :** العبر وديوان المبتدأ والخبر ، سبعة أجزاء بالمقدمة ، طبعة بيروت .

- **الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الأسيدى (ت ٦٠٥ - ٦٩٦هـ) :**
معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان ، تعليق إبراهيم شبوح ، ٢ جزء ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٦٨م .

- **الدوادارى ، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت بعد سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٧٦م) :** كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس ، نشر تحت عنوان : الدرر المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق ، طلاح المنجد ، القاهرة ١٩٦١م .

- **ابن أبى دينار ، أبو عبيد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى (ت أواخر القرن ١١ هـــ / ١٧م) :** المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٣م .

- **الرقيق القيروانى ، إبراهيم بن القاسم (ت النصف الأول من القرن ٥ هـ / ١١ م) :** فتح إفريقية والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، تونس .

- **ابن أبى زرع ، أبو الحسن بن عبد الله الفاسى (ت النصف الأول من القرن ٨ هـ / ١٤م) :** الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ١٩٧٣م .

- **أبى زكريا يحيى بن أبى بكر (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨م) :** كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربى ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ١٩٧٩م .

- **ابن سعيد ، على بن موسى بن محمد (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م)** : الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، الجزء الثانى ، دار المعارف ١٩٦١م .
- **ابن سعيد المغربى ، أبو الحسن على بن يوسف بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م)** : كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠م .
- **السلاوى ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن حماد الناصرى (ت١٢٥٠-١٣١٥هـ)** : الاستقا لأخبار المغرب الأقصى ، الجزء الأول، تحقيق وتعليق ، جعفر الناصرى ، محمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤م .
- **الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الكريم بن أبى بكر (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م)** : الملل والنحل ، هامش كتاب الفصل لابن حزم ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- **ابن الصغير (ت فى القرن ٣ هـ / ٩ م)** : أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناظر، إبراهيم بحاز ، الجزائر ١٩٨٦م .
- **الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م)** : تاريخ الرسل والملوك ، بيروت .
- **ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠م)** : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١م .
- **ابن عبدون** : رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة ، ضمن رسائل أندلسية فى أداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥م .
- **ابن عذارى ، محمد عذارى المراكشى (ت القرن ٨ هـ / ١٤م)** : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول ، نشر وتحقيق كولان وبروفنسال ، ليدن ١٩٤٨م ، الجزء الثانى تصحيح ، دوزى ، ليدن ١٨٤٩م ، الجزء الثالث ، نشر ، بروفنسال ، باريس ١٩٣٠م .

- **العيـاشى** : ماء الموائد ، تحقيق سعد زغلول عبد اللحميد وآخرون ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٦م .

- **ابن غالب الغرناطى ، محمد بن أيوب (ت القرن ٦ هـ / ١٢م)** : قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس ، نشر لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، نوفمبر ١٩٥٥م .

- **أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م)** : المختصر فى أخبار البشر، القاهرة ١٩٠٧م .

- **ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد** : مختصر كتاب البلدان ١٨٨٥م .

- **ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٦ م)** : الإمام والسياسة ، تحقيق طه محمد الزينى ، القاهرة ١٩٦٧م .

- **القزوينى ، زكريا بن محمد بن محمد (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م)** : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩م .

- **القفطى ، جمال الدين القفطى (ت القرن ٦ هـ / ١٢ م)** : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبعة الخانجى ١٣٢٦هـ .

- **القلقشندى ، شهاب أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م)** : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، المؤسسة المصرية اللعامة للتأليف والترجمة والنشر .

- **ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر (ت سنة ٧٥١ هـ)** : أحكام أهل الذمة - جزآن) ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، بيروت ، ١٩٩٥م .

- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق ، أحمد حجازى السقا ، الريان للتراث .

Cowley, A . : Bodleine Geniza Fragments Letter by Samuel B. Hphni to The Community at Old. Fez. (J.Q.R.) 18, 1906 .

- **ليلى أبو المجد** : عقود الزواج ، ترجمة وتعليق على متن المشنا وشروح التلمود ، القاهرة ١٩٩٦م .

- **ليون الإفريقى ، الحسن بن محمد الوزان الزياتى (ت منتصف القرن العاشر الهجرى)** : وصف إفريقيا ، ترجمه من الإيطالية إلى الفرنسية ، آ ، إيبولار ، وترجمه من الترجمة الفرنسية إلى العربية د. عبد الرحمن حميده ، ومراجعة د. على عبد الواحد ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ١٩٧٩م .

- **المالكى ، أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧م)** : رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية ، الجزء الأول ، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥١م .

- **Mann, Jacob :** Texts and Studies in Jewish History and Literature, New York, 1972 .
  - The Jews in Egypt and in Palestine Under Ther Fatimid Caliphs, 2, Vol., Ktav Publishing House, inc., New York 1970 .
  - The Responsa of The Babylonian Geonim as A Source of The Jewish History, (J.Q.R.) 7, 1016-17; 9, 1918-19; 11, 1920-21 .

- **الماوردى ، أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م)** : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٧٣م .

- **مجهول ، (ت القرن ٦ هـ / ١٢ م)** : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ١٩٨٦م .

- **مجهول : (توفى فى القرن ٨ هـ / ١٤م)** : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار ، عبد القادر زمامه ، الدار البيضاء ١٩٧٩م .

- **مجهول ، (ت نهاية القرن ٨ هـ / ١٤م)** : نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤م .

- **المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى (ت ٣٧٨ هـ / ٩٨٨م)** : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى لسنة ١٩٨٧م .

- **المقرى ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م)** : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، جـ ١ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨م .

- **ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)** : لسان العرب ، ٢٠ جزء ، طبعة بولاق ١٨٨٢م .

- **النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٦٧٧ هـ / ٧٣٣م)** : نهاية الإرب فى فنون الأدب ، الجزء ٢٤ ، تحقيق : حسين نصار ، عبد العزيز الأهوانى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣م .

- **Hirschfeld :** The Arabic Portion The Cairo Genizah at Cambrige, (J.Q.R.), 16, 1904 .

- **الونشرسى ، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨م)** : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨١م .

- **ياقوت ، شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م)** : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت .

- **اليعقوبى ، أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧م)** : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩٢م ، طبع مع كتاب الإعلاق النفسية لابن رسته .

- **يوسف الحكيم** : الدوحة المشتيكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ١٩٨٦م .

- **أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم الأنصارى (ت ١٩٢ هـ / ٨٠٧م)** : الخراج ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٧٢م .

المراجع العربية والمترجمة :

- **أبراهام شاتل** : تاريخ يهود المغرب ، وزارة التعليم ، القسم الثقافى ، القدس ١٩٧٤م (بالعبرية)

- **إبراهيم نصحى** : إنشاء قورينى وشقيقاتها ، ليبيا ١٩٧٩م .

- **أحمد سوسة** : مفصل ، العرب واليهود فى التاريخ ، الطبعة الخامسة ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ١٩٨١م .

- **أحمد مختار العبادى** : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت ١٩٧٢م .
- فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية .
- **أرشيبالد لويس** : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٦٠م.
- **إسرائيل شاحاك** : الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ، ترجمة حسن خضر ، سينا للنشر ١٩٩٤م .
- **إسرائيل ولفنسون** : تاريخ اللغات السامية ، القاهرة ١٩٢٩م .
- **أسعد رزق** : التلمود والصهيونية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٠م .
- **أفيفا مولر لنتسط** : حياة اليهود فى مراكش (باللغة العبرية) طبعة ثانية ١٩٨٣م .
- **بروفنسال** : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ، محمد صلاح الدين حلمى ، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٦م .
- **البشبيشى** : الفرق الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٢م .
- **ثروت أنيس الأسيوطى** : نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين - الجماعات البدائية - بنو إسرائيل ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة .
- **جمال حمدان** : اليهود أنثروبولوجيا ، دار الهلال ١٩٩٦م .
- **جوايتاين** : دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصى ، الكويت ١٩٨٠م .
- **جوستاف لوبون** : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٥٠م .
- **حاى بن شمعون** : الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين ، القاهرة ١٩١٩م .
- **حسن حسنى عبد الوهاب** : ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الثالث ، تونس ١٩٧٢م .
- **الحسن السائح** : الحضارة المغربية عبر التاريخ ، الدار البيضاء ١٩٧٥م .

- **حسن ظاظا** : الفكر الدينى اليهودى ، أطواره ومذاهبه ، دمشق ، بيروت ١٩٨٧م .

- **حسن ظاظا ، السيد محمد عاشور** : اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة ، القاهرة ١٩٧٥م .

- **حسن محمود** : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٦م .

- **حسين مؤنس** : فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٥١م .

- **دبوز** : تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة ١٩٦٣م .

- **دوزى** : المسلمون فى الأندلس ، ترجمة حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الجزء الثانى ١٩٩٤م ، الجزء الثالث ١٩٩٥م .

- **ديلاس أوليرى** : الفكر العربى ومكانة فى التاريخ ، ترجمة تمام حسان ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦١م .

- **زاهر رياض** : شمال إفريقيا فى العصور الوسطى ، الأنجلو المصرية ١٩٨١م .

- **زعفرانى** : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، القاهرة .

- **سحر سالم** : برغواطة هراطقة المغرب فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٩٣م .

- **سعد زغلول عبد الحميد** : تاريخ المغرب العربى ، طبعة القاهرة ١٩٥٨م ، الجزء الأول والثانى ، طبعة الإسكندرية ، ١٩٧٩م .

- **سليم شعشوع** : صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس ، ١٩٩٠م .

- **سنوسى يوسف** : زناتة والخلافة الفاطمية ، القاهرة ١٩٨٦م .

- **السيد عبد العزيز سالم** : المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٦٦م .

- **السيد عبد العزيز سالم ، أحمد مختار العبادى** : تاريخ البحرية الإسلامية ، الإسكندرية.

- **السيد محمد عاشور** : الربا عند اليهود ، القاهرة ١٩٧٢م .

- **الطالبى** : تاريخ قفصة وعلمائها ، تونس ١٩٧٢م .

- **طوبياه** : روش بناه ، القاهرة ١٩٤٧م .

- **الطيب محمد حمادى** : اليهود ودورهم فى دعم الاستيطان البطلمى والرومانى فى إقليم برقة (قورنائية) ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ١٩٩٤م .
- **عبد الحليم عويس** : دولة بنى حماد ، بيروت ١٩٨٠م .
- **عبد الرازق أحمد قنديل** : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ، دار التراث بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط ١٩٨٤م .
- **عبد الرحمن الجزيرى** : الفقه على المذاهب الأربعة ، القاهرة ١٩٩٤م .
- **عبد السلام الترمانين** : الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ، ٢٣ نوفمبر ١٩٧٩م .
- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٣م.
  - التاريخ السياسى للدولة العربية ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٧١م.
  - نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٧٣م
- **عبد الهادى التازى** : التاريخ الدبلوماسى للمغرب ، الرباط ١٩٨٧م .
- **عبد الوهاب المسيرى** : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، الأهرام ١٩٧٥م.
- **عز الدين موسى** : النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى ، دار الشروق ١٩٨٣م.
- **على إبراهيم ، خيرية قاسم** : يهود البلاد العربية ، منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧١م.
- **على النشار ، عباس الشربينى** : الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٢م .
- **فرويد** : موسى والتوحيد ، ترجمة عبد المنعم الحفنى ، الدار المصرية ١٩٧٨م .
- **فريزر** : الغصن الذهبى ، دراسة السحر والدين ، ترجمة أحمد أبو زيد ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧١م .
- **قاسم عبده قاسم** : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، الفكر للدراسات ، القاهرة ١٩٨٧م .
- **كونتو** : الحضارة الفينيقية ، ترجمة عبد الهادى شعيرة ، القاهرة ١٩٤٨م .
- **لوتورنو** : فاس فى عصر بنى مرين ، بيروت ١٩٦٧م .

- **ليلى أبو المجد** : مدفوعات الزواج فى التشريع اليهودى فى ضوء قوانين الشرق الأدنى القديم وتشريعاته ، القاهرة ١٩٩٨م .
- **متز** : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة : عبد الهادى أبو ريده ، القاهرة .
- **محمد بحر عبد المجيد** : اليهود فى الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م .
- **محمد خليفة حسن** : تاريخ الديانة اليهودية ، دار قباء ، القاهرة ١٩٩٨م .
- **محمد أبو زهرة** : الأحوال الشخصية ، القاهرة .
- **محمد عبد الله عنان** : دولة الإسلام فى الأندلس ، الجزء الأول ، مكتبة الخانجى ١٩٦٩م.
  - دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، الطبعة الرابعة، الخانجى ، القاهرة ١٩٦٩م .
  - الدولة العامرية ، القاهرة ١٩٦٥م .
  - دولة الطوائف ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٩م .
- **محمد الهوارى** : السبت والجمعة فى اليهودية والإسلام ، القاهرة ١٩٨٨م .
- **محمد عبد الوهاب خلاف** : وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس ، القاهرة ١٩٨٠م .
- **محمود إسماعيل** : حقيقة المسألة البرغواطية ، مغربيات ، الرباط ١٩٧٧م .
  - الخوارج فى المغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٧٦م .
  - سسيولوجيا الفكر الإسلامى ، الجزء الثانى ، الدار البيضاء ١٩٨٠م .
  - ملاحظات حول تاريخ الأدارسة ، بحث منشور فى كتاب : مقالات فى الفكر والتاريخ ، الدار البيضاء ١٩٧٩م .
- **مصطفى كمال عبد العليم** : اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، طبعة أولى، القاهرة ١٩٦٨م .

- **موريس لومبارد** : الإسلام فى مجده الأول (القرن ٢ - ٥ هـ / ٨ - ١١ م) ، ترجمة وتعليق إسماعيل العربى ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ١٩٧٩م .
- **ميخائيل اسكندر** : تاريخ كنيسة بنتابوليس ، مطرانية البحيرة ١٩٨٧م .
- **ميخائيل إمارى** : نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، بغداد .
- **نعيم زكى** : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، هيئة الكتاب ١٩٧٣م.
- **نور الهدى عبد العال** : عادات وطقوس الزواج عند يهود المغرب ، وتأثير البيئة المغربية (بالعبرية) القاهرة ١٩٨٩م .
- الملاحات فى المغرب ، القاهرة ١٩٨٨م .
- **الهادى روجى إدريس** : الدولة الصنهاجية ، ترجمة حمادى الساحلى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٩٢م .
- **هايد** : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، الجزء الأول ، ترجمة أحمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥م .
- **هوبكنز** : النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، تونس ١٩٨٠م .
- **ول ديورانت** : قصة الحضارة ، ترجمة : زكى نجيب محمود ، جـ ٢ ، المجلد الأول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٣م .
- **وليم وودثورب تارن** : الحضارة الهلنيستية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، زكى على ، الأنجلو المصرية ١٩٦٦م .
- **يوسف غنيمة** : نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ، الطبعة الثانية ، دار الوراق ، لندن ، ١٩٩٧م .

- الرسائل الجامعية :

- **سنوسى يوسف** : دور زناتة فى المغرب الإسلامى من خروج الفاطميين حتى قيام المرابطين، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ١٩٨٥م .
- **ليلى أبو المجد** : الوثائق اليهودية فى مصر فى العصور الوسطى ، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ١٩٨٧م .

- **محمد ماهر سمك** : الأقلية اليهودية فى المغرب ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية ١٩٩٣م .

- **Mohamed Arahou** : Juife et Communautes Judaiques face aux pouvoirs Musulmans au Maghrab AL-AKSA ($XIII_e$ - $XVII_e$ siecle) , Doctorat d'Histore et Civilisation Universite de Toulous, 1993 .

- **Mohamed Laghraib** : Role Politique des Juifs au Maghreb A Travers Les Sources Arabes Du VIIe Au XIIIe S, These Doctorat Nouveau Regime " en History " , University Paris, VIII, 1994-1995 .

- **نجـوى هدايت** : اليهود فى قرطبة فى عصر الخلافة الأموية ، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٩٥م .

الدوريات العربية :

- **إسرائيل ولفنسون** : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية .

Bulletin de la seciete d'etuds Historiques Juives D'Egypte, No. 1, 1929 .

- **الحبيب الجنحانى** : نظام ملكية الأرض الزراعية فى المغرب ، المؤرخ العربى ، ٢٣ لسنة ١٩٨٣م .

- **دائرة المعارف الإسلامية** : طبعة مركز الشارقة للإبداع الفكرى ، ١٩٨٨م .

- **سعد زغلول عبد الحميد** : فتح المغرب بين الحقيقة والأسطورة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، م ١٦ ، لسنة ١٩٦٢م .

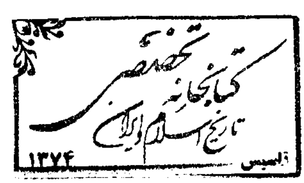
- **صبحى لبيب** : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٥٢م .

- **عطية القوصى** : أضواء جديدة على تجارة الكارم . مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ٢ ، ١٩٧٥م .

- **ليلى أبو المجـد** : عقد الزواج عند اليهود ، وتأثره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى القديم ، حوليات كلية الآداب ، عين شمس ، المجلد ٢٤ ، الجزء الأول لسنة ١٩٩٥م .
- **محمد أرحو** : يهود المغرب فى تجارة القوافل الصحراوية ، مجلة الاجتهاد ، بيروت ، العدد ٣٤ - ٣٥ ، لسنة ١٩٩٧م .
- **المدلاوى** : صورة المغرب فى المكتوبات العبرانية واليهودية ، مجلة شئون مغربية ، العدد ١٥ لسنة ١٩٩٧م .

المراجع الأجنبية :

- **Abbou, Is, D. :** Muslmans Andalous et Judeo-Espagnols, Casablanca, 1953 .
- **Astor, E.** : The Jews of Moslem Spain, Philadlephia, 1973 .
  - The Jews and The Mediterranean Economy, 10-15th Centuries, London, 1983 .
- **Baron and Kahan** : Economic History of Jews, Neew York, 1975 .
- **Ben Sasson** : Inter-Communal Relation in Geonic Pariod, in Daniel Frank ed., The Jews of Medieval Islam, Leiden, 1995 .
  - Italy and Ifriqia From The Ninth to The Eleventh Century, in Les Relation Intercommunautaires Juives en Mediterranee Occidentale, Paris, 1982 .
  - The Jewish Community of Gabs in The 11th Century, in Commuates Juives des Marges Sahariennes du Maghreb, Edite Par, Michel Abitbol, Jerusalem 1982 .
- **Bernard, L.** : The Jews of Islam, Princeton University, New Jersey 1984 .
- **Chouraqui, N.** : Between East and West. A History of The Jews of North Africa. (Translatede From The French by, Michale M. Bernet, New York, 1973) .



- **Flavius, Josphus** : The Works of Flavius Josephus, Translated by William Whiston, London, 1904 .

- **Gautier, E. F.** : Le Passe de L'Afrique du Nord, Paris, 1937 .

- **Goitein, S. D.** : Jews and Arabs. Their Contacts Through The Ages, New York, 1955 .

- Mediterranean Society, Jewish Commuities of Arab World as Partrayed in The Documents of The Cairo Geniza 969 - 1250, 4, Volume, University of California Press :

- Economic Foundation (1967) .
- The Community (1971) .
- The Family (1978) .
- Daily Life (1983) .

- **Goodnough, E. R.** : Jewish Symbols, Greco - Roman Period, Panthean Book 1953 .

- **Grayzel, S.** : A History of The Jews from The Babylonian Exeil to the Estabishment of Israel, The Jewish Publication Society of America, Phildelphia, 1966 .

- **Hill, D.** : Islamic Architecture in North Africa, London 1976 .

- **Hirschberg** : A History of The Jews in North Africa Volume 1, Leiden 1974 .

- **Julien, A.** : History of North Africa London, 1970 .

- **Latrie, M.** : Relation of Commerce de L'Afrique Septentorinale au Mughreb avec Les NAtians Chretiennes au Moyen age, Paris 1886.

- **Lepez, Raymond** : Medieval Trade in The Mediterranean World, London 1955 .

- **Lewicki, T.** : West African Food in The Middle ages, Cambridge.

- **Malka, E.** : Essai D'ethnographie Trditionnelle de Mellahs, Rebat, 1946 .

- **Margoliouth, Moses** : Apilgrimage to The Land of My Fathers, London 1850 , Vol.2.

- **Menahem Mansoor** : Jewish History and Thought, Ktav Publishing House 1991 .

- **Nehemia, Levtzion** : The Jews of Sijilmasa The Saharan Trade, in Communautes Juives des Marges Sahariennes du Maghreb, Etite Par Michel Abitbol, Jerusalem, 1988 .

- **Renzo** : Jews in an Arab Land Libya 1935 - 1970 , Translated by : Judith Roumani, United States of America 1985 .

- **Roth** : Ashort History of The Jewish , London 1969 .

- **Sachar, A. L.** : A History of The Jews, Now York, 1953 .

- **Slousch, N.** : Judeo-Hellenes et Judeo-Berbers, Rcherches Sur les Origines des Juifs et du Judaisme en Afrique, Paris 1909 .

  - Travels in North Africa, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1927 .

- **Smallwood, E. M.** : The Jews Under Roman Role, Leiden, 1976 .

- **Stillman, M. A.** : The Jews of Arab Lands A History and Source Book, The Jewish Publication Society of America 1979 .

- **Stillman, Y. K.** : Castums as Caltural Statement : The Esthetics, Economics, and Politics of Islam Dress, in The Jews of Medieval Islam, Edited by Daniel Frank, Leiden, 1995 .

- **Tcherikover, Victor** : Hellenistic Civilization and The Jews, Translated by : Applebaum, S. Philadelphia, 1959 .

- **Udovitch, A.** : The Last Arab Jews, The Commuities of Jerba, Tunisia, New York 1984 .

- **Zinberg, Is.** : A History of Jewish Literature V.I, Translated by : Bernard Martin, London, 1972 .

الدوريات الأجنبية :

- Abbreviation :

- (J.Q.R.) : The Jewish Quarterly Review .
- (JESHO): Journal of The Economic and Social History of The Orient .

- Archires Marocaines, XII, 1908 .

- **Arnold and Gennep :** Jewish Arts and Carfts in North Africa, Menorah Journal 12, February 1926 .

- **Ayach, G. :** La Minorite Juive Dans La Marco Precoloniad, (Hesperis), 15, 1987 .

- Encyclopedia Britannic, 1993 .

- **Goitein** : Commercial and Family Partnerships in Countries of Medieval Islam, Islamic Studies, 3, Sptember, 1964 .

  - New Sources Concerning The Nagids of Qayrawan (in Hebrew) , Zion, 27 , 1962 .

  - The Main Industries of The Mediterranean Area as Reflected in The Records of The Cairo Geniza, (Jesho), 4, Part 2, August, 1961 .

- **Goulven, J.** : Notes Sur les Origines Anciennes des Israelites du Maroc (Hesperis) , Vol.1, 1921 .

- **Hannoum, A.** : Myth and Mythmaking in Franch Historigraphy of The North Africa : Writing The Episode of The Kahina, (Hesperis Tamuda) 34, 1996 .

- **Hirschberg :** The Problem of The Judaized Berbers, The Journal of African History, Vol. 4, 1963 .

- **Hirschfeld :** Family of The Qabisi from Kairowan (J.Q.R.) 16, 1904 .

- Jewish Encyclopedia.

- **Lessard** : La Ville Sidjilmassa et Ses Relations Commerciales au XI Siecle, (Hesperis), 10, 1969 .

- **Lloyd, Reece, Reynolds and Sear** : Excavation at Sidi Khrebish Benghazi (Berenice), Vol.1, in Sapplements to Libya Atiqueties, V, Tripoli, 1977 .

- **Semach :** Une Chronique Juive de Fes. (Hesperis) XIX, 1034 .

- **Slousch, N. :** L'Empire de Berghouata et Origines des Blad = es = Sida Revue du Monde Musulman, T. 10 Paris 1910 .

  - L'Ethnographie Juive de L'Afrique de Nord, Extrait du Bulletin de Societe de Geographie T.X., Cairo , 1921 .

- **Stillman, M. A.** : The Eleventh Century Merchant House of Ibn Awkal (A Geniza Study). (Jesho), Vol. 16, April, 1973 .

- **Vajda** : Problems et Taches de L'inverstion du Pass Juif en Tunisie , Cahiers de Tunisia 3e et 4 Trimestre 1954 .

القسم الثانى

اَلْيَهُوْدُ فِى مَمْلَكَتَىّ قَشْتَالَةَ وأراجُون

١٣٩١ - ١٤٩٢م

(الصُّعُودُ والسُّقُــوطُ)

عاشَ اليهود فِي شِبْهِ الجزيرةِ الإيبيرية مُنْذُ القُرُونِ الأُولَي لِلْمِيلادِ، وعَمِلُوا مَعَ الحُكُومَاتِ المُتعاقبةِ، وانْحَازُوا دائماً للمُنتصر وسانَدُوه بكُلِّ ما مَلَكَتْ أيديهمُ ؛ فعاشوا فتراتِ ازدهارٍ وانتابتْهُمْ فِي أُخْرَي هِزَّاتٌ؛ بَيْدَ أنَّهُمْ تَخَطُّوهَا بسرعةٍ، وبلغُوا قِمَّةَ مَجْدِهِمْ فِي القَرْنِ ١٤م، ولَم يَدُرْ بِخَلَدِهِمْ آنذاك أنَّهُمْ عَنْ شِبْهِ الجزيرةِ راحلُون تَحْتَ أَيَّةِ ظُرُوفٍ، رَغْمَ مَا أَلَمَّ بِهِمْ مِنْ أحداثِ سنة ١٣٩١م مِنْ جانبِ عَامَّةِ الشَّعبِ، بسببِ مُمارستِهِمْ الاحتكاريَّةِ وانحيازِهِمْ لِلسُّلْطَةِ، ولكنْ تَمَّ إِحْتِواؤهم بفضلِ الرِّعَايَةِ المَلكيَّةِ لهم، ولم يَجُلْ بخَاطِرِهِمْ فكرةُ النَّفي آنذاك، ومَنْ هَاجَرَ في تلك الفترةِ كانتْ هِجْرَتُهُ طَوَاعيَةً، لذلك كانَ قرارُ طَرْدِهِمْ مِنْ شبهِ الجزيرةِ الإيبيرية ١٤٩٢م مُفَاجأً لهم وأصابَهُمْ بالشَّللِ، ولم يشفعْ لهم ما قدَّمُوه للبلاطِ مِنْ خِدْمَاتٍ ؛ فقد استجابَ الملكُ فرديناندو والملكةُ إزابيلا للضَّغطِ الشَّعبي المُتتابعِ، وللمُتعصِّبين مِنْ الكنيسةِ فطَرَدُوا اليهود مِنْ مُملكتيهما أراجون وقشتالة.

وما بين أحداثِ ١٣٩١م وصُدُورِ قرارِ الطَّردِ في ٣١ مارس ١٤٩٢م نُفْرِدُ هذه الدِّراسةِ، حيثُ تُناقشُ تاريخَ اليهود في المَنطقةِ خلالَ قَرْنٍ مِنْ الزَّمانِ؛ فرصدتْ علاقاتِهِمْ بالمُجتمعِ في مملكتِي قشتالة وأراجون، وقدرِ الحِمَايَةِ الملكيَّةِ لهم، ومَدَي استجاباتِهِمْ لِلْمُحَاوَلاتِ المُتكرِّرةِ للتَّنصيرِ تحتَ ضغطِ المُتعصِّبين مِنْ رِجَالِ الكنيسةِ والرُّهبانِ ؟ وكذلك مَدَي خُضُوعِهِمْ للقَوَانيْنِ والتَّشريعاتِ التِي أصدرتْهَا الحُكُومَاتُ المُختلفةُ ؟ ولا تغفلُ الدِّراسةُ الإبانةَ عَنْ علاقاتِهِمْ بمحاكمِ التَّفتيشِ وبالكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ؛ لنصلَ إلى قرارِ الطَّردِ وأسبابِهِ ونتائِجهِ التِي أفضتْ إلى اعتناقِ الكثيرِ منهم المسيحيَّةَ؛ وخُرُوجِ ما بقي منهم على دينه إلى المَجْهُولِ، وأَلْحقتُ الدِّراسةَ بترجمةٍ لِلْجُزْءِ الخاصِّ باليهود في مجموعةِ قوانينِ الأجزاءِ السَّبعةِ، وكذلك قرارِ الطَّردِ من مملكتيّ أراجون وقشتالة، ولأنَّ الدِّراساتِ العربيَّةَ لم تُوَفِّ هذا الموضوعَ حَقَّهَ مِنْ الدِّراسةِ، وَخَلَتْ المَكتبةُ العربيَّةُ مِنْ دِرَاسةٍ مُتكاملةٍ عن هذا الموضُوعِ ارتكنتْ على مَرَاجعِ

تلكَ الفترةِ باللُّغاتِ الأجنبيَّةِ والمُترجَمِ مِنْها إلى اللُّغةِ العربيَّةِ، وبذلتْ الجُهدَ قَدْرَ الاستطاعةِ لِمُناقشةِ آراءِ أصحابِهَا

مُستندين إلى الأسلوب التَّحليلي والأسلوب المُقارنِ، بِرُؤيةِ المُؤرِّخِ المُحايدِ والنَّاقدِ المُتحرِّرِ وباللهِ التوفيق.

تَمْهِيْدٌ :

إِسْتَوْطَنْ اليهود إسبانيا فترةً تَزيدُ كثيراً على سنواتِ استيطَانِهِمْ فلسطينَ، ومعلومٌ أنَّه لا يُمكنُ تحديدُ موعدٍ مُحدَّدٍ لِسُكنَى اليهود في شبهِ الجزيرةِ الإيبيرية، وإنْ وُجدَتْ إشَارَاتٌ إلى وُصُولِ اليهود واليهوديَّةِ إلى المَنْطقةِ مع رحلاتِ الفينيقيين، وزادتْ أعدادُهُمْ بِمَنْ هَاجَرَ إليهم عَقِبَ هَدْمِ الهيكلِ لأوَّلِ مَرَّةٍ ٥٨٦ق.م، عَلاوةً على الذين أُبْعِدُوا مِنْ شمالي أفريقيا على إِثْرِ ثورةِ اليهود في برقةَ ١١٥م. شَكَّلَ اليهود جالياتٍ حَظِيَتْ باحترامِ المَسيحيين، الَّذين تَبَرَّكُوا بهم فِي زِرَاعَاتِهِمْ ومَحَاصِيْلِهِمْ[(١)]، وَإِنْ كانتْ هذه إشاراتٌ لا تَرْقَى إلى مَصَافِّ الحَقيقةِ ؛ فإنَّه مِنْ الثَّابتِ وُجُودُهُمْ فِي القَرْنِ الرَّابعِ المِيْلادي (٣٠٠م)، حيثُ استقرُّوا في المُدُنِ، خاصَّةً في عواصِمِ مُقَاطعاتِ شِبْهِ الجزيرةِ الإيبيرية، كَدَأْبِهِمْ دائماً لِيكُونُوا فِي دائرةِ صُنْعِ القَرَارِ، وَوِفْقاً للرِّوايةِ اليهوديَّةِ فَإِنَّ أقدمَ تواجُدٍ لليهودِ فِي شبهِ الجزيرةِ كان في مدينةِ طُليطلةَ Toledo عاصمةِ القُوْطِ الغَرْبيين (القُوْطِ الحُكَمَاءِ Visigoths)، وتَزعُمُ الرُّوايةُ أَنَّ اسمَ العَاصِمَةِ مُستمدٌّ مِنْ الكلمةِ العِبْريَّةِ 'Toledoth' التي تَعْني الأجيالَ أو مَدينةَ الأَجْيَالِ[(٢)].

([1]) Goulven,J., Notes sur les origins Anciennes des Israelites du Maroc, (Hisperis) vol.,1,1921,p.331

([2]) Katz, Bernard, A BRIEF JOURNEY THROUGH SPANISH JEWISH HISTORY, JEWISH AFFAIRS, CHANUKAH 2009,p38 استرد المسيحيون طليطلة من المسلمين سنة ١٠٨٥م واتخذوها عاصمة حتى ١٥٦١م عندما استبدلت بمدريد التي تقع على مسافة ستين كيلو متر شمال طليطلة

تَسَامَحَتْ الكنيسةُ مع اليهود أوّلَ الأمْرِ، وكانَ المَحَكُّ الأَوَّلُ لاختبارِ العَلاقةِ بين المِسيحيين واليهود هناك على أيدي القُوْطِ الّذين حَكَمُوا شِبْهَ الجزيرةِ واعتنقُوا المسيحيَّةَ الكاثوليكيَّةَ؛ إذْ فَرَضُوا قيوداً على اليهود أملاً في تحويلِهِمْ إلى المِسيحيَّةِ(٣)، ويرَى أحدُ الدَّارسين (٤) أنَّ الفَتْحَ العربيَّ لِشِبْهِ الجزيرةِ سنة ٩٣هـ / ٧١١م مَنَعَ نِهَايَةً كانتْ مُحْتملَةً للوُجُودِ اليهوديِّ فيها، أو على الأَقَلِّ أَجَّلَها حتَّى سنة ١٤٩٢م، فقد فتحَ العربُ المُسلمون شِبْهَ الجَزيرةِ بمُساعَدَةِ اليهود المُضْطهدين بها، كما عَبَرَ مَعَ المسلمين عددٌ منهم كانوا قَدْ فرُّوا بأنْفُسِهِمْ ناجين مِن الاضطهادِ إلى المَغْرب . اعتمدَ المُسلِمُون على اليهود في التَّعرُّفِ على البلادِ ؛ وتركُوا أعْداداً منهم في المُدُنِ لِمُسَاعَدَةِ الحُكَّامِ المسلمين (٥)، ورغمَ ذلك حَاوَلَ أحدُ اليهود مِنْ الّذين احتَازُوا المَضِيْقَ بصُحبةِ المُسلمين إشْعَالَ ثورةٍ ضدَّ المسلمين في بَلَنْسِيَةَ Valencia بعدَ أنْ أتَمَّ المُسلمون فَتْحَهَا مُباشرةً، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ تَكُنْ مُساعدتُهُمْ للمُسلِمين إلا لِلْمَنفعةِ السِّياسيَّةِ فقطْ (٦)، وظلَّ وَضْعُ اليهود في إسبانيا الإسلاميَّةِ أفضلَ كثيراً منه في أيِّ بلدٍ أُوربيٍّ آخر؛ مِنْ عِدَّةِ وُجُوْهٍ على عِدَّةِ أَصْعِدَةٍ حتَّى نهايةِ القَرْنِ ١١م(٧)، وخلالَ النِّصْفِ الثَّاني لِلْقَرْنِ ١٢م زَادَتْ هِجْرَةُ اليهود مِنْ الجَانبِ الإسْلاميِّ إلى قَشتالةَ المَسيحيَّةِ بسبب ضَغْطِ المُوحِّدين، ولم يُضيِّعُوا وقتاً ؛ فتَعلَّمُوا اللُّغةَ القَشْتاليَةَ وأَجَادُوهَا مِثْلَمَا تعلَّمُوا العربيَّةَ في قُرْطُبَةَ؛ مِمَّا مَهَّدَ لَهُمْ الطَّريقَ إلى كواليسِ الحُكْمِ.(٨)

تَغيَّرتْ الخريطةُ السِّياسيَّةُ فِي شِبْهِ الجزيرةِ الإيبيرية لِصَالِحِ القُوى المَسيحيَّةِ إثْرَ مَعْرَكَةِ العقَابِ سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٢م التي خَاضَتْهَا الممالِكُ المَسيحيَّةُ ضِدَّ المُوحِّدين، وانتهتْ لصالِحِ القُوى

([3]) Roth, Norman, Jews, Visigoths and Muslims in medieval Spain , Leiden1994,p7

([4]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492, Historian; Fall92 , vol . 55 Issue 1, p1

([5]) المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م ١ص٢٦٣، ٢٦٩ ؛ عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠١م، ص٥٨

([6]) Slouschz, Nahum , Travels in North Africa , Philadelphia 1927, pp. 364,365

([7]) نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة : قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ١٩٨٦م، ص ٤٩٤

([8]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 149,p2

المسيحيَّةِ، وتَهَاوَتْ أراضِي المُسلمين في الأندلُسِ تَحْتَ إغَارَتِهِمْ حتَّى سقطتْ في أيديهِمْ سنة ٨٩٨هـ-١٤٩٢م ؛ ففي الشَّمالِ الشَّرقيِّ تُرَابطُ مملكةُ أراجون التي امتلكتْ الجُزْءَ الأكبرَ مِنْ شاطئ المتوسِّطِ الذي يُمثِّلُ حُدُوْدَهَا الشَّرقيَّةَ، وفي الغَرْبِ لامَسَتْ حُدُوْدَهَا مملكةَ نافارا في الشَّمالِ، أمَّا حُدُوْدُهَا الغربيَّةُ فاشتركتْ مَعَ مملكةِ قشتالة التي اتَّحدتْ مع مملكةِ لِيُون لِتُكَوِّنَ مَنْطِقَةَ الْوَسَطِ مِنْ شبهِ الجزيرةِ، وتقعُ في غربِ الجزيرةِ مملكةُ البُرْتُغَالِ، وفي الجَنُوبِ مملكةُ غرناطة الإسلاميَّةِ.

اعتمدَ اليهود اعتماداً كبيراً على الاحتفاظِ بروَابطَ قويَّةٍ مع الحكُومَةِ المَركزيَّةِ؛ سواءً كانَ المَلِكُ أو النُّبلاءُ أو القَسَاوِسَةُ أو السَّادةُ المحلِّيون[٩]، وخدَمُوا على الجانبين الإسلاميِّ والمسيحيِّ، مع بدايةِ حركةِ الاستردادِ المسيحيَّةِ، ليسَ فَقَطْ في الإدارةِ والدُّبلوماسيَّةِ، وإنَّما كانَ لهم عددٌ من الجُنْدِ في الجانبين؛ فقد لَعِبَ اليهود نَفْسَ الدَّورِ الذي لعبُوهُ مع العَرَبِ المُسلمين مِن قَبْلِ عندما فتحُوا شِبْهَ الجزيرةِ الإيبيرية[١٠]،فعلى سبيلِ المِثَالِ تُشيرُ بعضُ النُّصُوصِ القَشتاليةِ التي تعودُ إلى عصرِ المَلِكِ القَشْتالي ألفونْسُو الثَّامنِ (١١٥٨-١٢١٤م) إلى اشتراكِ يهوديٍّ في التَّخطيطِ لمعركةِ الأركِ (Alarcos)أمامَ المُوحِّدين في ٩شعبان(٥٩١هـ) ١٨يوليو(١١٩٥م)[١١]، وعندمَا دخَلَ المَلِكُ فردينانْدُو الثَالثُ (١٢١٧-١٢٥٢م) ملكُ قَشتالة مدينة إشبيليَّةَ في نوفمبر ١٢٤٨م استقبلَهُ يهودُ المدينةِ ورحَّبُوا به ترحيباً حارّاً وسلَّمُوهُ مفتاحَ المدينةِ [١٢]، وكانَ هديَّةَ فردينانْدُو لَهُمْ هو عددٌ من مساجِدِ المُسلمين لِيُحوِّلَهَا إلى معابدَ [١٣].

---

(9)Ray, Jonathan Stewart , The Medieval Sephardic Frontier: the Jewish Experience in Reconquest Iberia, Doctor of Philosophy in Jewish History, the Jewish Theological seminary of America Graduate school ,2002,p122

(10) المقري، نفح الطيب، ١ص٢٦٣، ٢٦٩ ؛ عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، ص٥٨

(11) Gutwirth, Eleazar ,The Jews in 15th century Castilian chronicles The Jewish Quarterly Review, LXXIV,No.,4 (April,1984),p.386

(12) – اختلف المؤرخون حول ما إذا كان مفتاح المدينة أعطي لفردياندو أو لأبنه ألفونسو أم أن هناك مفتاحين واحد لفردياندو والآخر لألفونسو

(13) www.jewishencyclopedia.com/articles/13457-seville

وفي ١٦ سبتمبر ١٤١٠ غزا الأميرُ فرديناندو ابن خُوان (١٣٧٩-١٣٩٠م) ملكُ قَشتالة مدينةَ أنتقيرة Antequera التي تقع شمال مالقا التابعة للملكة غرناطة الإسلامية [١٤]، وَحَسْبَ المُؤرِّخِ القشتالي المُعاصِرِ للأحداثِ ألفارو جراسيا سانت ماريا ؛ فإنَّ أحدَ السُّكَانِ اليهود في المدينةِ الإسلاميَّةِ أَرْشَدَ فرديناندو عن إمداداتِ المياهِ فيها [١٥]، وهو الأمرُ الذي يُعيدُ للأذْهَانِ مَوْقِفَ اليهود فِي مدينةِ بغدادَ عندمَا تعرَّضَتْ لإعصارِ المَغُوْلِ سنة ١٢٥٨م، وكانتْ مُكافَأَتُهم مِنْ الجانبِ المسيحيِّ على قدرِ المُقَامَرَةِ، حيثُ حَصَلُوا على إقطاعيَّاتٍ كبيرةٍ مِنْ الأراضي في إشبيلية seville وخيريس jerez وفي أماكنَ أُخري، وخلالَ هذه الفترةِ هاجَرَ الكثيرُ منهُمْ مِنْ المَنَاطِقِ التي يُسيطرُ عليها المُوحِّدون إلى الأراضي الخاضِعَةِ للممالِكِ المسيحيَّةِ، وانصهرُوا في المُجتمعِ ليس فقطْ كتجارٍ، ولكنْ أيضاً كمُزارعينَ، وتقلَّدُوا المَناصِبَ الهامَّةَ في الممالِكِ المسيحيَّةِ[١٦].

استقرَّ في مملكةِ قشتالةَ أكبرُ المَجموعاتِ اليهوديَّةِ، وكانَ عصرُهُمْ الذَّهبيُّ في عهدِ ألفونسو العاشر (الحكيم)(١٢٥٢-١٢٨٤م) وظلَّ كذلك في عهدِ خلفه ألفونسو الحادي عشر (١٣١٢-١٣٥٠م) الذي بنى لهم بِيَعاً وزكَّاهُمْ عند البَابَا بأنَّهُمْ يضعُون أرْوَاحَهُمْ على أكُفِّهِمْ دفاعاً عن إسبانيا المسيحيَّةِ[١٧]. استقرَّتْ الغالبيَّةُ منهم في المدنِ الكُبرى خلالَ القرنِ ال١٤م ؛ خاصَّةً العاصمةَ طليطلة تَلِيْهَا إشبيلية seville وخيريس Jerez ومرسية Murcia، وانتشرتْ جماعَاتٌ صغيرةٌ منهم في أنحَاءِ المملكةِ، ويُقدِّرُ بعضُ المؤرخين عددَهُمْ بحوالي ١٧٥٠٠٠نسمة بنسبة ٣-٥% من عددِ سُكَّانِ المملكةِ في تلك الفترةِ، وكان لهم ممثِّلون في البرلمانِ القشتالي

([14]) – الموسوعة الحرة ويكيبديا، وفردیناندو أصبح يدعي فردیناندو أنتقيرة وتولي العرش في مملكة أراجون بعد وفاة الملك مارتن سنة ١٤١٠م دون وريث، حيث اختاره البرلمان الأراجوني سنة ١٤١٢م باعتباره ولد الملكة إلىنور ابنة بيدور الرابع ملك أراجون وأخت الملك مارتن، راجع محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص١٧٨

([15]) Gutwirth, ,The Jews in 15th century Castilian chronicles , p.380

([16]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 149,p2

([17]) أميركو كاسترو، إسبانيا في تاريخها، المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة على إبراهيم المنوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٦٣٢.

(الكورتيس) (١٨)، أمَّا في مملكةِ أراجون فقد رعى خيمي الثاني (١٢٩١-١٣٢٧م) اليهود، وعندما طَرَدَ ملكُ فرنسا فيليبُ الرَّابع كُلَّ اليهود من بلادِهِ سَمَحَ لهم خيمي بالاستيطانِ في مملكتِهِ(١٩)، وخلالَ القرْنِ ١٤م قُدِّرَتْ أعدادُهُمْ بحوالي بـــ ٦٠٠٠٠ نسمة؛ أي: بنسبة ٦-٧% من عددِ السُّكانِ، كانوا مُوزَّعين على أنحاءِ المملكةِ، و لم يكنْ لهم تجَمُّعاتٌ كبيرةٌ سِوَى في مدينةِ برشلونة (٢٠)، وزادتْ نسبةُ اليهود في مملكةِ البُرتغالِ عن إخوانِهِمْ في قشتالة وأراجون(٢١).

اليهود فِي المُجتمعِ الأسبانيِّ:

جلبَ اليهود معهم إلى المُدُنِ الإسبانية كُلَّ المَهَارَاتِ التي تُمَكِّنُهُمْ من الحياةِ داخلَ المُجتمعِ، وتجعلُ منهم عُنصراً مُؤثِّراً في مفاصِلِ الحياةِ الإسبانية، لذلك أسهمتْ مُشاركةُ اليهود في ازدهارِ إسبانيا ؛ خاصَّةً في مجالِ الحِرَفِ ؛ فالعملُ اليدويُّ عادَةٌ قديمةٌ عندَ اليهود مُتَّخذةً من الدِّينِ أساساً؛ لذلك غَلَبُوا على الوظائِفِ المُتواضِعَةِ التي يأنفُ منها المُجتمعُ الأسبانيُّ(٢٢)، إذْ مَالَ المسيحيُونَ الأسبانُ إلى الحياةِ المُطْلَقَةِ

بعيداً عن قيدِ العملِ اليدويِّ الرُّوتينيِّ، و لم يَشْغَلُوا أنْفُسَهُمْ كثيراً بإعمالِ الذِّهنِ في المسائِلِ الفكريَّةِ(٢٣).

---

(18) Roth, , the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p10

(19)Utterback, Kristine T. ," Conversi" Revert: Voluntary and forced return to Judaism in early Fourteenth ,Church History, vol.64,no 1 (Mar.,1995) p.16

(20)Wolff, Philippe, the 1391 pogrom in Spain. Social crisis or not? in Past and present no.50,Feb.,1971,p6

(21) كاسترو، إسبانيا في تاريخها، ص٦٣٣

(22) Haliczer, Stephen H. , The Castilian urban patriciate and the Jewish Expulsions of 1480-92, The American Historical Review vol.,78,N.,1,Feb.1973,p.39.

(23) - كاسترو، المرجع السابق، ص٥٤٢

تكشفُ الوثائقُ عن كثيرٍ من الحِرَفِ التي امْتَهَنَها اليهود ؛ فعملَ اليهوديُّ صانعَ نعَالٍ (إذْ شَكَّلَ صانعُو الأحذيةِ اليهود في سرقسطة طائفةً) وصانعَ بَرَادِعٍ وحَدَّادَ وصَانعَ للقُبَّعاتِ ونَجَّارَ وجواهرجيَّ وصبَّاغَ وفِي الصَّيرفَةِ(٢٤)، وعملُوا في دِبَاغَةِ الجُلُودِ، وفي الخِيَاطَةِ، فقدْ كانَ منهم في مرسية سنة ١٤٠٧م ثلاثين خيَّاطًا وسبعة نسَّاجين وثلاثةَ صبَّاغين(٢٥)، ومن خلالِ الوثائقِ يكشفُ كاسترو(٢٦) عن مِهَنٍ أُخْري عَمِلَ بها اليهود؛ مِثْلَ: السَّمسرَةِ وصناعةِ الفِضَّةِ والعُمْلاتِ الذَّهبيَّةِ والأزرارِ وتغليفِ الكُتُبِ واللَّمبَّاتِ وترويضِ الأُسُودِ، ويرجعُ الفضلُ في ازدهارِ مدينةٍ مثلِ سَرَقُسْطَةَ خلالِ القرنين الثالث عشر والرابع عشر لَمَّا كان يقومُ به اليهود من حِرَفٍ وأعمالٍ(٢٧) .

اعتلى اليهودُ كذلك المِهَنَ الرَّفيعةَ في المُجتمعِ الأسباني، ومثَّلَ أصحابُ هذه المِهَنِ النُّخبةَ المُثقَّفةَ في المُجتمعِ اليهوديِّ(٢٨)، فكانَ منهم الأطبَّاءُ(٢٩)، ومملكةُ أراجون وَحْدَهَا كانَ بها سبعةٌ وسبعون طبيباً خلالَ القرنِ الرَّابعِ عشَرَ الميلاديِّ (٣٠)، وتخصَّصَ بعضُهُمْ في عِلاجِ الدَّماملِ(٣١)، ولم يقتصرْ دورُ الأطبَّاءِ اليهود في تلك الفترةِ على خدمةِ المُلُوكِ وأفرادِ الطَّبقةِ العليا من المُجتمعِ، لكنَّهم باشرُوا عِلاجَ العامَّةِ في المُدُنِ (٣٢)، واشتغلَ بعضُهم بِالبَيْطَرَةِ(٣٣)، وعملُوا

([24]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٨٥

([25]) Wolff, Op.cit,p6

([26]) نفسه، ص٥٨٦-٥٨٧ بهوامشهما

([27]) نفسه، ص ٦٥١

([28]) Wolff, Op.cit,p6

([29]) Nirenberg, David, Conversion, sex, and segregation : Jews and Christians in medieval-Spain , in American historical Review October2002,p1084

([30]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٦٧

([31]) نفسه، ص٥٨٥

([32]) Roth, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.3

([33]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٨٦-٥٨٧ بهوامشهما

مُحامِين وكَتَبَةَ ومُوظفي خِدمةٍ مدنيَّةٍ، وخدمُوا أيضاً كَكَتَبَةٍ لعددٍ من العائِلاتِ المَلكيَّةِ(٣٤)، كما أنَّ المُستندَاتِ الحكوميَّةَ تُشيرُ إلى الدَّورِ المُهمِّ الذي كان يلعبُهُ اليهود في الإدارةِ الحُكُومِيَّةِ، وكذلك دَوْرُهُمْ الرَّئيسُ في جمعِ الضَّرائِبِ المَفْرُوضَةِ على الأرضِ الزِّراعيَّةِ(٣٥)، وما لَبِثَ أنْ احتكرَ اليهود الأعمالَ المَاليةَ وجَمْعَ الضَّرائبِ المَدنيَّةِ والإقراضَ بفائدةٍ، فضلاً عن امتلاكِهِمْ أغلبَ مَصَانِعِ النَّسيجِ في طُليطلةَ وإشبيليَّةَ وقُرطبةَ، لذلك نجدُ اليهوديَّ مُتغلغلاً داخلَ مَجَالاتِ العملِ المُختلفةِ (٣٦).

تَبَوَّأَ اليهود أيضاً مَنَاصِبَ مُهمَّةً داخلَ البلاطِ الملكيِّ بقشتالةَ وأراجون(٣٧)، واعتمدَ عليهم البلاطُ ووثقُوا فيهم ارتياباً من الحُكَّامِ في أبناءِ وَطَنِهِمْ(٣٨)؛ وتحْمِلَ بعضُ النُّصُوصِ القَشتاليةِ إشاراتٍ إلى أنَّ يهوديًّا كان يعملُ مُستشاراً للملكِ ألفونسو الثامن (١١٥٨-١٢١٤م)، وكان سبباً في هزيمةِ الجيشِ القشتالي أمامَ المُوحِّدين في معركةِ الأركِ سنة ١١٩٥م عندما أشارَ بتخفيضِ عددِ الفُرْسَانِ في المعركةِ، ممَّا جعلَ المصادرَ التَّاريخيَّةَ والأدبيَّةَ القَشتاليةَ تنعتُ اليهود بمُستشاري الشَّرِّ (٣٩)، وفي سنة ١٢٧٥م رافقَ الطبيبُ اليهوديُّ تَادْرُسُ الملكةَ فُولانتي زَوجةَ الملكِ ألفونسو العاشر في زيارتِهَا مع زوجِهَا للبابا جوريجري العاشر (٤٠)، وفي نهاية القرن ١٣ومع بداية القرن ١٤م كان موسي بن ناحوم وتلميذه سلمون بن ادرت يعملان في بلاطِ اراجون، وشغلَ مير هليفي أبو عافية وأشير بن يحيل وابنه يهودا وظائفَ داخلَ بلاطِ

([34]) Ray , Op.cit,pp101,104,105,107

([35]) Roth, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.3

([36]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٨٥

([37])Wolff, Op.cit,p6

([38]) محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، وتاريخ العرب المتنصرين، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة١٩٦٦م، ص١٧٣

([39]) – تستنكر بعض النصوص الأدبية ترك الملوك شئونهم كاملة في أيدي اليهود، أو في أيدي غيرهم من الغرباء على الدين، وتؤكد هذه النصوص على أن اليهود حريصون جدا على إلحاق الأذى بالحكام، راجع، Gutwirth, ,Op.cit ,p.386

([40]) www.jewishvirtuallibrary.org

قَشتالةَ(٤١)، واستغلَّ اليهود شغَفَ الحُكَّامِ بالتَّنجيمِ فارتادُوا هذا المَجَالَ، حيثُ كانَ في كُلِّ بلاطٍ مُنَجِّمٌ يهوديٌّ في الغالبِ الأعمِّ ؛ ففي أثناءِ السِّفرةِ التي قامَ بها ابن خلدون لمملكة قشتالة سنة ١٣٦٥م التقي مع المُنَجِّمِ والطَّبيبِ إبراهيم بن زرور في بلاطِ الملكِ بيدرو (١٣٥٠-١٣٦٩م) (٤٢)، كما استخدمَ الملكُ بيدرو صمويل ليفي مُستشاراً له، حيثُ حَاوَلَ الأخيرُ التَّقليلَ مِنْ قَدْرِ النُّبلاءِ في بلاطِ الملكِ (٤٣)، كما كان زعيمُ اليهود في سرقسطة حسداي كريسكيس Hasdai cresques مُنَجِّماً في البلاطِ الأراجوني وعاصَرَ أحداثَ سنةِ ١٣٩١م(٤٤).

أدار يوسف بيشون yussaf pichon الأعمالَ الماليةَ للملكِ هِنَرِي الثاني (أنريكي) (١٣٦٩-١٣٧٩م) ملك قشتالة بين سنتي ١٣٦٩-١٣٧٥م، كما اعتلى بعضُهُمْ أعلى المناصِبِ ؛ مثلُ الدكتور يوسف بن وكار yussof ibn wakar الطبيبِ الخاصِّ بملكِ قَشتالةَ صاحِبِ التَّكليفاتِ الدُّبلوماسيَّةِ بجانبِ عَمَلِهِ(٤٥)، وكذلك الرَّابي دون إبراهام سينور Rabbi Abraham Seneor وإسحق ابرافانيل Don Isaac Abravanel والرابي ميار Meir ؛ الذين احتلُّوا منزلةً مُتساويةً في البلاطِ الملكيِّ القشتالي(٤٦)، واستمرَّ كِبَارُ المُوظَّفين اليهود في شَغْلِ المَنَاصِبِ العليا في قشتالة حتَّى ١٤٩٢م (٤٧)، وكانتْ علاقةُ يهودُ البلاطِ بإخوانِهِمْ مِثْلَ علاقةِ السَّادَةِ الإقطاعيين بعامَّةِ الشَّعبِ، ممَّا أثارَ كثيراً مِنْ الأحقادِ والمُنازَعَاتِ والانقساماتِ الدَّاخليَّةِ

([41]) Ray , op. cit,p.175

([42]) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٧٩م، ٧ص٤١٢

Gutwirth, op. cit,p.386- ([43])

([44]) Ray , op. cit,p.93

([45]) دولورس برامون، المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ترجمة : رانيا محمد محمد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القـــاهرة ٢٠٠٤ م، ص٤١

([46]) Marx, Alexander, The Expulsion the Jews from Spain, Jewish quarterly Review, vol., 20, N2, Jan 1908, p.254

([47]) دولورس برامون، المرجع السابق، ص٤١

في الأحياءِ اليهوديَّةِ، خاصَّةً في قَشتالةَ التي كانتْ تضمُّ الكثيرَ مِنْ اليهود المُتواضعين الفُقراءِ[٤٨].

اعتمدَ البلاطُ الأراجوني على اليهود في إدارةِ المَطَاحِنِ المَلكيَّةِ، ومعاصِرِ الزَّيتُونِ فِي مدينةِ بلنسيَةَ، وفي مَايُوركا mallorca[٤٩]، وأعطى البلاطُ لِتُجَّارِ النَّبيذِ اليهود في أراجون الحقَّ في بيعِ كُلِّ ما يُنتجُونَ مِنْ كُرُومِهِمْ من نبيذٍ مَهْمَا بلغتْ كِمِّيَاتُهُ في أسواقِ بلنسيَةَ[٥٠] . اقتفتْ الكنيسةُ أثرَ البلاطِ في الاعتمادِ على المُوظفين اليهود، حيثُ استخدَمَهُم قادَةُ الكنيسةِ، فعملَ الرَّابي حاييم ليفي Haym le levi سنة ١٣٨٩م طبيباً لرئيسِ أساقفةِ طُليطلةَ بدرو تينوريو (١٣٧٦-١٣٩٩م) [٥١]، وَأَوْكَلَ إليهم دِيْرُ سانتِ ماريَّا santa maria la real إدارةَ مَعَاصِرِ الزَّيتونِ الخاصَّةِ به[٥٢]، كما عملَ اليهود في جمعِ الضَّرائبِ الكَنَسيَّةِ (أعشارِ الكنيسةِ)[٥٣].

تُشيرُ سجلاتُ الأراضي في أراجون وقشتالة إلى الاستقرارِ اليهوديِّ في ضواحي المُدُنِ مُنْذُ القَرْنِ ١٣م؛ أي في اللَّحظاتِ الأُولَى من تَحَوُّلِ السُّلطةِ مِنْ المسلمين للمسيحيين؛ إذْ امتلكوا بعضاً من قِطَعِ الأراضي الزِّراعيَّةِ التي حَازُوهَا عن طريقِ المِنَحِ المَلكيَّةِ، فَضْلاً عن الحدائقِ والمَطَاحِنِ والأَسْوَاقِ[٥٤]، وفي سنة ١٣٤٨م سَمَحَ ملكُ قشتالة الفونسو الحادي عشر (١٣١٢-١٣٥٠م) لليهودِ بامتلاكِ الأرضِ "نحنُ نأمرُ بامتلاكِ اليهود وشرائهم الأرضَ

---

(48) مرثيديس غارثيا، شتات الأندلس : ترجمة محمد فكري عبد السميع، المشروع القــومي للترجمــة، القــاهرة ٢٠٠٦م، ص٥٨، ٦١

(49) Ray , Op.cit,p.93

(50) فرض اليهود ضرائب على النبيذ الذي يباع للمسيحيين للصرف على تعليم التوراة والتلمود، راجــع، Finkelstein, Louis, Jewish self-Government in the middle ages, New York 1929,pp.349; Ray , op. cit , p.93

(51) Wolff, Op. cit, p6

(52)Ray , op. cit ,p.93

(53) Roth, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.14

(54)Ray , , op. cit,pp.4,5

لأنفسهم ولورثتهم في كُلِّ المُدُنِ والبلادِ في مملكتنا"(٥٥)، وهذا ما لم يكنْ مسموحاً به في مناطقَ أُخْرَى في أُوروبا مثلُ بريطانيا(٥٦).

أَقْرَضَ اليهود المُلوكَ وَرِجَالَ البَلاطِ والنُّبلاءَ والسَّادةَ في مملكتي قشتالة وأراجون بالرِّبا، وكذلك العامَّةُ مِنْ سُكَّانِ المملكتين، حتَّى باتَ المُلوكُ وكِبَارُ النُّبلاءِ مِنْ أَصْحابِ الأراضي مِنْ أكبرِ عُملاءِ اليهود، وهُمْ أعظمُ مديونيَّةً، وعندما يعجزُ المُلوكُ عن تسديدِ دِيُونِهِمْ يمنحُوا المُرابين اليهود حقوقاً في الإيراداتِ الملكيَّةِ، وهناك العديدُ من سِجلاَّتِ الهدايا الملكيَّةِ رَصَدَتْ هدايا للدَّائنين اليهود بدلاً مِنْ القُرُوضِ المُستحقَّةِ لهم ؛ ففي بلنسية آلتْ للمُقرضِين اليهود بيوتٌ وأراضٍ مُتنوِّعةٌ، وكذلك مَلاحاتٌ وفاءً للقُرُوضِ الملكيَّةِ(٥٧)، وكان المُرابُون اليهود يفرضُون فوائدَ عاليةً تصلُ إلى ٣٣% (٥٨)، وقد تزيدُ أحياناً إلى ٥٠% من أصلِ المبلغِ(٥٩)، وفي مرسيةَ اكتسبَ المُقرضُون من اليهود أهمِّيَّةً كبيرةً في اقتصادِ المدينةِ، لذلك أمرَ الملكُ الأراجوني خامي ٢ Jaime 11 (١٢٩١-١٣٢٧م) أولاده بتوفيرِ الحمايةِ لليهودِ ومنحهم نفسَ الحُقوقِ التي يتمتَّعُ بها جيرانُهُمْ المسيحيون في مدينتهم، عِلاوَةً على مُسَانَدَتِهِمْ في تحصيلِ قُرُوضِهِمْ المُستَحِقَّةِ (٦٠).

جعلَ المسيحيون أراضيَهُمْ الزِّراعيَّةَ ضماناً لِسَدَادِ القُرُوضِ؛ مِمَّا أَسْهَمَ أيضاً في أيلولةِ الكثيرِ مِنْ الأراضي الزِّراعيَّةِ لليهودِ، أدَّى ذلك الأمرُ إلى صِدَامٍ بينَ البلاطِ والكنيسةِ حَوْلَ أعشارِ الكنيسةِ (diezmo) التي تُجبى عَنْ الأرضِ الزِّراعيَّةِ المَملوكةِ للمسيحيين، فمَا أَنْ آلَتْ مِلْكِيَّتُهَا

---

(55)Ibid, p.105

(56) زينب عبد المجيد، اليهود في انجلترا العصور الوسطي ١٠٦٦-١٢٩٠م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٦م، ص٣٩

(57)Ray , op. cit ,p90

(58) - كاسترو، المرجع السابق، ص٥٤٢

(59) كانتور، المرجع السابق، ص٤٩٠

(60)Ray, op. cit ,p.86

لليهودِ، أصبحُوا غيرَ مُطالَبين بدفعِ هذه الضَّريبةِ، لذلك زَاد قلقُ البَابواتِ والكنيسةِ من خسارةِ الإيرادَاتِ التي كانتْ تُفْرَضُ على هذه الأرضِ سابقاً، وخرجتْ الشَّكاوَى مِنْ البّابواتِ والقَسَاوِسَةِ لِمَلِكِ قَشتالةَ وملكِ أراجون تطلبُ أنْ يدفعَ اليهود ضريبةَ الأعشارِ للكَنَائِسِ المَحَلِّيَّةِ بالقُوَّةِ على أيَّةِ أرضٍ حَصَلُوا عليها من المسيحيين، لذلك أصبحتْ قضيةُ أعشارِ الكنيسةِ في بُؤَرِ التَّوتُّراتِ بينَ اليهود والتَّاجِ والكَنِيْسَةِ(٦١).

انحازَ البلاطُ إلى مَصْلَحَتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَتَرَ حَمَاسُهُ لإجبارِ اليهود على دفعِ ضريبةِ الأعشارِ الكنسيَّةِ؛ بسببِ الاعتمادِ على رأسِ المالِ اليهوديِّ كمَصْدَرٍ استثنائيٍّ لتمويلِ الحَمَلاتِ العَسْكَرِيَّةِ، والنَّفقاتِ الملكيَّةِ الأُخْرَى، لأنَّهُمْ خَشَوا أنْ تَقلَّلَ الضَّرائبُ التي تُدْفَعُ إلى الكنيسةِ من قُدْرَةِ اليهود على دفعِ أموالٍ إضافيَّةٍ للتَّاجِ، وظلَّتْ هذِهِ القَضيَّةُ بينَ شَدٍّ وجَذْبٍ فتصدُرُ التَّشريعاتُ بين الحينِ والآخرِ بضرورَةِ دفعِ اليهود الضَّريبةَ الكنسيَّةَ(٦٢) دُوْنَ تفعيلٍ لها؛ لذلك أصبحتْ القضيَّةُ مَثَارَ نزَاعٍ طويلٍ بينَ الكنيسةِ ومُلُوكِ شِبْهِ الجزيرةِ الأيبرية، فحاولتْ الكنيسةُ الحدَّ مِنْ امتلاكِ اليهود للأرضِ في أنحاءِ شِبْهِ الجزيرةِ الإيبيرية، مع إجبارِ المُلاكِ منهم على دفعِ العُشُورِ، وسوَّفَ البلاطُ حتَّى لا يخسر خدماتِ اليهود(٦٣).

مكَّنْ امتلاكُ اليهود للأموالِ أنْ لعِبُوا دوراً مُهمّاً في تنميةِ القُرَى والمُدُنِ اقتصادياً مِنْ خِلالِ خدماتهم الائتمانيةِ، رغم أنَّهُمْ كانوا صارمين وقُسَاةً في استردادِ ديونهِمْ، واعتبرَهُمْ البعضُ الخزانةَ الحقيقيَّةَ للدَّولةِ خلالَ أواخرِ القرنِ ١٣ وبدايةِ القرنِ ١٤م (٦٤)، وأمسى لفظُ مُرَابِي يُرَادِفُ يهودياً (٦٥) ، لذلك استمرَّتْ مُعُادَاةُ الشَّعْبُ لليهودِ في مملكةِ قشتالة وغيرِهَا مِنْ المَمَالِكِ الإسبانية. وأمسى الصِّراعُ حادًّا والمشاعرُ مُلتهبةً عند العامَّةِ كما لو كانتْ بفعلِ

([61])Ray, op. cit, p.71

([62]) مرثيديس غارثيا، المرجع السابق، ص٦٠

([63])Ray , op. cit ,p.71,72.

([64]) Ibid,pp.59,83,86,104,107

([65])Gutwirth, op. cit,p.389

غريزيٌّ، وانصبَّتْ مَطَالِبُ الشَّعبِ في أَنْ يُوْقِفَ اليهود - في المَقَامِ الأَوَّلِ- الرَّهْنَ على الدُّيونِ، وذهبَ آخرون إلى عَدَمِ شرعيَّةِ فوائِدِ القُرُوْضِ ويجبُ أَنْ تتوقَّفَ تماماً(٦٦)، وعندما أرادَ الكونت دي آرو في إشبيلية أَنْ يضعَ حدًّا للرِّبا اليهوديِّ الذي يستغلُ الفُقراءَ والسَّادَةَ معاً، أسَّسَ أوَّلَ بنكٍ للتَّسليفِ، فأصابته لعنةُ اليهود وَفَشَلَ المشروعُ، و تمَّ عزلُ الكونت(٦٧) .

نالَ اليهود حُظوةَ الحُكَّامِ وتمتَّعُوا بها حتَّى قُبيلَ خُرُوجِهِمْ من شِبْهِ الجزيرةِ بسبب حَاجَةِ المُلوكِ والنُّبلاءِ إلى أَمْوالِهِمْ ؛ فقدْ استدانَتْ المَلكةُ إزابيلا مَبالِغَ ماليةً كبيرةً مِنْ أَفْرَادٍ وهيئاتٍ يهوديَّةٍ لتمويلِ الحَرْبِ مَعَ المُسلمين فِي غرناطةَ، ولا أدلَّ على ذلك من أنَّ يهوديّاً واحداً أَقْرَضَهَا مَبْلَغاً يُقدَّرُ بمليونٍ ونصفِ دينارٍ مرابطي Maravedis لنفقاتِ الحَرْبِ وتمَّ سَدَادُهُ بعدَ انتهاءِ الحَرْبِ(٦٨)، وكثيراً ما صدَرَتْ قَوَانينُ وتشريعاتٌ كَنَسيَّةٌ تُصادِرُ حَقَّ اليهود فِي العَمَلِ بالرِّبَا والطِّبِّ وغيرِهِ من المُحَرَّماتِ ؛ فإنَّ الكنيسةَ والشَّعْبَ لَمْ يملكْ القُوَّةَ لتنفيذِ مَا تُشَرِّعُهُ الكنيسةُ مِنْ قوانينَ ؛ لِتَعَارُضِ ذلك مَعَ مَصَالِحِ المُلوكِ والنُّبلاءِ(٦٩).

عَمِلَ اليهود كذلك فِي جِبَايَةِ الضَّرائِبِ (الضَّرَائِبِ الشَّخصيَّةِ وضَرَائِبِ التِّجَارَةِ والأَرْضِ)، كَمَا كانُوا وُكَلاءَ المَلِكِ فِي جمعِ إيرادَاتِ المَنَاطِقِ الحَضَرِيَّةِ(٧٠)، وكانُوا يَشْتَرُونَ حَقَّ جَمْعِ الضَّرَائِبِ فِي المَنَاطِقِ المُختلفةِ فِي مَزَادَاتٍ شَعْبِيَّةٍ(٧١)، فَأَعْطَتْهُمْ الوَظيفَةَ قُوَّةً فِي مُواجَهَةِ المَسيحيينَ (٧٢) ؛ بَيْدَ أَنَّها جَلَبَتْ عليهم غَضَبَ السُّكَّانِ(٧٣)، وتُشِيرُ النُّصُوصُ إلى تَبَرُّمِ

([66])Wolff, op. cit ,p8

([67]) كاسترو، المرجع السابق، ص٦١٠

([68]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p14

([69]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٨٠

([70]) Brian Chalmers, The 'Jewish Question' in 15th and 16th Century Spain Historian Sustains Spanish Inquisition Myths, in The Journal of Historical Review, January-February 1996 (Vol. 16, No. 1), pp.2-22

([71])Ray , op. cit,p105

([72]) Ibid,p.138

المَسيحيين مِنْ عَمَلِ اليهود بجمعِ الضَّرائِب ؛ فَقَدْ وُجَّهَ نُوَّابُ البَرْلَمَانِ القَشتالي (الكُورتيس) للمَلِكِ هنري الثاني سنة ١٣٦٧م احتجاجاً بشَأْنِ ذلك فكانَ رَدُّ المَلِكِ " لَقَدْ أَجَّرْنَا ذلك لليهودِ (مَنَاطِقَ الجِبَايةِ) لأنَّنا لَمْ نَجدْ أحداً ... فإذَا مَا أرادَ أحَدُ المَسيحيين، فَإنَّ العائدَ سَوْفَ يكونُ أقلَّ بكثيرٍ مِمَّا لَوْ أجَّرنَا لليهودِ "(٧٤)، وفي سنة ١٣٢٨م ألفونسو الثالثُ (١٣٢٧-١٣٣٦م) ملكُ أراجون يأمرُ قُضَاةُ الاقطاعيَّاتِ التَّابعين لَهُ بأنْ يتصرَّفُوا مع اليهود بحكمة " اليهود هُمْ خَدَمُ المُلوكِ وجُبَاةُ الضَّرائب لدَيْهِمْ، وإذَا مَا تَرَكَ اليهود الأرضَ وَصُوْدِرَتْ أمْوَالُهُمْ فَيُؤَدِّي ذلك إلى الكثيرِ مِنْ المَتَاعِب"(٧٥)، لذلك ظلَّتْ هذه الوظيفةُ إلى – فِي الغَالِبِ الأعمِّ- فِي أيدِي اليهود حتَّى خُرُوجُهُمْ مِنْ إسبانيا(٧٦)، وفي كثيرٍ مِنْ الأحيانِ تَعَرَّضَ عُمَّالُ الجِبَايَةِ مِنْهُمْ لاعتداءَاتِ المُموِّلين مِنْ السُّكَّانِ(٧٧).

تَسَامَحَ البَلاطُ معَ اليهود فِي مُخالفةِ التَّشريعاتِ الخاصَّةِ ببناءِ المَعَابِدِ، وفي بعضِ الأحيانِ تدخَّلُوا لِصَالِحِهِمْ عندَ البَابَواتِ بخُصُوصِ توسعةِ القائِمِ منها وبناءِ مَعَابِدَ جَديدةٍ، وحَسْبَ القانونِ ذي الأجزاءِ السَّبعةِ" لا يُمكنُ بناءُ أيِّ معابدَ في بلادِنَا إلا بأوامِرِنَا، أمَّا بالنِّسبةِ لِمَا كانَ موجوداً مِنْ قبلٍ في المُدُنِ وأُزيْلَ، فيُمكِنُ بناؤُهُ في نفسِ المَكَانِ ولكنْ دُوْنَ أيةِ تَوَسُّعاتٍ أُفقيَّةٍ أو رأسيَّةٍ أو زَخْرَفَةٍ إضافيَّةٍ ... وحيثُ إنَّ المعبدَ مكانٌ يتردَّدُ فيه إسْمُ اللهِ بالشُّكْرِ والمديحِ، فإنَّنا نُحَذِّرُ أيَّ مسيحيٍّ مِنْ تشويهِهِ" (٧٨)،" يجبُ أنْ نتركَهُم يعيشُون بيننا فِي هدوءٍ ونظامٍ، يُمارسُونَ طُقُوسَهُمْ، ولا يُسيئون الحديثَ عَنْ الإيمانِ بسيدِنَا يسوعَ المسيحِ"(٧٩).

([73]) Roth, op. cit,p.14

([74]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٧٢

([75]) نفسه، ص٥٧٥

([76]) Brian Chalmers, Op.cit,pp.2-22

([77]) Ruiz, Teofilo, F., Spain's centuries of crisis 1300-1474.Blackwell, 2007,p. 155

([78]) راجع القانون رقم ٤ من القانون بالملاحق Jacob Marcus, The Jews in the Medieval World, New York 1938, pp.34-42.

([79]) راجع القانون في Ibid pp.34-42

لم يلتزمْ اليهود بهذا القانونِ لِحَظوتِهمْ عندَ المُلوكِ، ففِي سنة ١٣٤٢م ضَاقَتْ المَعَابدُ اليهوديَّةُ على اليهود في مدينةِ إشبيليةَ ؛ فأقامَ أحدُ جُبَاةِ الضَّرائبِ ويُدْعَى عسَّافُ الإستجي معبداً جديداً بوساطةِ الملكِ ألفونسو الحادي عشر (١٣١٢-١٣٥٠م) لدَى البابا كِلمنت السَّادسِ الذي صرَّحَ بتدشينِ المعبدِ الجديدِ (٨٠)، وفي بلدةِ اريفالو Arevalo التي تقعُ شَمَالَ افيلا Avila بقشتالة والَّتي كانَ بِهَا مُجتمعٌ يهوديٌّ مُهِمٌّ ماتَتْ امرأةٌ يهوديَّةٌ وتركَتْ كُلَّ مَنَازِلِهَا للمُجتمعِ اليهوديِّ بشرطِ استخدامِ ثُمْنِهَا في بناءِ معبدٍ يهوديٍّ، وذلك بإذنٍ مِنْ الأُسْقُفِ والحُكومةِ كَمَا تَرَكَتْ ٢٠٠٠ دينارٍ لتلبيةِ احتياجاتِ المملكةِ والأُسقفِ، ويبدُو أنَّ هدايا اليهود طالَتْ الكنيسةَ بجانبِ البلاطِ ؛ ففضلاً عَنْ هذا المثالِ، قَبلَ رئيسُ أساقِفَةِ طُليطلة بيدور تينوريو (١٣٧٦ – ١٣٩٩م) الهدايا من إبراهيم سوزان أحدِ أفرادِ عائلةٍ شهيرةٍ مِنْ عائلاتِ اليهود في طُليطلةَ، وفي مَملكةِ أراجون التي كان أساقِفُتُهَا أقلَّ إيجابيَّةً مع اليهود إلى حدٍّ مِمَّا كان عليه أساقِفَةُ قَشتالة ؛ تَعاونَ الأسقفُ فيك Vic رأسُ الكنيسةِ فِي مدينةِ Tarrega عاصمةِ إقليمِ أورجيل مع اليهود فِي نقلِ مَعْبَدِهِمْ إلى مكانٍ جديدٍ في المدينةِ (٨١) .

وحصلَ فِي سنة ١٣٦٠م صمويل هاليفي مُستشارُ الملكِ بيدرو على تصريحٍ ببناءِ معبدٍ جديدٍ، وأنْفَقَ على زَخْرَفَتِهِ بسَخَاءٍ(٨٢)، وفي سنة ١٣٧٩م حصلَ رئيسُ الرُّباةِ اليهود في مملكةِ أراجون على تصريحٍ من الملكةِ بهدمِ المعبدِ اليهوديِّ في كُلٍّ مِنْ قُرطبةَ وبَلنسيَةَ وإعادةِ بناءِهِمَا وتوسيعِهِمَا وزَخْرفتِهِمَا (٨٣)، وفي عامِ ١٣٨٢م حصلتْ عائلةُ نجاري (Najari) اليهوديَّةُ التي كانتْ مَسئولةً عن جَمْعِ الضَّرَائِبِ للتَّاجِ الأراجوني في مدينةِ تيرويل (Teruel) القريبةِ مِنْ بَلنسيةَ على تصريحٍ ببناءِ معبدٍ فِي المدينةِ(٨٤).

---

(80) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٨١

(81) Roth, Norman, Bishops and Jews in the Middle Ages Catholic Historical Review; Jan1994, Vol. 80 Issue 1, ,p10

(82) www.jewishencyclopedia.com/articles/14435-toledo

(83)Wolff, Op.cit,p8

(84) www.jewishvirtuallibrary.org.

لَعِبَتْ الحِمَايَةُ المَلَكيَّةُ دوراً مُتزايداً فِي تشكيلِ حُكْمٍ ذاتيٍّ مُنظَّمٍ للطَّائفةِ اليهوديَّةِ(٨٥) ومِنْ أشكالِ الحِمَايَةِ الملكيَّةِ تبعيةُ مَجْلِسِ الطَّائفةِ (حُكُومَةِ الجَمَاعَةِ اليهوديَّةِ) للتَّاجِ مُباشرةً وليسَ للمَجَالسِ المحليَّةِ(٨٦)، واستمرَّ دعمُ مُلُوكِ شبهِ الجزيرةِ للمُجتمعاتِ اليهوديَّةِ مِنْ خِلالِ الجَمْعِ بينَ الحوافِزِ الملكيَّةِ، وجبَايَةِ الضَّرائِبِ ومنحِ الأراضي والإعفاء مِنْ الضَّرائِبِ والسَّفرِ بحُرِّيةٍ، وشَجَّعَ البَلاطُ الهِجْرَةَ الفَرْدِيَّةَ لليَهُودِ وخَصَّصُوا مَنَاطِقَ تَوْسِعَةٍ وتنميةٍ لِمُستقبلِ المُجتمعاتِ اليهوديَّةِ، ولم يَسَعَ البَلاطُ للحدِّ مِنْ الاسْتيطَانِ اليهوديِّ فِي أيِّ مكانٍ مِنْ إسبانيا المسيحيَّةِ(٨٧).

اِزْدَهَرَ المُجتمعُ اليهوديُّ فِي مملكتيّ أراجون وقشتالة في القَرْنِ ١٤م، وزادَتْ هيمنةُ اليهود الاقتصاديَّةِ والسياسيَّةِ فِي المُجتمعِ المسيحيّ، ومَكَّنَتْهُمْ مِنْ التَّدخُّلِ فِي الصِّراعِ عَلَى السُّلطةِ فِي مَمْلَكَةِ قَشتالةَ، فَقَدْ راهَنَ يهودُ طُليطلةَ سنة ١٣٦٩م على طَرَفٍ ضِدَّ الآخرِ في الحرب بين الأخوين غيرِ الأشقَّاء بيدرو الرَّهيب (١٣٥٠-١٣٦٩م) وهنري الثاني إلى خسارتهم الرَّهانَ، حيثُ وقَفُوا إلى جانبِ بيدرو صاحبِ السُّلطةِ، ودَافعُوا معه عن المدينةِ. اِنْجَلَتْ الحربُ على غيرِ ما توقَّعَ اليهود، حيثُ لقى بيدرو حَتْفَهُ على يدِ أخيهِ غيرِ الشَّقيق هنري الَّذي استَعَانَ بملكِ فرنسا. نَكَّلَ المُنتصرُ باليهود، وفَرَضَ عليهم غرامَةً مإلىةً كبيرةً جعلتْهُمْ يبيعُونَ مَمْتلكاتِهِمْ العَقَّاريَّةَ والسَّائِلَةَ للوفاء بهذِهِ الغَرَامَةِ، واستمرَّ اِضْطِهَادُهُمْ مالياً حتَّى ١٣٩١م، حيثُ أَمَرَ نائبُ رئيسِ الكنيسةِ بأَنْ يدفعَ اليهود ضريبةً للسُّلطاتِ البلديَّةِ عن ذبائحِ اليهود ؛ وإنْ كانتْ في المترل، لكنْ سُرْعَانَ ما طَوَّعَ اليهود البلاطَ مَرَّةً أُخْرَى حتَّى أحداثِ ١٣٩١م، التي كانتْ كُلُّ المُؤشِّراتِ السَّابقةِ تُؤَكِّدُ عَلَى حُدُوثِهَا(٨٨).

مَوْقِفُ اليهود مِنْ التَّشْرِيْعَاتِ المَدَنيَّةِ والكَنَسيَّةِ:

([85])Ray , Op.cit,p143

([86])Haliczer, Op.cit,p.39

([87]) Ray, Op. cit, pp, 12, 52.

([88]) Ruiz, , Op.cit,p. 157

سَاهَمَ الدَّعْمُ الملكيُّ والنُّفُوذُ الاقتصاديُّ لليهودِ وتوغُّلُ علاقاتِهِمْ دَاخِلَ المُجتمعِ الأسبانيِّ فِي اِلْتِفَافِهِمْ عَلَى التَّشريعاتِ والقَرَارَاتِ التِي تُصِرُّ عَلَى تمييزِهِمْ دَاخِلَ المُجتمعِ الأسبانيِّ بعَلاماتٍ أو قُبَّعاتٍ أو مَلابسَ مُعيَّنةٍ ؛ ففي سنة ١٢١٥م أصدرَ المَجْمَعُ الكَنَسِيُّ الرَّابِعُ قراراً بأنْ يحملَ اليهود علامةً مُميِّزةً، وعندما تَمَّتْ مُحاولةَ تطبيقِ القَرَارِ فِي إسبانيا هَاجَتْ حَارَاتُ اليهود وهَدَّدَ بعضُ أصحابِ النُّفُوذِ فِي المُجتمعِ اليهوديِّ بمُغَادَرَةِ المَمَالِكِ المَسيحيَّةِ إلى مَمْلكةِ غرناطةَ الإسلاميَّةِ، ولذلك وَجَّهَ الملكُ فرناندو الثالث "القديس" (١٢١٧-١٢٥٢م) وأسقفُ طليطلة ضراعةً إلى البابا بإلغاءِ القرارِ فيما يتعلَّقُ بقشتالة؛ لأنَّ وارِدَاتِ الخَزَانَةِ تأتِي مُعظَمُهَا مِنْ الإسهامَاتِ اليهوديَّةِ(٨٩) .

لم تَأْلُو الكنيسةُ جُهداً للحدِّ مِنْ نُفُوذِ اليهود، فاستخدمتْ قانونَ الحِرْمَانِ الكَنَسيِّ excommunication ضِدَّ المسيحيين المُتعاونين والمُختلطين مَعَ اليهود فِي المُجتمعِ، ففي مَجمع كنسيٍّ عُقِدَ عام ١٣٢٤م في لاريوخا Calahorra التي تقعُ بالقُرْبِ مِنْ الحُدُودِ مَعَ نافارا أصدرَ أسقفُ المدينةِ don Miguel السيد ميجيل مرسوم الحرمانِ والطَّردِ مِنْ رحمةِ الكنيسةِ علَى كُلِّ مسيحيٍّ يُخْفِي اليهود أو المَسلمين فِي الكنائِسِ، أو أيِّ مسيحيٍّ يحترمُ اليهود أو المُسلمين من خلالِ حُضُورِ أعراسِهِمْ وجنازاتِهِمْ، أو شعائرِهِمْ الدِّينيَّةِ، وكذلك كُلُّ من المسيحيين يعيشُ منهم في منازلِ اليهود، ويتناولُ الطَّعامِ معهم، والسَّماحِ لهم بالدَّفنِ في المَقَابرِ المُخصَّصةِ لهم، ويبدو أنَّ هذا التَّفاعُلَ استفحلَ في المُجتمعِ قَبْلَ أنْ يَصْدُرَ مَرْسُومُ الحِرْمَانِ(٩٠)، وتنامَى هذا التَّفاعُلُ خاصَّةً ؛ لأنَّ السُّلطاتِ العَلْمَانيَّةَ قليلاً مَا كانتْ تتقيَّدُ بقراراتِ الكنيسةِ(٩١).

([89]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٧٤

([90]) Roth, Bishops and Jews in the Middle Ages,p.10

([91]) Roth, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.4.

وعندما يصدرُ القَانونُ مِنْ السُّلطاتِ العَلمانيَّةِ يتمُّ تجاهُلُهُ مِنْ جَانبِ اليهود، خاصَّةً فيما يمسُّ التَّمييزَ فِي العَلاقَاتِ الاجتماعيَّةِ، مِمَّا يُؤكِّدُ علَى الاختلاطِ المُجتمعيِّ، ففِي كتابِ قوانينِ قشتالة الذي يعودُ للقرنِ ١٣م كرَّسَتْ قوانينُ للعزلِ اليهوديّ عن المُجتمعِ المسيحيّ، مثلَ التَّمييزِ فِي المَلابسِ، وتحريمِ اختلاطِهِمْ بالمسيحيين في المُدُنِ، ومُضاجعةِ النِّساءِ المَسيحياتِ، وتحريمِ تصنيعِهِمْ للدَّواءِ وغيرِهِ منْ المُحرَّماتِ التي لم يعبأْ بها اليهود[٩٢] فقد نصَّ القانونُ رقم ١١ على أنَّ " كثيراً مِنْ الجَرَائِمِ وأعمالِ العُنْفِ تنشَبُ بينَ المسيحيين واليهود نظراً لِمَعيشتِهِمْ فِي مكانٍ واحدٍ داخلَ المُدُنِ، وتَشَابُهِهِمْ في المَلابسِ والمَظْهَرِ العامِّ، وحتَّى يُمكنَ تفادي الشُّرورِ والأضْرَارِ النَّاتجةِ عَنْ ذلك الوَضْعِ ؛ فإنَّنا نأمرُ بأنْ يُجبرَ كُلُّ يهوديٌّ ويهوديَّةٍ بوضعِ علامةٍ فوقَ رُؤُوسِهِمْ حتَّى يتعرَّفَ النَّاسُ عليهم"[٩٣] وبنهايةِ القرنِ ١٣م بَدَأَتْ سياسةُ البَلاطِ فِي التَّحَوُّلِ ناحيةَ تقييدِ الاختلاطِ والسَّكَنِ والمُمتلكاتِ التِّجاريَّةِ لليهودِ[٩٤]، بَيْدَ أنَّ مُحَاولاتِ عزلِ اليهود لَمْ تُثْمِرْ كثيراً فِي مُجتمعٍ تَشَابَكَتْ فيه العَلاقَاتُ الاجتماعيَّةُ والاقتصاديَّةُ بشكلٍ كبيرٍ، وأمسى مِنْ الصَّعبِ الانصياعُ للقَرَارَاتِ الملكيَّةِ أو التَّشريعاتِ البرلمانيَّةِ أو لِلْحِرْمَانِ الكَنَسيِّ بخُصُوصِ ذلك.

لَمْ تكنْ القَوَانينُ والتَّشريعاتُ التي تصدرُ تُعبِّرُ عنْ وُجهةِ النَّظرِ الرَّسميَّةِ لكنَّها تصدرُ تَحْتَ الضَّغطِ الشَّعبيِّ؛ لذلك كانَ أَوَّلَ مَنْ يَخْترِقُهَا هَمْ مَنْ أَصْدَرُوْهَا ؛ فالقَانُونُ (siete partidas) ذو الأجزاء السَّبعةِ تَمَّ إعْدَادُهُ سنة ١٢٦٥م تحتَ إشرافِ ألفونسو العاشرِ (١٢٥٢-١٢٨٤م)[٩٥] ملكِ قَشتالةَ الَّذي كانَ يُطْلِقُ عليه العالمُ أو الحكيمُ، بَيْدَ أنَّهُ ظلَّ بُدونِ تفعيلٍ حتَّى ١٣٤٨م، ومنذُ ذلك التَّاريخِ فَقَطْ انتشرَتْ هذه المَوَادُ القانونيَّةُ مِنْ قشتالةَ مَعَ بعضِ التَّحفُّظاتِ إلى كُلِّ ممالكِ إسبانيا، ثُمَّ إلى المُستعمرَاتِ الإسبانية، والبابُ رقمُ ٢٤مِنْ القانونِ

([92]) كاسترو،المرجع السابق، ص٥٨٦-٥٨٧ بهوامشهما

([93]) راجع القانون رقم ١١ بالملحق

([94])Ray , Op.cit,pp,12,52.

([95])Marcus, Op.cit ,p.34

هي التي تَخُصُّ اليهود [٩٦]، والقانونُ الثَّالِثُ والثَّامِنُ من البابِ تنصُّ على أنَّه " لا يجوزُ لأيِّ يهوديٍّ أنْ يحتلَّ مركزاً مرموقاً أو وظيفةً عامَّةً يستطيعُ من خلالِهَا إيقاعُ الظُّلمِ على أيِّ شخصٍ مسيحيٍّ . وألَّا يَتعاطى المسيحيُّ أيَّ دواءٍ مَصنوعٍ بأيدي يهوديَّةٍ "، ورغمَ ذلك فَقَدْ استعانَ ألفونسو نفْسَهُ بطبيبٍ يهوديٍّ وَقْتَ إصدارِ هذا القَانُونِ، فقدْ كانَ المُشَرِّعُ واضعَ القانونِ والشَّعبُ الحَانِقُ على اليهود لا يمكنهما الاستغناءُ عن الأطباء [٩٧]، وتعاملَ ألفونسو أيضاً معَ رجالِ المَالِ اليهود فِي أعمالٍ ماليةٍ خاصَّةً به وظلَّ المُلُوكُ يتعاملُون مع اليهود ويُنَصِّبُوهُمْ في البلاطِ حتَّى ١٤٩٢م[٩٨].

صاحبَ هذه التَّشريعاتِ نُظُمٌ مَحَلِّيَّةٌ خاصَّةٌ ببعضِ المُدُنِ صَدَرَتْ لِتَحَجِّمَ دَوْرَ اليهود فيها، مثلُ النُّظُمِ التي صدرتْ في بلدِ الوليدِ ١٤٠٥م، والنُّظُمُ التي صدرتْ في مرسية ١٤١١م، هَذه النُّظُمُ كانتْ كما يبدُو انعكاساً للمصالِحِ التَّجاريَّةِ والإداريَّةِ للقيادَاتِ البلديَّةِ فِي هذه المُدُنِ، وفي المُقابلِ كانَ اليهود في المُدُنِ الأُخْرَى مثلِ إشبيليةَ يتوسَّلُون حتَّى لا تنسحبُ عليهم هذه النُّظُمُ التي وصفَتْ اليهود بالخُبْثِ والخيانةِ، لكنَّ المُهِمَّ في هذِه النّظمِ المحليَّةِ هو أنَّها غَدَتْ الأساسَ الذي اعتمدَ عليه قانونُ ١٤١٢م[٩٩]، الذي صَدَرَ فِي قشتالة وقامَ على سِنِّهِ سانت ماريا رابي اليهود في مدينةِ برغش المُتحوِّلُ إلى المسيحيَّةِ ١٣٩١م[١٠٠].

طاردَ سانت ماريا إخوانه في الدِّينِ سابقاً بلا هوادةَ، فقدْ كَشَفَ القانونُ تفاصيلَ أسرارِ الطَّائفةِ اليهوديَّةِ الَّتِي لا يُمكنُ لأحدٍ خارجِ الطَّائفةِ أنْ يعلمَهَا، وأهمُّ ما جاءَ في هذا القانونِ هو تحريمُ استخدامِ اليهود لخدمٍ من المسيحيين، ومنعُ اليهود مِنْ حُضُورِ المُناسباتِ الاجتماعيَّةِ للمَسيحيين، ومنْعُهُمْ مِنْ مُمَارَسَةِ جَمْعِ الضَّرَائِبِ والأعمالِ الماليةِ، وَوَقْفُ العملِ بالمَحَاكِمِ

([96])Loc.cit

([97]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٦٨

([98]) راجع القوانين بالملحق

([99]) Gutwirth , Op. cit , p.381

([100]) عن ماريا أنظر بعده

اليهوديَّةِ التي تبتُّ في الجَرَائِمِ أو فِي الشُّئونِ المدنيَّةِ لأبناءِ الطَّائفةِ، وعدمِ الاختلاطِ في الحَمَّامَاتِ العامَّةِ، وعدمِ مُمارسَةِ بعضِ المِهَنِ ؛ مِثْلُ البَيْطَرَةِ والحِدَادَةِ والخِيَاطَةِ وصِنَاعَةِ الجَوَارِبِ والجِزَارَةِ والنَّسيجِ، وأنْ لا يَجلبُوا البَضَائِعَ بِمَا فيها الزَّيْتُ والعَسَلُ والأَرْزُ، ولا يجوزُ لأيٍّ مسيحيَّةٍ أنْ تدخلَ الأماكنَ الَّتي يَقطُنُها اليهود أو المسلمون، سواءً كَانَ ذلك ليلاً أو نهاراً(١٠١)، وساندت الملكة الأم كاثرين في قشتالة هذا القانون وأمرت بتطبيقه في كل أقاليم المملكة، خاصة بما يتصل بعزل اليهود داخل أحيائهم (١٠٢).

حاولَ ماريا مِنْ خلالِ هذا القانُونِ تفعيلَ عملياتِ العزلِ الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ لليهودِ دَاخِلَ المُجتمعِ، ولأنَّهُ كانَ يهوديّاً قبلَ تَحَوُّلِهِ فإنَّهُ يعرفُ أسبابَ هذا الاختلاطِ، وهي نفسُ الأسبابِ التي جعلتْ الحُكُومَاتِ تتغَاضَى عَنْ تفعيلِ القانُونِ ضِدَّهُمْ، حيثُ يلوحُ مِنْ موادِ القانونِ الثِّقَلُ الاجتماعيُّ والاقتصاديُّ لليهودِ، فَلَمْ يكنْ بمقدُورِ هذا القانونِ أو ما سبقَهُ مِنْ قوانينَ فَضُّ الاشتباكِ بينَ المسيحيين واليهود على أرضِ الواقِعِ ؛ فكُلُّ القَوانينِ السَّابقةِ تَمَّ الالتفافُ حولَهَا ولَمْ تَحَجِّمْ دَوْرَ اليهود في المُجتمعِ، حيثُ كانتْ دائماً تتهشَّمُ على صَخْرَةِ المالِ والثَّروةِ(١٠٣)، وَيُنْكِرُ أحدُ الدَّارسين اليهود(١٠٤) على كتّاب قشتالة فِي القرنِ ١٥م إغفَالَهُمْ للتَّشريعاتِ التي تعكسُ النَّوايَا الاحْتكاريَّةَ للكاثوليكِ، وإبرازَهُمْ التَّشريعاتِ التي يبدُو فيها الحِفَاظُ على نَقَاءِ المسيحيَّةِ، ويرَى أنَّ الهَدَفَ الأساسيَّ مِنْ القَانُونِ هُو إقْصَاءُ اليهود من المُنافَسَةِ التِّجاريَّةِ والإداريَّةِ، ويُبَالِغُ مِنْ حَجْمِ الخَسَائِرِ الَّتي لَحِقَتْ باليهود جرَّاءَ هذه القانونِ، بينما يُكَذِّبُ ألفارو جراسيا سانت ماريا الكتاب القشتالي المُعَاصِرُ للأحداثِ التَّقاريرِ التي تحدثتْ عَنْ الدَّمَارِ الَّذي لَحِقَ باليهود بسببِ صُدُورِ هَذَا القَانُونِ .

---

(101) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٨٦-٥٨٧ بهوامشهما

(102) Gutwirth, Op. cit,p.380

(103) هدي درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص٢٩

(104) Gutwirth, Op. cit ,pp.380,381 ,

تَنُمُّ جَرَائِمُ الاتِّصَالِ الجنسيِّ بينَ اليهود والمَسيحيين الَّتي كانتْ كثيرةً قبلَ ١٣٩١م[١٠٥] عن عُمْقِ الانْدِمَاجِ المُجتمعيِّ والاختِلاطِ الَّذي كانَ سائداً علَى الأقلِّ قبلَ أحداثِ هذَا العَامِ فِي المُجتمعِ الأسبانيِّ، رَغْمَ أنَّ هَذِهِ المُمَارسةَ بينَ اليهود والمَسيحيين كانَتْ مُجرَّمَةً مُنْذُ القِدَمِ، وتَمَّ وَضْعُ التَّشريعاتِ والقَوَانِيْنِ الَّتي تَضَعُ العُقُوبةَ مَوْضِعَ التَّنفيذِ " نُقَرِّرُ مِنْ الآن فصاعداً إذَا تَمَّ ضَبْطُ يهودٍ يرتكبُونَ هَذَا السُّلُوكِ مَعَ نِسَاءٍ مسيحيَّاتٍ فإنَّ عُقُوبتهم الإعدامُ ... كَمَا أنَّ السَّيدةَ المَسيحيَّةَ التي تُشاركُ فِي هذهِ الجريمةِ لَنْ تَنْجُوَ هِي الأخْرَى من العِقَابِ "[١٠٦] ومع أنَّ العُقُوبَةَ كَانَتْ الإعْدَامُ لكنَّها لَمْ تَرْدَعْ اليهود ؛ لأنَّهُ مَنْ أَمِنَ العُقُوبَةَ أَسَاءَ الأَدَبَ .

تَشدَّدَ القَانُونُ فِي عُقُوبةِ اليهوديِّ المُتَّهَمِ بالزِّنَا مَعَ مسيحيَّةٍ، أمَّا عُقُوبَةُ المَرْأَةِ المَسيحيَّةِ فَتَسَاهَلَ فيها، وكذلك تَسَاهَلَ مَعَ الرِّجالِ المَسيحيين الَّذين يقترفُونَ الجَرِيْمَةَ نَفْسَهَا مَعَ يهوديَّاتٍ ؛ ففِي بَلنسيَةَ أُتُّهِمَ يهوديٌّ يُدْعَى jahuda aladef بمجموعةٍ مِنْ الجَرَائِمِ المُختلفةِ تَضَمَّنَتْ القَوَادَةَ للعَاهِرَاتِ اليهوديَّاتِ للمَسيحيين، فبرَّأَهُ المَلِكُ خيمي الثاني، أمَّا عُقوبةُ الرَّجُلِ المسيحيِّ الذي يُقيمُ علاقةً جنسيَّةً مَعْ المَرْأَةِ اليهوديَّةِ أو المُسلِمَةِ فكانَتْ الجَلْدُ وليسَ الإعْدَامُ[١٠٧]، وتُشيرُ الدِّراسَاتُ إلى نُدْرَةِ هذه العَلاقَةِ فِي الفَتْرَةِ من ١٣٩١-١٤١٦م مُقَارَنَةً بِمَا كَانَتْ عَلَيه خِلاَلَ عَقْدَيْنِ مِنْ العُقُودِ السَّابقةِ عَلَى أحداثِ سنة ١٣٩١م، بَيْدَ أنَّها اِسْتَمَرَّتْ تَحْتَ غِطَاءِ اليهود المُتحولِيْنَ للمَسيحيَّةِ، حيثُ تَشِي بعضُ الوَثَائِقِ إلى ضبطِ مُتحوِّلٍ في سَرقسطةَ ارتضَى عَمَلَ زوجتِهِ كعاهرةٍ في بيتِ دعارَةٍ يهوديٍّ[١٠٨].

تركتْ السُّلطاتُ المسيحيَّةُ أيضاً الحُرِيَّةُ لليهودِ فِي إقامَةِ مَحَاكِمَ يهوديَّةٍ تَفْصِلُ فِي الخُصُومَاتِ والنِّزاعَاتِ بينَ أفرادِ الطَّائِفَةِ[١٠٩]، إلَّا أنَّهُ كَانَتْ هَنَاكَ بعضَ المُحَاوَلاتِ مِنْ كنيسةِ

---

(105) Nirenberg, Op.cit,p1085

(106) راجع القانون رقم ٩من القانون بالملحق

(107)Ray , Op.cit,p.240

(108)Nirenberg, Op. Cit,p1085

(109) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٨٦-٥٨٧ بهوامشهما

إشبيلِيَّةَ لِسَلْبِهِمْ هَذِهِ المِيْزَةِ؛ عندَمَا اِنْتَحَلَ رئيسُ أساقِفَةِ بارسو Barroso الحقَّ فِي الوِلايَةِ القَضَائِيَّةِ على اليهود في أبروشيته مِمَّا سَبَّبَ لَهُمْ الكثيرَ مِنْ الأذَى، واضْطرَهُمْ إلى اللُّجوءِ إلى المَلِكِ هنري الثاني ؛الَّذي أرسَلَ لَهُ رِسَالَةً مُؤَرَّخَةً فِي ٢٥ أغسطس ١٣٧٨م بعدمِ التَّدخُّلِ فِي شُئونِ رعاياه اليهودِ وسَحَبَ منه ولايته القضائية[١١٠]، وفي سنةِ ١٣٨٨م وفِي حُضُورِ رئيسِ الكنيسةِ فِي المَحْكَمَةِ الملكيَّةِ فِي قشتالة أكّدَ نُوَّابٌ عَنْ اليهودِ استثناءَهُمْ مِنْ الوِلايةِ القَضَائيَّةِ الكَنَسيَّةِ، وأكَّدُوا عَلَى تبعيتِهم للتَّاجِ، وبيَّنُوا الامتيازَاتِ الملكيَّةِ السَّابقةِ الَّتي مُنِحَتْ لَهُمْ، وأشارُوا إلى ثلاثِ قرارَاتٍ ملكيَّةٍ صَدَرَتْ بهذا الشَّأنِ في سنواتِ ١٣٧٨، ١٣٨٢، ١٣٨٣م[١١١].

وفي القَضَايَا المُختلطةِ التي يكونُ أحدُ طرفَيْهَا يهوديًّا والأخرُ مسيحيٌّ يفصلُ فيها اثنان من القُضَاةِ أحداهُمَا مسيحيٌّ والآخرُ يهوديٌّ، وإذا أبدى أحدُ المُتقاضين امتعاضَهُ مِنْ الحُكْمِ ؛ فعليه أَنْ يستأنفَهُ أمامَ أربعةٍ مِنْ القُضَاةِ اثنين مسيحيين واثنين يهود على أن يكون حكمهم نهائيًّا[١١٢].وسُلِبَ مِنْ اليَهُودِ هذا الحقُّ في القانونِ ذُو الأجزاءِ السَّبعةِ ؛ حيثُ أصبحتْ كُلُّ الخُصومَاتِ بينَ اليهودِ والمَسيحيين يَفصِلُ فيها قُضَاةٌ مسيحيون في محلِّ وقُوْعِ الدَّعْوَى[١١٣].

الثَّوْرَةُ الشَّعبيَّةُ ضِدَّ اليَهُوْدِ ١٣٩١م:

كَثَّفَ رُهْبَانُ الدُّومنيكَانِ والفِرنْسيسكَانِ الوَعْظَ الدِّينيِّ ضِدَّ اليَهُودِ فِي نهَايَةِ القَرْنِ ١٤م بِشَكْلٍ كبيرٍ مِمَّا مَهَّدَ للثَّوْرَةِ، فقدْ قَامَ الرَّاهِبُ الفِرْنسيسكانيُّ الشَّهيرِ فينستي فيرير Vincent Ferrer (١٣٥٠-١٤١٩م) أُسْقُفُ شقوبيةَ Segovia بحملاتِ وَعْظٍ لِفَضْحِ مَثَالِبِ اليَهُودِ

([110]) Jewish Encyclopedia

([111]) Ruiz, , Op.cit,p. 158

([112])Ray , Op.cit,p.128

([113]) راجع القانون رقم ٥ بالملحق.

لِحَشْدِ وتَحريضِ المسيحيين ضِدَّهُمْ في مملكتي أراجون وقشتالة(١١٤)، وكذلك قامَ الرَّاهِبُ الدُّومنيكانيُّ فيران مارتنيز Ferran Mrrtniez رئيسُ شَمَّاسَةِ إستجَّةَ بَحَمَلاتِ وعظٍ وتحريضٍ علَى كراهيةِ اليهودِ ولَمْ يَعْبأْ الرَّاهبَانِ بتحذيرِ السُّلُطاتِ(١١٥)، مِمَّا أفضى إلَى حالةٍ مِنْ الغَضَبِ العَارِمِ ألهبتْ مَشَاعِرَ النَّاسِ، وخَلْقِ حالةٍ من الإرهابِ بين اليهودِ كَمُقدِّمةٍ للقَضَاءِ عَلَى المُجتمعاتِ اليهوديَّةِ في المملكتين(١١٦).

استمرَّ صُعُودُ اليهودِ إلى قِمَّةِ ازدهارِهِمْ فِي إسبانيا لِمُدَّةِ ألفِ سنةٍ (٣٠٠م-١٣٩١م) ثُمَّ سقطُوا فِي الهاويةِ خِلالِ قرنٍ واحدٍ فقطْ ؛ فالحِمَايَةُ الملكيَّةُ كَرَّسَتْ الفَوَاصِلَ بينهم وبينَ الجَمَاهِيرِ(١١٧) وخلالَ القرنِ ١٤م فاقَ المُجتمعُ اليهوديُّ فِي إشبيليةَ بقيَّةَ مُجتمعاتِهِمْ فِي الأقاليم الأُخْرَى فِي مملكتي قشتالة وأراجون في ثَرْوَتِهِ وكيانه الاقتصادي فضلاً عن الحمايةِ الملكيَّةِ(١١٨)، وصاحَبَ ذلك كراهيةٌ وغضبٌ مدفونٌ مِنْ سُكَّانِ المَدِينةِ خَاصَّةً الفقَرَاءَ منهم، وعندمَا شَنَّ فيران مارتنيز Ferran Mrrtniez حملاته الدِّعائيَّةَ فِي المدينةِ ضِدَّ اليهودِ كانتْ الاستجابةُ مُدوِّيةً، وتحوَّلَ الأمرُ مِنْ صِرَاعٍ دينيٍّ إِلَى اعتداءٍ علَى مُمتلكاتِ اليهودِ وَسُخْطٍ عَلَى التَّفَاوُتِ الطَّبقي، ساعدَ على ذلك المظالمُ الاجتماعيَّةُ المكبوتةُ لَدَى السُّكَّانِ(١١٩)، وغضبهم من

([114]) Ruiz, Op. Cit. ,p. 157

([115]) راجع، Jewish Encyclopedia، تربع على قشتالة قبل سنة واحدة من الأحداث ملك طفل سقيماً عليلاً هو الملك هنري (إنريكي) الثالث (١٣٩٠-١٤٠٦م)، أما عرش أراجون فكان عليه مـارتن الأول (١٣٩٥-١٤١٠م) راجـع، عنان، نهاية الأندلس، ص١٧٤، ١٧٨ .

([116]) Ruiz, Op. Cit. ,p. 159

([117])Ray , Op.cit,p.175

([118]) Ibid,p.48

([119]) Ruiz, Op.cit,p. 159

الرَّشَاوىَ والهِبَاتِ المَالِيَّةِ التي يقدِّمُها اليهودُ للحُكَّامِ والأساقِفَةِ(١٢٠)، وبَدَأَتْ إرهاصاتُ الثَّورةِ بقتلِ يوسف بيشون المَسئُولِ عَنْ الضَّرائِبِ الملكيَّةِ في قَشتالةَ (١٢١).

اندلعتْ مِنْ إشبيليةَ شرارةُ الثَّورةِ ضِدَّ اليهودِ فِي شهرِ مايو سنة ١٣٩١م(١٢٢) بَعْدَ مَوْجَاتِ الحَشْدِ الَّتِي قادَهَا الرُّهبانُ المُتعصِّبين للعَامَّةِ، حيثُ هَبَّ فُقَراءُ المِزَارعين للهُجُومِ علَى اليهودِ، ونَهَبُوا مُمْتلكاتِهِمْ وقتلُوا عدداً قليلاً منهم (١٢٣) لَمْ يكنْ الهدفُ مِنْ الثَّورةِ القتلَ بقدرِ التَّعبيرِ عَنْ التَّفاوُتِ الطَّبقيِّ والتَّعصُّبِ الدِّينِيِّ، وامتدَّتْ الثَّورةُ مِنْ إشبيليَّةَ لتشتعلَ فِي أنحاءِ إسبانيا المسيحيَّةِ ضِدَّ اليهودِ، حيثُ وَصَلَتْ قُرطبةَ واندوخار وابيدا وبايزا وجيان وبرغش وطليطلة في مملكةِ قَشتالةَ، وفي أراجون ثارَ العامَّةُ علَى اليهودِ فِي بَلنسيَةَ وبرشلونة واريدا وتيرويل ومايوركا وغيرهم(١٢٤)، وواصَلَ الرُّهبانُ الثَّائرون شَحْنَ العامَّةِ، وقادُوهم في بعضِ المُدُنِ ؛ مثلِ فينستي فيرير Vincent Ferrer الذي قَادَ أَعْمَالَ الشَّغَبِ فِي الحيِّ اليهوديِّ ببلنسيةَ(١٢٥).

يصفُ المُؤرِّخُ الفرنسيُّ فيليبُ ولف Philippe Walff(١٢٦) الثَّورةَ الشَّعبيَّةَ ضِدَّ اليهودِ ١٣٩١م بالمَذْبَحَةِ العظيمةِ ثُمَّ يتساءَلُ في مُقدِّمَةِ مَقَالِهِ: هَلْ هِيَ جريمةٌ اجتماعيَّةٌ أَمْ لا ؟ اعتمدَ الكاتبُ علَى وثيقةٍ أَقَرَّتْ بصدقِهَا المَصَادِرُ التي عاصرتْ الحَدَثَ، وهي عبارةٌ عن خِطَابٍ وَجَّهَهُ مُنجِّمُ ملكةِ اراجون اليهوديُّ حسداي كريسكوس المُعَاصِرُ للأحْدَاثِ، المُقيمُ فِي

---

(120) قاسم عبده قاسم،الاضطهادات الصليبية ليهود أوربا من خلال حولية يهودية، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول١٩٨٢م، ص ١٦٠

(121) www.jewishencyclopedia.com/articles/13457-seville

(122) Roth, Cecil, A Hebrew Elegy on the Martyrs of Toledo,1931, Jewish quarterly Review vol.39,no.2,oct.,1948,p.125

(123) Roth, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p3,

(124) Ruiz, Op.cit,p. 155

(125) Ibid ,p. 158

(126) the 1391 pogrom in Spain.pp.4,8-10

برشلونة إلى المُجتمعِ اليهوديِّ فِي مدينةِ أفينيون الفرنسيَّةِ، فيقولُ :" إنَّ الأحداثَ بدأتْ في ٦ مايو بتشجيعٍ مِنْ فيران مارتنيز Ferran Mrrtniez، بسلسلةٍ من القَتْلِ والسَّرقةِ وتحويلِ معبدين إلى كنائسَ، وانتشرتْ الأحداثُ إلى المُدُنِ الأُخْرَى، وفِي قُرطبةَ كانَتْ المَشَاهِدُ مُخيفةً، ومنها انتقلتْ إلى أَمَاكِنَ أُخرى، وفي ١٨ مايو وَصَلَتْ إلى طُليطلةَ ثُمَّ أريلولةَ وبلنسيةَ، وفي بَرشلونة بدأَ القَمْعُ في ١١ يوليو عندما أصدَرَ مجلسُ البلديَّةِ أمراً بنهبِ الحيِّ اليهوديِّ، ولَجَأَ بعضُ اليهودِ إلى الكنائسِ للتَّعميدِ، شَارَكَ فِي أحداثِ الشَّغبِ عناصرُ مِنْ كُلِّ الطَّبقاتِ الاجتماعيَّةِ؛ فعندَمَا اعتقلَتْ السُّلطاتُ ما يقرُبُ مِنْ ثمانين شخصاً كان منهم على الأقلِّ عشرةٌ مِنْ طبقةِ الفُرسانِ والباقي من عامَّةِ الشَّعبِ ".

هذه شهادةٌ مِنْ بَرشلونةَ تَصِفُ أعمالَ العُنْفِ لكنَّها لا تُسرفُ كثيراً فِي الحديثِ عَنْ القتلِ بقدرِ إِسْرَافِهَا في وَصْفِ عمليَّاتِ السَّلْبِ والنَّهْبِ والتَّحامُلِ الدِّينيِّ، وإنْ كَانَ فِي ذلك مُبالغةٌ ؛ فلأنَّ صَاحِبَهَا لا يتَّسمُ بالحِيَادِ، لكنَّ الحديثَ عَنْ المَذَابحِ المُنظَّمةِ التي لَحِقَتْ باليهودِ والَّتي يُحَاوِلُ الكاتبُ(١٢٧) وغيرُهُ مِنْ كِتَابِ المَرَاثِي طَبَعَهَا بطَابِعِ الحقيقَةِ المُسلَّمِ بها، فإنَّ ذلك لتضخيمِ مُعَانَاتِهِمْ، والظُّلمُ الذي لحقَ بهم يأتي هذا في إطارِ الدِّعايةِ اليهوديَّةِ، فعلَى ما يبدُو أنَّ سُكَّانَ برشلونة من اليهودِ كانوا جاليةً صغيرةً، فقد رَحَلَ أكثرُهُمْ عندَ حُدُوثِ الشَّغَبِ ولَمْ تأتِ سنة ١٣٩٣م إلا وقد خلَتْ المدينةُ منهم (١٢٨) لكنَّ الأمْرَ الجَدِيرَ بالمُلاحَظَةِ هُو اشتراكُ نسبةٍ مِنْ الطَّبقةِ العليا فِي الثَّورةِ، وهُو علَى ما يبدُو خَصَّ برشلونةَ بالذَّاتِ.

دَبَّجَ اليهودُ كثيراً من المَرَاثِي والبُكائيَّاتِ اليهوديَّةِ (قينوت) على أحداثِ ١٣٩١م – وهي فرعٌ مِنْ فُرُوعِ الأدبِ الدِّينيِّ اليهوديِّ – سَجَّلَ النَّوازِلَ والكَوَارِثَ التي حَاقَتْ باليهودِ عَبْرَ

---

(127) يقول الكاتب " استمرت المذابح المنظمة لليهود فيما يزيد قليلا عن شهرين من ٦ مايو إلى ١٣ أغسطس " هذه المدة كفيلة بالقضاء على الوجود اليهودي في مملكتي أراجون وقشتالة، وهي مبالغة كبيرة، راجع Wolff, Op.cit,p16

(128) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٥٢.

العُصُورِ، ويُطْلِقُ عليه أدبَ الشَّكوى[١٢٩]، وتَصوَّرَ في إحدىَ هذه المراثِي الأحداثَ التَّراجيديَّةَ التي نزلَتْ باليَهُوْدِ فِي طُليطلةَ فِي صيفِ ١٣٩١م، وتبدأُ المَرْثِيَةُ باندلاعِ شرارةِ (المَجْزَرَةِ) في إشبيليَّةَ، وتَصِفُ الأحداثَ فِي طُليطلةَ، ثُمَّ تُلَمِّحُ لِمَا حَدَثَ فِي بَلَنسيَّةَ وبَرشلونةَ وغيرهما، ثُمَّ تروي المرثيَّةُ تفاصِيْلَ مَا حَدَثَ فِي مدينةِ طُليطلةَ، ويبدُو أنَّ المَذْبَحَةَ بَدَأَتْ برجالِ الدِّينِ أصحابَ الدَّعمِ الرُّوحِيِّ لليهُودِ، تقولُ المَرْثِيَةُ " أَوَّلُ الضَّحَايَا البَارزين الرَّابِي اسحقُ والرَّابي يهودا ونساؤُهم وأطفالُهُمْ معاً، والشَّهيدُ الآخرُ كانَ الرَّابي إسرائيلَ المُنْشِدَ الَّذي انتحرَ كما فَعَلَ ابنُهُ سَلَمُون، وكثيرٌ من القِدِّيسين والنِّساءِ الأتقياء، وتَبعَهُمْ مُوْسَي بن اشير الَّذي رُجِمَ بالحِجَارَةِ وَوُجِدَتْ جُثَّتُهُ في النَّهرِ، وهُدِمَتْ المَعَابدُ واحداً بعدَ الآخر، وتوقَّفتْ الجمعيَّاتُ المُقدَّسَةُ التي كانتْ تقومُ بأعمَالِ البرِّ وحَلَّتْ بها نكبةٌ، وكانَتْ أعدادُ النَّاجيْنَ قليلةٌ، ومُعْظَمُهُمْ مِمَّنْ تَظَاهَرُوا بالتَّحَوُّلِ وتغييرِ دينِهِمْ، ومَنْ أَبى - وَهُمْ كثيرٌ - مُزِّقَتْ جُثَثُهُمْ بالطَّعناتِ وأُلْقِيَتْ في النَّهرِ[١٣٠]" .

يبدُو مِنْ خِلالِ المَرْثِيَةِ أنَّ الثَّورةَ عَمَدَتْ إلَى القَضَاءِ عَلَى الزُّعماءِ الدِّينيين، وإنْ بَالَغَ كَاتِبُ المَرْثِيَةِ عندما صَوَّرَ القَضَاءَ المُبرَمَ على كَافَّةِ اليهودِ بالمَوْتِ أو التَّحَوُّلِ إلى المسيحيَّةِ. يُؤكِّدُ عَدَمَ صِحَّةِ ما دَبَّجَهُ أنَّهُ ظَلَّتْ بمدينةِ طُليطلة جاليةٌ يهوديَّةٌ كبيرةٌ حتَّى خُرُوجهِمْ ١٤٩٢م، صحيحٌ أنَّ هذه الثَّورةَ كَسَرَتْ كبرياءَ المُجتمعِ اليهوديِّ، وترتَّبَ عليها تحويلُ أعدادٍ إلى المسيحيَّةِ [١٣١] إلا أنَّها لَمْ تَقْضِ عَلَى المُجتمعِ اليهوديِّ في إسبانيا المسيحيَّةِ التي دَافَعَتْ فيها السُّلطةُ المَلكيَّةُ عن اليَهُودِ حتَّى ما قبلَ قرارِ الطَّرْدِ ١٤٩٢م[١٣٢] .

([129]) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ١٣٧، ١٣٩-١٤٠

([130]) Roth, Cecil, A Hebrew Elegy on the Martyrs of Toledo,1931,pp.126,128
([131])Ibid,p123

([132]) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٥٢

بَالَغَ الكُتَّابُ اليهودُ في تقديرِ أعدادِ القتلَى والُمتحوِّلين مِنْ بني جِلْدَتِهِمْ فِي مَملكتيّ أراجون وقشتالة عَقِبَ الثَّورةِ فِي ظِلِّ غياب أيَّةِ بياناتٍ حقيقيَّةٍ عن عددِ السُّكَّانِ اليهودِ، فَقَدْ رَصَدَتْ الكتابَاتُ عَشَرَاتِ الآلافِ مِنْ القَتْلَى ومِثْلَهُمْ مِنْ الُمتحوِّلين؛ ففِي إشبيليَّةَ علَى سبيلِ المِثَالِ- وهِيَ المدينةُ الَّتِي بدأَتْ مِنْهَا الأحداثُ - لا تُوجدُ مَعلوماتٌ تَقُودُ إلى معرفةِ العَدَدِ الكُلِّيِّ لِسُكَّانِ المَدِيْنَةِ سنة ١٣٩١م، فَمَا بَالُكَ بَعَدَدِ سُكَّانهَا من اليهودِ بالأَصْلِ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَدَمَ اِتِّسَاقِ التَّقديراتِ مَعَ الوَاقِعِ؛ فَفِي طُليطلةَ تقولُ الرُّوايةُ اليَهوديَّةُ أَنَّ أعدَادَ النَّاجِينَ قليلةٌ، ومُعظَمُهُمْ تَظَاهَرُوا باعتناقِ المَسيحيَّةِ (١٣٣)، وذَكَرَ أَحَدُهُمْ(١٣٤) أَنَّ أَعْدَادَ الُمتحوِّلِين كانتْ كبيرةٌ لدرجةٍ كادَتْ أَنْ تَقْضِيَ عَلَى الوُجُودِ اليهوديِّ في المملكتين، وأَنَّ أكثرَ مِنْ ١٠٠ ألفِ يهوديٍّ من إسبانيا عَمَدُوا للنَّجَاة بأَنْفُسِهِمْ أو إِرْغَامًا بالقُوَّةِ (١٣٥)، وقدَّرَ آخرُ(١٣٦) عَدَدَ الُمتحوِّلين فِي المَدينةِ بخمسَةِ آلافٍ فِي ذلك الوقتِ، مِمَّا يدلُّ على التَّبايُنِ الكبيرِ حتَّى بينَ أصحَابِ الاتِّجاهِ الواحَدِ .

بَسَطَ المَسيحيُّونَ حِمَايَتَهُمْ عَلَى جِيْرَانِهِمْ مِنْ اليَهُوْدِ فِي كثيرٍ مِنْ الُمجتمعاتِ فِي خِضَمِ أَعْمَالِ العُنْفِ(١٣٧)، وَخَاضَتْ الطَّبقةُ العُليا والُمتوسِّطَةُ خَاصَّةً فِي أراجون التِي سادَتْ فيها مبادِئُ الحُرِّيَّةِ(١٣٨) مَعركةً مع العامَّةِ ضِدَّ تَجَاوُزَاتِهِمْ بحقِّ اليهودِ (١٣٩)، كَمَا اِتَّخَذَتْ السُّلُطَاتُ الحُكوميَّةُ جانبَ اليهودِ فِي الأحدَاثِ ضِدَّ عُنْفِ الغَوْغَاءِ بِسَبَبِ دَوْرِهِمْ فِي النُّهوضِ بالكيانِ الاقتصاديِّ للدَّولةِ، وخدمةِ النُّخبةِ من الفُرسَانِ والنُّبلاءِ، فقدْ كانَ الهُجُومُ عَلَى اليهودِ يُسَبِّبُ

([133]) Roth, Cecil , Op. Cit,pp.126,128

([134]) Nirenberg, Op. Cit,p,1088

([135]) The Oxford Dictionary, Jewish Religion ,p.472

([136]) Benzion Netanyahu, the Marranos of Spain from the late 14the to the early 16the centuries, cornellun.,1999,p.260

([137]) Roth, , the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p3,

([138]) عنان، نهاية الأندلس، ص١٧٩

([139]) Wolff, Op. Cit p16

خطراً على كيانِ الحُكُومَةِ(١٤٠)، ولكنْ فَاقَ غَضَبُ جماهيرِ العامَّةِ قُوَّةَ المُلُوكِ(١٤١) وفَرَضَ المَلِكُ القشتالي عُقُوباتٍ صارمةً على كُلِّ المُتشدِّدين(١٤٢) بعدَ تحقيقاتٍ استغرقَتْ خَمْسَ سَنَوَاتٍ(١٤٣)،أَمَّا العناصِرُ الإسبانية شِبْهُ الدِّينيَّةِ فَلَمْ تُمَارِسُ العُنْفَ المُبَاشِرَ ضِدَّ اليهودِ(١٤٤).

وعدَ المَلِكُ القشتالي هنري الثالثُ (١٣٩٠-١٤٠٦م) اليهودَ بحمايةٍ ملكيَّةٍ في سنةِ ١٣٩٥م، وأمرَ بإجراءِ تحقيقٍ قضائيٍّ في الجرائِمِ الَّتي ارتكبَهَا مارتنيز ضِدَّ اليهودِ، وَمَنَع هدمه المعابدَ(١٤٥)، لكنَّهُ أَمَرَهُمْ بارتداءِ الشَّارةِ الحَمْرَاءِ الّتي تُميِّزهُمْ (١٤٦)، وفي أراجون أدانَ المَلِكُ خُوان الأول (١٣٨٧-١٣٩٦م) مَذْبَحَةَ اليهودِ فِي مدينةِ وشقة Huesca سنة ١٣٩١م إِدَانَةً صَارمةً ؛ ذلك لأنَّ اليهودَ (لهم امتيازاتٌ لَدَيْنَا)، كَمَا أَمَرَ ببناءِ معبدٍ جديدٍ لهم في مدينةِ بَرشلونةَ (١٤٧)، وفي سنة ١٤١٧م رأي ألفونسو الخامس ملك أراجون (١٤١٦-١٤٥٨م) ضَرُوْرَةَ بناءِ المَعْبَدِ اليهوديِّ فِي سَرقسطةَ الّذي دَمَّرتْهُ أحداثُ العُنْفِ(١٤٨).

اِنْسَحَبَ أكثرُ اليهودِ في أوائلِ القَرْنِ ١٥م مِنْ المُدُنِ الكبيرةِ إلى المُدُنِ الأصغرِ بسببِ حالةِ تذمُّرِ العامَّةِ التي أدَّتْ إلى الفَوْضَى وإحداقِ الخَطَرِ، وسعُوا في مُدُنِهمْ الجديدةِ إلى الحُصُولِ علَى حمايَةِ النُّبلاءِ والسَّادَةِ الملحيين؛ فحققَّ لهم هذا الانزواءُ والبُعْدُ عن الأنظارِ حَدّاً مِنْ الأَمَانِ، ومَعَ ذلك ظَلَّ تأثيرُ اليهودِ ونُفوذُهُمْ المالي في البَلاطِ الملكيِّ، إِذْ ظَلُّوا يعملون كعملاءِ للبَلاطِ

([140]) Haliczer, Op. Cit,p.40

([141]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٨٠

([142]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p3,

([143]) Ruiz, Op. Cit,p. 159

([144])Wolff , Op. Cit,p16

([145]) Ruiz, , Op. Cit,p. 159

([146]) Adler, Lea on the inquisition of Spain and Herein of Spanish and Portuguese Jews and Marranos , Jewish quarterly Review ,voll.XX ,p517

([147]) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٥٢

([148]) نفسه، ص٥٧٦

وشَغَلُوا مناصِبَ جُبَاةِ الضَّرَائِبِ، ومع نقصِ أعدادِهِمْ شَارَكَ المُحولون منهم في هذه الوَظَائِفِ[١٤٩]، وبعدَ سنة ١٣٩١م كان نادراً ما يحدثُ لهم اضطهادٌ في مُدُنٍ بعينها مثلِ مدينة أفيلا Avial وبلنسية[١٥٠]، وظلَّ المُجتمعُ اليهوديُّ بهما كذلك حتَّى ١٤٨٠م، وعندمَا هاجَمَ بعضُ الفُرسانِ اليهودَ وممتلكاتِهِمْ بذَلَ المُلوكُ والكنيسةُ جُهوداً لاحتوائِهَا؛ فكانَتْ تُقلِّلُ من أثارِهَا[١٥١].

هَاجَرَ بعضٌ مِنْ الأثرياءِ اليهودِ، وآخرون مِنْ رجالِ الدِّينِ اليهودُ إلى البُرتغالِ وغرناطة[١٥٢] وإلى الشَّمالِ الأفريقي على أثَرِ أحداثِ ١٣٩١م، وترصدُ إحدى الوثائِقِ وُصُولَ خمسةٍ وأربعين مِمَّنْ أُجْبِرُوا على اعتناق المَسيحيَّةِ قسراً إلى إفريقيَّةَ قادمين من مايُوركا وبلنسيةَ وبرشلونةَ، بعدَ أنْ سَمَحَ لَهُمْ حُكَّامُ الدَّولةِ الحَفْصِيَّةِ بدُخُولِ البلادِ نظيرَ مبلغٍ عَنْ كُلِّ رأسٍ، ويبدُو أنَّ هذه المَجموعةَ من اليهودِ كانوا مِنْ الأثرياءِ؛ لأنَّهم عملُوا بالتِّجارةِ واحتكرُوا بعضَ السِّلَعِ ورَفَعُوا أسعارَهَا مِمَّا جَعَلَ العَرَبَ مِنْ سُكَّانِ إفريقية يطلبون من القاضِي طَرْدَهُمْ مِنْ المدينةِ إلا أنَّه رَفَضَ[١٥٣]، كَمَا وَصَلَ تلمسان أحدُ الربيين اليَهُودِ الإسبانِ ويُدْعَى الرَّابي إفرام واستقبله حاكمُ المدينةِ الزَّياني ومَنَحَهُ حقَّ الإقامَةِ[١٥٤]، كَمَا استقبلتْ باقي المُدُنِ الحَفصيَّةِ في إفريقيَّةَ، وكذلك المُدُنُ الزَّيانيَّةُ في الجزائرِ أعداداً قليلةً، وحقَّقَ المُهاجرُون خاصَّةً في الجَزائرِ وضعاً مُؤثِّراً في حُكُومَةِ الزَّيانيين[١٥٥].

عَقِبَ كُلِّ أحداثٍ خاصَّةٍ باليهودِ تخرجُ التّشريعاتُ من الحُكومةِ والكنيسَةِ تُنَادِي بعزلِهِمْ عن المُجتمعِ المسيحيِّ، وإلى تمييزهم بعلاماتٍ مُعيَّنةٍ فِي المَلابِسِ لامتصاصِ غَضَبِ الجَمَاهيرِ،

([149]) Ruiz, Op. Cit ,p. 160

([150]) Ibid, p. 155

([151]) Roth, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.14

([152]) Adler, Op. Cit ,p517

([153]) Hirschberg ,Haim, A History of the North Africa, Leiden 1974 p.386

([154]) Slouschz, Nahum , Travels in North Africa, Philadelphia 1927p.324

([155]) Hirschberg , Op.cit , pp.384,387

وبعدمَا تهدأُ الأوضَاعُ يغيبُ مَعَهَا التَّشديدُ عليهم، لكنَّ هذه المَرَّةَ كانَ تفعيلُ التَّشريعاتِ قويّاً عَقِبَ أحْدَاثِ سنةِ ١٣٩١م، حيثُ نادَى البابا وملكَا قشتالة وأراجون بضرورةِ عزلِهِمْ، وتَعَاونَ معهم عددٌ كبيرٌ مِنْ مَجَالِسِ المُدُنِ والبَلديَّاتِ فِي مُحاولةٍ واسعةِ النِّطَاقِ للعزلِ في العُصُورِ الوُسْطَى خَاصَّةً بعَد عملياتِ التَّنصير[١٥٦] وهذا التَّصميمُ على تنفيذِ هذه التَّدابيرِ يُؤَكِّدُ عَلَى زِيَادَةِ الأنشطةِ اليَهوديَّةِ فِي الحَيَاةِ العَامَّةِ[١٥٧]، ومَعَ ذلك يتَّضِحُ من قَرَارِ الطَّرْدِ ١٤٩٢م ما يدلُّ على أنَّ العَزْلَ والفَصْلَ بينَ اليهودِ والمسيحيين لم يُطبَّقْ حتَّى وقتِ الطَّرْدِ " أَمَرْنَا بفصلِ اليهودِ وعَزْلِهِمْ فِي جميعِ المُدُنِ والقُرَى فِي مَمَالِكِنَا وأَرَاضِينَا، ومَنْحِهِمْ أحياءَ سكنيَّةً يعيشُونَ فيها بمعزلٍ عن الآخرين ... وأعقبَ ذلك إبلاغنا مِنْ المَصَادِرِ الرَّسميَّةِ الكَنَسيَّةِ والعَلْمَانيَّةِ أَنَّ المسيحيينَ وَاصَلُوا الاحتكاكَ باليهودِ والتَّعامُلَ معهم على كُلِّ المُستوياتِ"[١٥٨].

عَمَلِيَّاتُ التَّحْوِيْلِ Conversion [١٥٩] (التَّنْصِيْر):

بَدَأَتْ عملياتُ تحويلِ اليهودِ إلى المَسيحيَّةِ فِي شِبْهِ الجزيرةِ عَلَى أيدِي القُوْطِ عندما أصدرَ المَلِكُ فلافيوس سيزاوبوت Flavius Sisebut سنة ٦١٣م قراراً إلزاميّاً بتحويلِ كُلِّ اليهودِ فِي المملكةِ إلى المسيحيَّةِ بالقُوَّةِ وليسَ بالإقناعِ[١٦٠]، ثُمَّ تفاقَمَ الوَضْعُ بعدَ ذلك عندما اتَّفقَ خُلفاءُ المَلِكِ القُوطيِّ ريكارد الأول (٥٨٦-٦٠١م) مع الأساقِفَةِ وَوَضَعُوا قَوَانينَ صَارِمَةً ضِدَّ اليهودِ بَلَغَتْ ذُرْوَتَهَا سنة ٧٠٠م، منها مرسومٌ ينصُّ عَلَى أَنَّ العُبُوديَّةَ هِي مصيرُ كُلِّ مَنْ

([156]) Nirenberg, Op.cit,p,1083

([157]) Wolff, Op. Cit,p8

([158]) راجع قرار الطرد بالملحق البند رقم ٢

([159]) يعني هذا المصطلح الأسباني الاستقلالية الثقافية المتبادلة، كما تعني العيش معا، وتحمل معاني الاعتدال والتسامح كما يفهم في العصر الحالي، راجع، Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.3

([160]) Roth, , Jews, Visigoths and Muslims in medieval Spain,p13

يُمَارِسُ الشَّعائِرَ اليَهوديَّةَ، وأَنَّ الأطفالَ الَّذين يُشكُّ في أنَّهُمْ على اليهوديَّةِ يُؤخذُونَ قسراً مِنْ عائلاتِهِمْ ويتمُّ تربيتهم بمعرفةِ الأكليروس المسيحيّ[(١٦١)] .

أَوْقَفَ وُصُولُ المُسلمين إلى شبهِ الجزيرةِ الإيبيرية عملياتِ التّنصيرِ إلى حين، وبلغَ اليَهودُ فِي عهدِهِمْ شأواً كبيراً ؛ مِمّا أدَّي إلى انتقالِ مقرِّ الزَّعامةِ الرُّوحيَّةِ لليهودِ مِنْ العِرَاقِ إلى قُرطبةَ[(١٦٢)]، ولم تظهرْ حالاتُ التَّحوُّلِ عن اليهوديةِ قسراً إلا في المَمَالِكِ المسيحيَّةِ الَّتي بدأتْ تنمُو وتقودُ حركةَ الاستردَادِ ضِدَّ المُسلمين خلالِ القرنين ١٢ و١٣م، وعندمَا بَاتَ خُرُوجُ المُسلمين مِنْ شِبْهِ الجزيرةِ مسألةَ وقتٍ شَهِدَ النِّصْفُ الأَوَّلُ مِنْ القَرْنِ ١٤م عملياتُ تَحَوُّلِ اليهودِ إلى المَسيحيَّةِ عندمَا زَادَ الضَّغْطُ عليهم للانضمامِ إلى الأغلبيَّةِ المَسيحيَّةِ مِنْ خِلالِ تَعرُّضِهِمْ للمُعُوِّقَاتِ السياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ، وكذلك بِمُمَارَسَةِ قَدْرٍ مِنْ القَسْرِ دُوْنَ استعمَالِ القُوَّةِ الغَاشِمَةِ[(١٦٣)].

بَدَأَ التّنصيرُ بجُهُودٍ غيرِ حُكُوميَّةٍ، فَلَمْ تَكُنْ الحُكُومَاتُ المَلكيَّةُ عابئةً بهذا المَوضُوعِ، إذْ تَصَدَّتْ لها حركاتُ الرَّهبنةِ المَسيحيَّةِ (الدُّومنيكان والفرنسيسكان) التي انطلقَتْ في بدايةِ القرنِ ١٣م تدعُو اليهودَ إلى التَّعميدِ، على الرُّغمِ مِنْ أنَّ القانونَ الكنسيَّ يرفضُ استعمالَ القُوَّةِ بأشكالِهَا المُختلفَةِ فِي التَّنصيرِ مُنْذُ البابا جريجوري الأول (٥٤٠-٦٠٤م) ؛ الذي أرسلَ برسالةٍ إلى أساقفةِ بلادِ الغال (فرنسا وألمانيا) سنة ٨٢٨م يُحذِّرُهُمْ فيها مِنْ تعميدِ اليهودِ بالقُوَّةِ[(١٦٤)]، لذلك أخذَتْ كُلُّ القُوانين التي صَدَرَتْ بعدَ ذلك تحذيرَ البابا في الاعتبارِ " لَيْسَتْ ثَمَّةَ قوةٌ أو إجبارٌ يُمارَسُ على اليهودي لإقناعِهِ بالتَّحَوُّلِ للمسيحية"[(١٦٥)]، لذا كانت حالاتُ

([161]) Goulven, notes sur les origins des Israelites (Hisperis) vol.,1,1921,p.303

([162]) Ben Sasson ,Inter-communal in Relation in Geonic Period, in (The Jews of Medieval Islam)Ed., Daniel Frank, Leiden, 1995,p.27

([163]) Nirenberg, Op. Cit,p,1079

([164]) Roth, , Bishops and Jews in the Middle Ages,p.1

([165]) راجع القانون رقم ٦ من قانون ذو الأجزاء السبعة بالملحق

التَّنصيرِ بينَ اليهودِ قليلةً حتَّى ذلك الوَقْتِ، وحَجَّمَ مِنْ أعدادِ اليهودِ المُتنصِّرين رَفْعُ الغِطَاءِ عَنْ المُتنصرِ مِنْ جانبِ الطَّائِفَةِ، وعَدَاء العلمانيين للمُتنصِّرين بسببِ المُنافسةِ الاقتصاديَّةِ (١٦٦).

بَدَأَ سيلُ تنصيرِ اليهودِ في العِقْدِ الأخيرِ مِنْ القَرْنِ ١٤م عَقِبَ ثورةِ ١٣٩١م(١٦٧)، وزادَتْ حَمَلاتُ الوَعْظِ ضِدَّهُمْ، واتَّسمَتْ بحماسٍ كبيرٍ، وبدأَ الوُعَّاظُ مثلُ الرَّاهِبِ الفرنسيسكاني فينست فيرير الذي بدأَ في أواخرِ القَرْنِ ١٤م يزيدُ مِنْ كثافةِ الوَعْظِ الدِّينيِّ ضِدَّ اليهودِ فِي شرقي مملكةِ أراجون، وزارَ مُدُنَ مملكةِ قشتالة سنة ١٤١١-١٤١٢م لنفسِ السَّببِ، وعلى الرُّغْمِ مِنْ أعمالِ العُنْفِ المُعاديةِ لليهودِ الَّتي كانَتْ تترتبُ على خُطُبِهِ(١٦٨)، وتحريمُ الكنيسةِ التَّحويلَ بالقُوَّةِ ؛ إلا أنَّه كان على استعدادٍ أنْ يُجْبرَ اليهودَ علَى الاستماعِ إليه(١٦٩)، وتحوَّلَ على يديه الكثيرُ مِنْ اليهودِ؛ خَاصَّةً أَصْحَابَ الوَظَائِفِ الرَّفيعَةِ فِي المُجْتَمَعِ الأسبانيِّ، مثلُ جُبَاةِ الضَّرَائِبِ المَلَكيَّةِ ؛ فعلَى سبيلِ المِثَالِ فإِنَّهُ كَانَ سبباً في تَحَوُّلِ عائلةِ نخاري اليهوديَّةِ التي كانَتْ مَسئولةً عن جَمْعِ الضَّرائِبِ للتَّاجِ الأراجوني في مدينةِ تيرويل. (١٧٠)

كَمَا دَعَا الرَّاهِبُ الدُّومنيكانيُّ ورئيسُ أساقفةِ إستجة فيران مارتينيز في عِظَاتِهِ إلى استعمالِ العُنْفِ في سبيلِ الدَّعوةِ إلى التَّنصيرِ، وعمل جاهداً بُغيةَ إنهاءِ الوُجُودِ اليهوديِّ داخلَ المُجتمعِ المسيحي، مِمَّا جَعَلَ اليهودَ في إشبيلية يَبُثُّونَ شَكْوَاهُمْ لِلْمَلِكِ حتَّى يَضَعَ نهايةً لهذا الوَعْظِ، خَاصَّةً أَنَّ المَلِكَ كَانَ يرفضُ التَّعميدَ القسريَّ(١٧١)، وبالرُّغمِ من ذلك استمرَّ مارتنيز في حملتِهِ للتَّنصيرِ بشكلٍ استفزازيٍّ في بعضِ المُدُنِ خاصَّةً إشبيلية التي كانت تسكُنُهَا جاليةٌ يهوديَّةٌ

---

(166) كانتور، المرجع السابق، ص٤٩٢

(167) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.3,

(168) Ruiz, Op.cit,p. 157

(169) Encyclopedia Judaica1971: Spain, vol.15, col.237-238

(170) www.jewishvirtuallibrary.org

(171) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.4

كبيرةٌ، وواتته الظُّرُوفُ من خِلالِ الاضطراباتِ والعُنْفِ التي اجتاحَ إسبانيا خلال سنتين ١٣٨٩-١٣٩١م(١٧٢).

حاولَ المُجتمعُ اليهوديُّ الصُّمودَ في مُواجهةِ الضَّغطِ الطَّاغِي مِنْ المُجتمعِ المسيحيِّ ؛ وزادوا بأنْ حاولُوا جدِّيّاً لإقناعِ المُتنصرين حديثاً بالعودةِ مَرَّة أُخْري إلى اليهوديَّةِ(١٧٣)، وبدأتْ المَعَابدُ اليهوديَّةُ في تكوينِ لِجَانٍ لِمُعَاقبةِ مَنْ يُخالِفُونَ التَّعاليم الدِّينية (١٧٤)، لكنْ في ظِلِّ تَحَوُّلِ بعضِ رجالِ الدِّينِ اليهوديِّ، ومُغادَرَةِ البعضِ الآخرِ إسبانيا إلى شمالي أفريقيا بعد أحداث سنة ١٣٩١م أرغمَ اليهودَ على الاستسلامِ للأمرِ الواقِعِ(١٧٥).

تَحَوَّلَ بعضُ الرُّباةُ مِثْلُ الرَّابي سالمون هاليفي رابي مدينة برغش التي تقع في شمالي وسط إسبانيا في مملكة قشتالة وهي عاصمةٌ لِمُقاطعَةٍ تحملُ نفسَ الاسمِ، واتَّخذَ هاليفي اسماً مسيحيّاً وأصبحَ يُدْعَى بابلو دي سانت ماريا Pablo de Santa Maria في ١٣٩١م، وبعد تحوُّلِهِ أمضى بعضَ الوقْتِ فِي جامعةِ باريس لدراسةِ اللَّاهُوتِ، ثُمَّ عادَ إلى مدينَتِهِ برغش وانْتُخِبَ رئيساً للكنيسةِ في المدينةِ، وأصبحَ قِسّاً خاصّاً للملكِ هنري (إنريكي) الثالث (١٣٩٠-١٤٠٦م) والقاصدُ الرَّسُوليُّ للبابا بندكت الثالث في بلاط قشتالة، ووزير الملك خوان الثاني (١٤٠٦-١٤٥٤م)(١٧٦). تحوَّلَ مع هاليفي ابنه ألفونسو وانتخب رئيسا لكنيسة قرطاجنة، ثم ورث منصب أبيه في برغش بعد وفاته(١٧٧)، كما تحول العديد من أقاربه ؛ والتحق بعضهم بالكنيسة وتقلَّدُوا فيها مكانةً كبيرةً، أصبحَ آخرون مُستشارين للبلاطِ القشتالي.

---

(172) Ruiz, Op. Cit ,p. 158

(173)Utterback, Op. Cit,p.21

(174) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٥٧

(175) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p4

(176) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٠٥ ؛ هدي درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٨م ص٨٤

(177) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.5

أصابَ تحوُّلُ هاليفي المُجتمعَ اليهوديَّ بصدمةٍ، حيثُ كان له دورٌ كبيرٌ في تسهيلِ عملياتِ التَّحويلِ سنة ١٣٩١م ؛ واستمرَّ يُتابعُ التَّحويلَ لعُقُودٍ(١٧٨)، وتحوَّلَ واحدٌ مِنْ أشهرِ تلاميذِهِ يُدعَى جُوزيه اللُّوركي Yoshua Halorqui طَوْعاً وتَسَمَّى بـــ خيروينمو دي سانتا في Jeronimo de Santa Fe(١٧٩) وكان طبيباً وكاتباً وأصبحَ عدوّاً لدوداً لليهودِ بعدَ تحوُّلِهِ ١٤١٢م، إذْ ألَّفَ كتاباً بعنوانِ (سَوْطِ اليهودِ) يدعُو فيه إلى استئصالِ شأفةِ اليهودِ، وفي العامِ التالي لتحولِهِ اقترحَ علَى البابا بندكت الثالث عشر عَقْدَ مُناظرةٍ عقدية في طرطوشة بين رجال الدين اليهودي ونظرائهم من المسيحيين وحضرَ المُؤتمرَ أربعةُ عشرَ حاخاماً يهودياً، وتزعَّمَ رجالُ الكنيسةِ في المُناظرةِ خيروينمو دي سانتا في، واستمرَّتْ من فبراير ١٤١٣م حتَّى نوفمبر ١٤١٤م، وأسفرتْ المُناظرةُ عن تنصُّرِ اثنا عَشَرَ حاخاماً(١٨٠).

وفي مدينةِ بورخا borja التَّابعةِ للتَّاجِ الأراجوني تحوَّلَ رابي اليهودِ في المدينةِ واتَّخذَ اسماً مسيحيّاً بولو جراسيا Paulo Garcia واتبع دعوته الكثير(١٨١)، وتحوَّلَ كذلك الرَّاهِبُ الفرنسيسكانيُّ ألونسو دي إسبينا Fray Alonso de Espina الذي كان حاخاماً ثُمَّ أصبحَ أباً راهباً ثُمَّ بلغَ رئاسةَ جامعةِ سلمنقةَ، وفي ختامِ حياتِهِ عُيِّنَ في المَجْلِسِ الأعلَى لِمَحَاكِمِ التَّفتيشِ(١٨٢)، وكذلك تحوَّلَ ألفونسو دي كابالاريرا Alfonso de la Caballeria الذي أصبحَ نائبَ مُستشارِ المَلِكَةِ إزابيلا فيما بعدُ(١٨٣)، ولا ريبَ في أنَّ هؤلاءِ المُتحولين الأوائلَ مِنْ اليهود البارزين ساعدُوا رجال الدين المسيحي في جهودهم لتنصير اليهود حتى سنة ١٤٩٢م .

---

(178) Encyclopedia Judaica1971: Spain, vol.15, col.237-238; Ruiz, Op. Cit,p.159

(179) Ruiz, Op. Cit,p.159

(180) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٠٨ ؛ هدي درويش، المرجع السابق، ص٨٦

(181) Meyerson, Mark D., Aragonese and catalan Jewish converts at the time of expulsion Jewish history ,vol.6,nos.1-2.1992,p.133

(182) Brian Chalmers, Op.cit, pp. 2-22

(183) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.7,9

في الغالب الأعم لم يكن التحول لأسباب دينية، بل كان بسبب رغبة اليهود الفرار من عسف المسيحيين وتحسين أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، والخوف من المستقبل ؛ فتعمَّدَ كثيرٌ منهم في برشلونة وبالما palma وبلنسية وطليطلة، وأصبحوا ومؤهلين لأيِّ موقع في الدولة أو الكنيسة، وهناك أدلة كثيرة على خداع المتحولين الجدد ؛ إذ مارسوا الطقوس اليهودية سراً بما في ذلك الختان والدفن والاحتفال بالسبت، ولا أدلّ على ذلك من أنَّهم مارسوا طقوس الديانة اليهودية علناً بمجرد مغادرتهم شبه الجزيرة الإيبيرية (١٨٤).

بلغَ عددُ المتحوِّلين بعد أحداثِ ١٣٩١م حسبَ بعضِ التَّقديراتِ في قشتالة وأراجون ٢٠٠ ألفٍ حسبَ بعضِ التَّقديراتِ(١٨٥)، كان مُعظمُهُمْ من الطَّبقتين العُليا والوُسْطَى(١٨٦)، وهو عددٌ مُبالغٌ فيه كثيراً، خاصَّةً أنَّ مُؤرِّخاً يهوديّاً آخرَ(١٨٧) يُقدِّرُ أعدادَهُمْ بعشراتِ الآلافِ، وبصرفِ النَّظرِ عن الأعدادِ، فقد أصبحَ التَّحوُّلُ إلى المسيحية ضرورةً أو على الأقلّ ميزةً للمُتسلِّقين من اليهودِ، لكنْ ليسَ مِنْ السُّهولةِ بمكانٍ التَّخلِّيَ عن المُمارساتِ اليهوديَّةِ للفردِ المُتحوِّلِ تماماً، فقد كانت البدايةُ صعبةً جداً؛ فالمُتحوُّلُ الجديدُ للمسيحيَّةِ تتنازَعُهُ جذُوره وهويته، وفي المُقابلِ مَصالحه وحياته ومستقبله، وبالتالي أحدث التحويلُ أزمةَ هُويَّةٍ في شبهِ الجزيرةِ(١٨٨).

حاول المتحولون التوفيق ببين النقيضين بالعيش خارج التحول دون مخالفة السلطات ؛ أي التحول الشكلي في ظلّ رفض المجتمع اليهودي لهم، والذي بدأت قياداته في الضغط من أجل

---

(184) Brian Chalmers, Op.cit,pp. 2-22. الختان من أهم الشعائر اليهودية التي حاول المتحولين إخفاءها عن محـــاكم التفتيش وكذلك طقوس الدفن وهي أمور يسهل إخفاءها أما شعائر السبت في أسبوعية من حيث تقديس يــوم الـــسبت وعدم العمل فيه وإيقاد الشموع وعدم إشعال النار، راجع هدي درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص٦٤، ٦٥

(185) Adler, Op.cit,p516,517; Bernard Katz, A BRIEF JOURNEY THROUGH SPANISH JEWISH HISTORY, JEWISH AFFAIRS, CHANUKAH 2009,p36

(186) Graham Noble, the Expulsion of Jews of Spain, History Review,issue,2002,p.44,

(187) Nirenberg, Op.cit,p1084

(188) Ibid,p,1079

عودة هؤلاء المتحولين مرة أخري لليهودية[١٨٩]، وبالتالي ظل المتحول دائما منشغلا بأمور اعتادها قبل التحويل بأن يكون منزله قريب من الحي اليهودي أو داخله، كما تشابكت العلاقات بين اليهود وبين إخوانهم الذين سبقوهم إلى المسيحية لمدة أعوام كثيرة [١٩٠]؛ ففي مدينة كوماركا Morvedre التابعة لبلنسية على سبيل المثال دخل مسئول ملكي الحي اليهودي خلال عيد الفصح عام ١٣٩٣ وغرم قليلا من المتحولين الذين شاركوا أقاربهم اليهود احتفالات عيد الفصح[١٩١].

أطلق اليهود على إخوانهم المتحولين لفظ (أنوسيم) التي تعني بالعبرية المضطرون أو المكرهون أو المغلوبون على أمرهم[١٩٢]، ومع أحداث ١٣٩١م أطلق المسيحيون الأسبان على المتحولين من الرجال لقب المارانوس Marranos ؛ التي تعني الخنازير باللهجة العامية الإسبانية[١٩٣]، كما أطلقوا على المرأة اليهودية التي تنصرت مارانا Marrana، والتي تعني عاهرةً أو امرأةً قذرةً[١٩٤]،ومع أن كلمة المارانوس Marranos أطلقت على كل المتحولين ؛ إلا أنها كانت تطلق في البداية على اليهودي الذي تنصر، ومع ذلك استمرَّ في ولائه والتزامه بالممارسات والطقوس اليهودية في السر، منتظرا سنوح الفرصة للعودة إلى اليهودية[١٩٥]، ويبدو أنَّ اختيار هذه الصفة من جانب المسيحيين باعتبارها صفة محتقرة عند اليهود لأنهم

([189])Utterback, Op.cit , p.16

([190]) Nirenberg, Op. Cit,p.1090

([191]) Ibid,p.1085

([192]) هدي درويش، المرجع السابق، ص٢٠-٢١

([193])Katz, Op.cit, ,p36

حاول المحدثون من الكتاب اليهود تحريف معني المارانوس إلى معاني أخري، راجع، هدي درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص٢٠-٢١.

([194]) هوتيكروفت، الكفار، تاريخ الصراع بين عالم المسيحية والعالم الإسلامي، ترجمة : قاسم عبده قاسم، تحت النشر، المركز القومي للترجمة، ص ١٢٩، ١٤٨

([195]) The Oxford Dictionary , Jewish Religion ,p.472

يحرمون أكل لحم الخنزير [١٩٦]، وقد اعتبر بعض مؤرخي القرن ١٥م في قشتالة أنَّ كل المتحولين كانوا يهودا، وقد نال الشعر القشتالي من المتحولين ووصفهم بأن أصحاب رائحة كريهة مثل رائحة اليهود؛ بسبب عدم تعميدهم، وفي أحيان كثيرة ظلت رائحة بعض المتعمدين منهم مثل رائحة اليهودي، بسبب أن اليهودية أبطلت تأثير التعميد[١٩٧].

أوصي رجالُ الدين المسيحيِّ باتِّباع خطوة للتشجيع على التحول وذلك بزواج المسيحيين من المتحولين كوسيلة لضمان الحفاظ على نقاء إيمانهم، وانتهز المحولون الفرصة لكسر الحواجز الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي باتت تضييق حلقاتها حولهم، خاصة أنهم من النخبة الانتهازية الذين أهلتهم قدراتهم الفكرية مع طموحاتهم لتقلد المناصب العليا في المحاكم وفي الجامعات وفي الكنيسة وفي والحكومة [١٩٨]، وتزوَّجُوا من الأُسرِ الكبيرة ؛ ففي منتصف القرن الــ١٥م أصبح مألوفاً أن يتزوج المتحولون من الطبقة العليا من المسيحيين القدامى، وكذلك تمَّ الزواج بينهم وبين النبلاء، وفي المقابل تباهي البعض من الطبقة العليا بزواجه من المحولين[١٩٩]، ويري البعض[٢٠٠] أنَّ الملك الأراجوني فرديناندو (١٤٥٢-١٥١٦م) كان من نسل يهودي مباشر (جدته كانت يهودية)، وعندما تولَّى فرديناندوا الحكم كانت كل إدارة مملكته في أيدي المُتحوِّلين .

وفي محاولة من زعماء اليهود لتقليص تحويل أتباعهم شدد المؤتمر اليهودي الذي عقد في بلد الوليد سنة ١٤٣٤م على الاهتمام بالتعليم الديني، والاهتمام بمدرسي المدارس الابتدائية والدقة في اختيارهم لتعليم النشء الكتاب المقدس وتعميق الديانة اليهودية في وجدانهم. قرَّر المجمع أن يكون لكُلِّ مجتمعٍ به ١٥ أسرة أنَّ معلم مناسب يقوم بمهمة تعليم الأطفال، وإذا كان المبلغ

([196]) www.jewishencyclopedia.com/articles/10388-marano

([197]) Gutwirth , Op.cit,p.393

([198]) Adler, Op.cit,p516,517

([199])Haliczer, Op.cit,p.40

([200]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.5

المدفوع من قبل الآباء غير كاف تلتزم الطائفة بدفع ما تبقي من أجر للمعلم، ودعا المؤتمر إلى الترابط بين اليهود(٢٠١)، كما أجاز رجال الدين اليهود من خلال الفتاوى (الرسبونسا) قبول التحويل لمن يتعرض لاضطهاد لا قبل له به، مع بقاءهم على الولاء لليهودية دين الأمة سراً، وفي الوقت نفسه عليه احترام الأعراف الاجتماعية والقيم الدينية السائدة في المجتمع الاسباني. يحشد المؤرخون اليهود المحدثون الأدلة على أن المتحولين الجدد كانوا صادقين في تحولهم، على عكس تعصب القدامى ضدهم، فاتهموهم بأنهم خانوا اليهودية، و لم يصمدوا كما صمد يهود ألمانيا الذين قدموا أرواحهم فداء لليهودية(٢٠٢).

أصبح المتحولون بين مطرقة المسيحية وسندان اليهودية، واتَّجهت إليهم سهامُ التَّشكيكِ والخيانة من الجانبين، فقد بدأ العداء للمتحولين في طليطة ١٤٤٩م، باعتبارهم يهودا لا يحملون من المسيحية شيئاً من الولاء أو الإيمان crypto-Jews (٢٠٣)، وأنَّ الغرض من تحوُّلهم هو تحرُّرهم من كُلِّ القيود القانونية التي كانت تُكبِّلُهم كيهودٍ، ورغبتهم العيش في سلام مع المجتمع المسيحي الأسباني، وبلوغ أعلى المناصب فيه، مِمَّا مثَّلَ تهديداً للمسيحيين القدماء(٢٠٤)، الذين اعتبروا المتحولين مثل السرطان داخل البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الأسباني(٢٠٥)، وفي المقابل نظر اليهود إلى إخوانهم المتحولين ليس فقط كأشخاص غيروا عقيدتهم، ولكنهم غيروا ذواتهم أو هوياتهم، وتعبر السلطات الربانية عن ذلك بأنهم" خرجوا من هوية بني إسرائيل

---

(201) Finkelstein, Louis , Op.cit,pp.349-375

(202) Brian Chalmers, Op.cit, pp.2-22.

(203) هذه الظاهرة بدأت في وقت مبكر من القرن ٥ق . م خلال اضطهاد الزرادشتية لليهود في فارس

(204) Brian Chalmers, Op. Cit,pp. 2-22. الختان من أهم الشعائر اليهودية التي حاول المتحولين إخفاءها عن محاكم التفتيش وكذلك طقوس الدفن وهي أمور يسهل إخفاءها أما شعائر السبت في أسبوعية من حيث تقديس يوم السبت وعدم العمل فيه وإيقاد الشموع وعدم إشعال النار، راجع هدي درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص٦٤، ٦٥

(205) Ruiz, Op.cit,pp.159.160

وصاروا شعبا أخر "[٢٠٦]، وأصبح المتحولون أعنف المعارضين لإخوانهم الأوائل (اليهود) فالمنشق عن دينه هو أقدر الأشخاص على الوقوف ضد أخيه الذي ظل على دينه[٢٠٧].

أصابت اليهود لعنة النقاء العرقي التي ابتدعوها وكانت من أهم أدبياتهم منذ القدم ؛ فقد كان كثير منهم في إسبانيا خاصة طبقة العامة يعتقدون أن وصمة الميلاد اليهودي لا يمكن محوها أبدا بالتعميد، بينما اعتقد المتعلمون واللاهوتيون أن التعميد طبقا للعقيدة المسيحية يمحو كل الخطايا[٢٠٨]،وأخذت بذلك الحكومات أي أن كل متنصر يمكن أن يكون مسيحيا نقيا وفقا لقانون الأجزاء السبعة الذي ينصّ " نأمر بأنه بعد أن يتحول اليهود إلى مسيحيين يكون لهم التقدير والاحترام والتوقير حيثما وجدوا وأن أحدا لا يجرؤ على إهانتهم أو إهانة نسلهم .. وتكون لهم كل الحقوق المكتسبة، وكذلك حقوق الوراثة من الآباء والأمهات والأقارب كما لو كانوا يهودا "[٢٠٩] ويؤيد أحد المؤرخين اليهود رأي العامة بقوله : " إن الذين تحولوا بالقوة بعد سنة ١٣٩١م لم يدركوا ممارسات دينهم الجديد وجهلوا تعاليم المسيحية "[٢١٠] .

ومنذ ذلك الحين بدا في الظهور حركات مناهضة للمتحولين باعتبارهم أصحابَ دمٍ مُلوَّثٍ، لا ينقي إلا بعد مرور أربعة أجيال بعد التحول، باعتبار أن المتحولين واليهود يشكّلون جنساً واحداً، والدم اليهودي يفسد صاحبه حتى الجيل الرابع وفق نظرية نقاء الدم، وينطبق ذلك على من كانوا نتاج زواج المسيحيين القدامى بالمتحولين الجدد، وصدر من كلية سان بارتلوم في سلامنكا San Bartolome of Salamanca قانون بهذا المعنى سنة ١٤١٤م، يوصي

([206]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.5

([207]) Adler, Op.cit,p516,517

([208]) هوتيكروفت، الكفار، ص ١٢٩، ١٤٨

([209]) راجع القانون رقم ٦ بالملحق

([210])Nirenberg, Op.cit, p1086

بتجريد هؤلاء المتحولين الذين لم يصلوا إلى الجيل الرابع من الاعتبار العام والانتماء الكنسي والدراسة بالجامعات(٢١١).

قاد بيدرو سارمينتو Pedro Sarmiento، وهو أحدُ المُقرَّبين من خوان الثاني الملك القشتالي حركة تمرد ضد اليهود والمتحولين في طليطلة سنة ١٤٤٩م (٢١٢)، وقام هو وأتباعه بعمليات سلب ونهب وحرق في منطقة مجدالينا La Magdalena التي يقطن بها اليهود والمتحولون، فقد ساءه الدعم الملكي لليهود المتنصرين في طليطلة . أصدر سارمينتو إعلاناً يؤكّد على أن المسيحيين القدماء فقط هم من يحملون في عروقهم دماء غير ملوثة، وأطلق عليهم لقب الأطهار Limpios، أو الأنقياء (٢١٣)، وهاجم مثيرو الشغب في طليطلة والمدن الإسبانية الأخرى المتحولين، وجرت اضطرابات اجتماعية حتى أوائل سنة ١٤٥٠م (٢١٤) بسبب استياء العامة من ثروات وقوة المتحولين(٢١٥).

وبالرغم من إخماد تمرد سارمينتو سنة ١٤٥١م؛ إلا أنّه استمر العمل بهذا الإعلان على مدي الأربعين سنة التالية، حيث زاد عدد المؤسسات التي تبنت متطلبات نقاء الدم للالتحاق بعضويتها(٢١٦)، واستمر كذلك العنف ضد المتحولين بشكل بمتقطع بين سنتي ١٤٧٠-١٤٧٤م، خاصة في سنة ١٤٧٣م، حيث اندلعت أعمال عنف ضد المتحولين في طليطلة وقرطبة وامتدت إلى أماكن أخري في إسبانيا(٢١٧)، واعتبر المعارضون أن المتحولين خرقوا

---

(211) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.5

(212) Steven j. Mcmichael, the end of the world, antichrist, and the final conversion of the Jews in the fortalitium fidei of friar Alonso de espina (d. 1464), Medieval Encounters 12,2, 2006,p. 251

(213) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492 Op. Cit,p.5

(214) Steven J. Mcmichael, Op.cit,p. 237

(215) Ruiz, Op.cit,p. 155

(216) هوتيكروفت، الكفار، ص١٢٨، ١٢٩

(217) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.5

العهد الذي أبرم معهم مما مثل تهديدا خطيرا للمجتمع المسيحي، وشعر قادة الكنيسة أنهم في حاجة إلى تأكيد أن هؤلاء المتحولين أمسوا مسحيين حقيقيين ؛ أي تحولوا عن إيمان وقناعة لاسيما في النصف الأخير من القرن ١٥م، حيث تدخل البابا نيكولاس الخامس لحمايتهم [٢١٨].

فقدت المجتمعات اليهودية في كل من إشبيلية وطليطلة وبرغش تأثيرها السابق نتيجة تحول الكثير من قياداتهم، وتحول ثقل اليهود من الآن فصاعدا في المملكة القشتالية إلى المجتمعات الريفية الصغيرة التي نادرا ما تجاوزت ٥٠ أسرة ؛ منهم التجار وأصحاب المحلات التجارية والحرفيين؛ كما تمكن بعض رجال الحاشية من استرجاع مراكزهم في البلاط [٢١٩]. بدأت حياة المجتمعات اليهودية تمضي كما كانت من قبل، وإن تقلص نشاطهم في مجالات الزراعة والطب وخدمة الحكومة، بيد أنهم لعبوا دورا هاما في قطاع الأعمال والتجارة، واستمرّت الأديرة والكنائس في الاعتماد عليهم وكذلك النبلاء، واستمرُّوا في جباية الضرائب المختلفة، وإقراض المال على نفس القواعد السابقة، ومن الملك إلى رجل الشارع ظلت الصداقات الشخصية سائدة بين العائلات اليهودية والمسيحية، وانتظم أولاد المسيحيين على مدي عشر سنوات في الوكالات التجارية اليهودية يتعلمون أصول التجارة مما رسخ الحياة المشتركة بين الجانبين[٢٢٠].

مَوقفُ العَرْشِ والكَنِيْسَةِ مِنْ اليَهُودِ بَعْدَ المُتغيِّراتِ الجديدةِ :

قامت العلاقة بين البلاط واليهود في إسبانيا المسيحية على أساس المنفعة، إذ حرص اليهود على التقرب من السلطة، وتحقيق مآربهم الاقتصادية والجاه الذي يدعم الحماية والمال، ووجد البلاط فيهم بغيته؛ فولاهم الأعمال المالية وخاصة تحصيل الضرائب من العامة، مما خلق جوا

([218]) Steven j. Mcmichael, Op.cit,p. 251

([219]) Encyclopedia Judaica1971: Spain, vol.15, col.237-238

([220]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p4

من العلاقات العدائية بين اليهود وغيرهم من أفراد المجتمع الاسباني، أدَّت إلى مذابح لليهود في حالة ضعف الحكومة خاصة في القرن السابق لمحاكم التفتيش؛ حتى مع قيام محاكم التفتيش لم تحظ الهجمات الشعبية على اليهود برضاء الحكومات، وفي أراجون كان الوضع أحسن حالا من قشتالة، وتجنب المجتمع اليهودي في سرقسطة العنف بسبب وجود الملك مارتن(١٣٩٦-١٤١٠م) في المدينة حيث أعطي وجوده نوعا من الاستقرار للجماعات اليهودية، كما حصل زعيم اليهود في المدينة الحاخام حسداي كرسيكس Hasdai Crescas سنة ١٣٩٩م على لائحة جديدة لليهود من البلاط الأراجوني تحدد قوة الجماعة وتنظيماتها[٢٢١].

عقب عمليات التحويل المكثفة التي طالت الكثير من اليهود في مملكتي أراجون وقشتالة صعدت البابوية خاصة في عهد البابا بنديكت الثالث عشر من جهودها لإنهاء الوجود اليهودي في إسبانيا المسيحية، مما أدي إلى أن أمر الملك فرديناندو ملك أراجون [٢٢٢] (١٤١٢-١٤١٦م) ١٤١٥م بأن يقدم اليهود جميع نسخهم من التلمود بحيث تحظر جميع الفقرات المعادية للمسيحية، ويحظر الهجوم على الكنيسة، وعدم توسيع اليهود لمعابدهم، وعلى المسيحيين أن لا يستكثروا من الوكلاء اليهود، وان يلتزم اليهود بأحيائهم الخاصة، وباتت اليهودية في أراجوان على شفا الهاوية بسبب الضغط البابوي واستجابة الملك الأراجوني، ولم يشفع لهم اشتراكهم في احتفال تتويج الملك فردينانو في سرقسطة ١٤١٢م[٢٢٣]، حيث أمر بعزل اليهود في أحياء خاصة[٢٢٤].

([221]) Encyclopedia Judaica Op. Cit, col.237-238

([222]) فرديناندو هو ابن خوان الأول ملك قشتالة تم اختياره من جانب البرلمان الأراجوني لحكم أراجون بعد وفاة خاله خوان الأول ملك أراجون دون وريث، لذلك تشبث بالسلطان المطلق الذي ألفه في قشتالة، عنان، نهاية الأندلس، ص١٧٩

([223]) يصف مصدر فرنسي مشاركة اليهود في هذه الاحتفالات فيقول، " ارتدي اليهود نفس ملابس المسيحين، ورقصوا متمنطقين بأحزمة تخرج منها أشرطة فضية خلف المنشدين، واستمروا كذلك خلال أيام الاحتفال، حيث جابوا الشوارع في بهجة احتفالية حتى دخلوا القصر الملكي، راجع النص ,(Vendrell de Millas, Sefarad), 17 (1957) نقلا عن Gutwirth, ,OP.cit,p.384

([224]) Nirenberg, OP.cit, p1083.

وفي قشتالة قام الراهب فيسنت فيرير الفرنسيسكانيsan Vicente Ferrer سنة ١٤١١م بالحضِّ على المزيد من القوانين القمعيَّةِ ضدَّ اليهود على أمل أن تنضم هذه القوة إلى حُضْنِ الكنيسة، حيثُ حرمت هذه القوانين اليهود من التجارة ومن الوظائف الهامة ؛ طالما كان المتحولين منهم قادرين على القيام بها(٢٢٥)، وأخذت الملكة كاثرين والدة الملك الطفل خوان الثاني (١٤٠٦-١٤٥٤م) والوصية على عرش قشتالة على عاتقها إصدار إعلان في أنحاء مملكتها أنه حيثما كان اليهود أو المسلمين فعليهم أن يبتعدوا بمساكنهم(٢٢٦)، ومن أهم ما جاء في الإعلان وجوب عزل المسلمين واليهود عن المسحيين، وعدم التعامل مع الطبيب الكافر وشراء الطعام منهم، ولابد أن يسور عليهم وتكون الأسوار مغلقة ليس لها شبابيك على الخارج ؛ لأنهم بالنسبة إلينا أكبر الأعداء، والمرأة المسيحية لا يجب أن تعمل ممرضه معهم، ولا يجب أن تأكل معهم، وإذا أرسلوا لكم خبزا أرموه للكلاب وإذا أرسلوا لكم لحم حي دون طبيخ فلكم أن تقبلوه على شرط ألا يكون ميتا، لأن كل ذلك خطايا وفقا للكتاب المقدس(٢٢٧)، ويدلُّ هذا الإعلان بالمنع على وجود كُلِّ هذه الممارسات داخل المجتمع حتى ذلك الوقت من بدايات القرن ١٥م، ومن ثَمَّ فإنَّ المؤرخين اليهود المتأخرين يصفون التمييز الذي حدث فيما بين سنة ١٤١٢-١٤١٦م بالاضطهاد العظيم الذي وقع باليهود(٢٢٨).

تنفَّس اليهود الصّعداء بطرد بنديكت الثالث عشر من البابوية(٢٢٩)، وبوفاة الملك فرديناندو الأول في عام واحد سنة ١٤١٦م(٢٣٠)، فقد سادت فترة من التسامح والانتعاش وإعادة الروح مرة أخري داخل المجتمع اليهودي خلال ١٤٢٠-١٤٤٠م (٢٣١)، وتحسَّن وضع

---

(225) Adler ,Op.cit ,p516,517

(226) أنظر نص الإعلان Gutwirth, , Op.cit,p.380

(227) Nirenberg, Op.cit,p1084

(228) Loc. Cit.

(229) Haliczer, Op.cit,p.40

(230)عنان، المرجع السابق، ص١٧٩

(231) Ruiz, Op.cit,p. 155 ; Steven, Op.cit,p.237

اليهود في أراجون بتولي الملك الفونسو الخامس (١٤١٦-١٤٥٨م) الذي بسط يديه لليهود، حيث تمتعوا في عصره بالحماية الملكية ؛ فما أن مر عام على توليه العرش حتى أعلن حمايته لليهود ولومه الرهبان الدومنيكان في بلنسية على المبالغة في إجبار اليهود على التنصير بقوله : " بلغني أن هناك بعض رجال الدين في ديركم يقومون بالعظات في تلك المدينة لتحريض بعض الناس فيها ويقولون أشياء ضد اليهود تؤدي إلى إثارة الشعب ضدهم " وهذا لا يروقنا ولا يرضينا أن يحدث مثل هذا وأنتم تعرفون أننا قرنا الدفاع عن الكنيس اليهودي"(٢٣٢)، واستطاع اليهود في سنة ١٤١٩م بمساندة موقف الملك الأراجوني لهم أن يلقي الرهبان الخطب والمواعظ في معابدهم بدلاً من الكنائس والأماكن المفتوحة ممَّا وقى اليهود من سُخريةِ المسيحيين (٢٣٣)، بيد أن ذلك لم يجد نفعاً كثيراً، لأنَّ المجتمعات اليهودية في أراجون انخفضت كثيراً، وفي بلنسية وبرشلونة كادت أن تختفي، ونزح الكثير منهم إلى الريف(٢٣٤).

أمَّا في قشتالة فقد عاصر خوان الثاني John II (١٤٠٦-١٤٥٤م) ابن عمه ألفونسو الخامس صاحب العلاقة الطيبة باليهود في أراجون؛ وكان كليهما أقلَّ حماساً للدِّين من أسلافهم، وكذلك البابا الجديد لم يكن بحماس سابقه وآثر أن لا يستأنف المعركة مع اليهود، لذا ألغيت جميع التدابير المعادية لليهود ١٤١٩-١٤٢٢م، وتم استعادة نسخة من التلمود كاملة دون حذف، وتم بناء المعابد التي هدمت لليهود(٢٣٥)، وأمر الملك أن توكل كل الشئون الداخلية للبلاط لليهود بدلا من تركها في أيدي النبلاء، وحسب الكاتب اليهودي إلىعازر جوتورث(٢٣٦) فإن الملك القشتالي خوان الثاني كان في أمس الحاجة لخدمات التمويل اليهودي لدفع تكاليف ونفقات القوات العسكرية في حرب الاسترداد ؛ ففي سنة ١٤٢٩م اقترض

---

(232) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٣٥

(233) دولورس برامون، المرجع السابق، ص٤٤

(234) Encyclopedia Judaica1971: Spain, vol.15, col.237-238

(235) Loc. Cit.

(236) Gutwirth, Op.cit,p.380,382

الملك خوان الثاني من زعيم اليهود الرابي إبراهام بنفنست Abraham Benvenist رابي اليهود في المملكة والزعيم الديني ومستشار البلاط لتدعيم قواته على جبهة أراجون .

وعلى الجانب الآخر عقدت الجماعة اليهودية في مملكة قشتالة مؤتمرا في مدينة بلد الوليد ١٤٣٤م بدعوة من الرابي إبراهام بنفنست Abraham Benvenist نفسه، واتخذت في المؤتمر عدة قرارات اختص بعضها بالشأن الداخلي اليهودي، وعالج الآخر الشأن العام في محاولة لتحسين صورة اليهودي داخل المجتمع القشتالي؛ فقد قرر المؤتمر التوقير الشديد للملك خوان الثاني الذي تعاون معهم، واستثنوا اليهود الذين يعملون لمصلحته من العقاب حتى لو أضرَّ ذلك أخيه اليهودي، كما اتَّخذ المؤتمر قرارات من شأنها تهدئة الرأي العام المسيحي في المملكة تجاه اليهود بعدم استفزاز المجتمع بالتغلغل في الجانب الاقتصادي، الذي قد ينعكس على حياتهم داخل المملكة، وقرر إنه لا يجوز لأي امرأة متزوجة ارتداء فساتين مستفزة مصنوعة من الأقمشة الغالية الثمن مثل الحرير والكتان أو الصوف الناعم أو الأقمشة التي يدخل فيها خيوط من الذهب؛ بينما يجوز ذلك فقط للعروس في السنة الأولي من زواجها، كما فرضت قيود على ألوان الملابس المزركشة والمخملية والألوان الضاربة للحمرة القرمزية واللون الزيتوني، كذلك فرضت قيود على ارتداء المعاطف ذات الياقات العالية، وعلى الإسراف في ارتداء الحلي الذهبية، وأجاز بارتداء حلي فضية لا تزيد عن أربع أوقيات، وشدد على أنَّ كُلَّ مَنْ تجاوز هذه القرارات فهو مطرودٌ من رحمة الربِّ (٢٣٧).

ساهمت الإجراءات التي أتخذها المؤتمر اليهودي في تهدئة الأوضاع بالنسبة لهم – على الأقل- بالنسبة للبلاط، وعادوا بقوة إلى الواجهة السياسية، وترصد أحداث سنة ١٤٤٠م حضور اليهود حفل زفاف الأمير هنري بن خوان الثاني ملك قشتالة في مدينة بريفسكا Briviesca التابعة لمقاطعة برغش، وكانت عادتهم أن يرفعوا التوراة تحية وتقديراً للمدعوين

---

(237) Finkelstein, Louis , Op.cit,, pp.349-375

من القادة الأجانب(٢٣٨) . أصاب التحول في سياسة البلاط نحو اليهود بعض المتحولين بخيبة أمل ؛ إذ سلقهم الرهبان بألسنة حداد ونددوا بهم، مثل الراهب الفرنسيسكاني ألونسو دي إسبينا Fray Alonso de Espina الذي اعتبرهم خانوا شعبهم حيث قال "" كرهت جشع الحكام المسيحيين والمكاسب الدنيوية التي يحصلون عليها من اليهود، لأنّ ذلك يجعلهم يسمحون للجرائم اليهودية أن تمرَّ دون عقاب، ويسمحون لهم بالقُرب منهم، ويقبلون منهم الهدايا حتَّى جعلوهم مثل الذئاب المفترسة الذين هجموا على قطيع الرب، وواصلوا الخراب دون معارضة "(٢٣٩)، وكان هذا الراهب حاخاما قبل أن يتحول إلى المسيحية، وأصبح أبا راهبا، وساءه عودة العلاقات الطيبة بين اليهود والبلاط، حيثُ كان طبيب الملك هنري الرابع (١٤٥٤-١٤٧٤م) في الفترة من ١٤٥٦-١٤٦٥م هو اليهودي ساماي لوبيل (٢٤٠)، الأمر الذي زاد من حنقه عليهم وعلى حق إخوانه المتحولين ووشي مع غيره من الحانقين إلى الملك هنري الرابع بهم، ويري كاسترو(٢٤١) أن إسبينا هذا كان يشعر بالحاجة إلى تبرير ما يفعله بالقضاء على أي أثر وذكري لليهودية التي يحملها في صدره، وكان يؤلمه ألا يخضع يهود قشتالة للعبودية مثل يهود فرنسا وانجلترا .

عضد اليهود زواج الأمير فرديناندو ولي عهد أراجون من الأميرة إزابيلا شقيقة الملك هنري ملك قشتالة، تم الزواج في بلد الوليد في أكتوبر سنة ١٤٦٩م بترتيب من اليهود في حفل خاص لم يشهده إلا عدد قليل من الأصدقاء، بسبب معارضة أخيها الملك هنري، وكذلك رئيس أساقفة طليطلة (٢٤٢)، لذلك دانت إزابيلا بزواجها ثم بعرشها بعد ذلك إلى حد كبير لدعم ومشورة اليهود والمتحولين من المملكتين، خاصة الرابي إبراهام سينور Rabbi

---

(238) Gutwirth, Op.cit,,p.384

(239) Brian Chalmers, Op.cit,, pp. 2-22

(240) – كاسترو، المرجع السابق، ص٥٦٥

(241) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٠٧

(242) عنان، المرجع السابق، ص١٨٤

Abraham Seneor،⁽[٢٤٣]⁾ الذي كان يعمل في البلاط القشتالي رئيسا لجامعي الضرائب الزراعية في المملكة، وقد تم تعيينه لاحقاً ممثلاً لكُلّ يهود إسبانيا، وكذلك السيد إسحاق أبرافانيل Don Isaac Abravanel، الذي عين في سنة ١٤٨٤م مسئولا عن جمع الضرائب الزراعية عن وسط قشتالة وجنوبها[٢٤٤]، واستقبل اليهود زواج الملكين بالكثير من السعادة، فقد كان بمثابة انفراجة جديدة لهم على أرض إسبانيا[٢٤٥] .

تولّت إزابيلا الحكم سنة ١٤٧٤م بعد موت شقيقها هنري، وحقّقت الأمل التي كانت تصبو إليه بالوُثُوب على عرش قشتالة بعد حرب أهلية مع أخيها هنري ؛ ساندها فيها المتحولون واليهود . بدأت إزابيلا حكمها محاطة بفريق من الأصدقاء ورجال الدولة والأطباء من اليهود [٢٤٦] الذين مجدوها وكأنّها مريم العذراء[٢٤٧]، وتولي فرديناندو حكم أراجون سنة ١٤٧٩م على اثر وفاة أبيه خوان الثاني ١٤٥٨-١٤٧٩م، واتحدت المملكتان في نفس العام [٢٤٨]، واستخدم كذلك فرديناندو المتحولين في إدارته[٢٤٩]، ووقف إلى جانب اليهود ضد ممارسات الكنيسة في مدينة سرقسطة سنة ١٤٨١م التي هددت بإغلاق الأبواب والنوافذ الخاصة بالمنازل التي تطل على الجزء المسيحي للمدينة، ومنعهم من ممارسة بعض المهن، وإكراههم على ارتداء زي خاص، وهدد الملك أساقفة سرقسطة بقطع العطايا الملكية الدورية

([243]) Marx, The Expulsion the Jews from Spain, Jewish quarterly Review, vol., 20,N2,Jan1908,p.254

([244]) Katz, Op.cit,, ,p36.

الرابي أبراهام سينور عندما صدر قرار الطرد فضل التعميد عن الهجرة أي فضل المصلحة عن الهوية راجع – Encyclopedia Judaica1971: Spain, vol.15, col.237-238

([245]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.9.

([246]) – كان طبيب الملكة في سنة ١٤٧٦م هو الحاخام سالمون بيتون، راجع، كاسترو، المرجع السابق، ص٥٦٥

([247]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.7

([248]) عنان، المرجع السابق، ص١٨٤

([249]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.8

لهم (هؤلاء هم كنزنا وميراثنا ومن واجبنا الدفاع عنهم)[٢٥٠]، وشارك اليهود في الاحتفالات الملكية في المدينة في نفس العام [٢٥١]، وتمتَّع اليهود في ظل الوضع الجديد بالحماية الملكية، وظلوا كذلك حتى بدأت إرهاصات قرار الطَّردِ .

أصدر برلمان طليطلة تشريعاً في سنة ١٤٨٠م يفرض على اليهود والمسلمين الانتقال إلى مناطق محددة في المدن الرئيسية، وعلى المقيمين خارج هذه المناطق بيع منازلهم والخروج إلى المناطق الجديدة، وكان وراء هذا القانون القسُّ توماس دي توريكريمادا[٢٥٢] وليس فرديناندو وإزابيلا،ولم يكنْ في مقدور الملكين منع تطبيق التشريعات ؛ لأنَّ البرلمان الإسباني اتسم بالديمقراطية، فما أن يقترح القوانين ويشرعها حتى يطبقها الحكام[٢٥٣]، ومنذ ثمانينات القرن ١٥م بدأت السياسة الرسمية تجاه اليهود تصير أكثر حزما، وتمَّ تفعيلُ المراسيم القديمة المتعلقة بالملابس وقيود التجارة والعيش بعيدا عن المسيحيين في جيتو منعزل خارج المدنِ وسُدَّت الأبواب والنوافذ المُطلَّة على المدينة المسيحية[٢٥٤].

مَحَاكِمُ التَّفتيشِ:

يُعتبرُ تحول اليهود إلى المسيحية هو السَّبب الحقيقي لدخول محاكم التفتيش إلى إسبانيا المسيحية[٢٥٥]، وبدأت الإرهاصات الأولي لها منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، حيثُ أُنشئت محاكم للتحقيق مع المُتحوِّلين الذين ارتدُّوا إلى اليهودية في مملكة أراجون، وبدأت في

([250]) كاسترو، المرجع السابق، ص٥٧٦

([251]) Gutwirth, ,The Jews in 15th century Castilian chronicles,p.384

([252]) عن توماس دي توريكريمادا، انظر بعده

([253]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.9.

([254]) هوتيكروفت، الكفار،ص١٣٠

([255])www.jewishencyclopedia.com/articles/10388-maranos

مهامها سنة ١٢٤٢م،(٢٥٦) أمَّا في قشتالة فقد أصدر هنري الرابع أمراً ملكيّاً سنة ١٤٦٥م من إلى الأساقفة بتتبُّع المارقين ومعاقبتهم، وتلى ذلك موجةٌ من المحاكمات الدينية لليهود المتحولين أُحْرِقَ على أثرها عددٌ منهم(٢٥٧)، والعقاب بالحرق للمُهرطق هو عقوبة قديمة صدرت في عهد قنسطنين الأكبر سنة ٣١٥م، كما نصَّ القانون ذو الأجزاء السبعة على عقوبة اليهودي الذي يحاول ردة أخيه المتحول " ونحن نقرر أنه في حالة رغبة أي يهودي أو يهودية في التَّحول للمسيحية، فإنَّ أحداً من اليهود الآخرين لا يمكن أن يعارض ذلك، وإذا قاموا برجمه أو قتله بعد تعميده، وتمَّ إثبات ذلك، فإنَّنا نأمر بحرقِ كُلِّ مَنْ شارك في الجريمة وكُلِّ المسئولين عنها من رجال الدين اليهودي "(٢٥٨).

حارب المجتمعُ اليهودي عمليات التحويل إلى المسيحية بكُلِّ قوة في ذلك الوقت، وكانت شعائر التطهر من المسيحية لليهودي ؛ الذي ارتدَّ إلى دينه مرة أخري قاسية جداً من جانب المجتمع اليهودي وزعمائه المدنيين، أمَّا الزعماء الدينيون فكانوا أقلَّ تشدُّداً في ذلك، ورأوا أنَّ العائد إلى اليهودية عليه التوبة فقط لأنَّه في الأصل يهودي، والتنصير لا يمحو هذه الصفة وفقاً للتشريع اليهودي(٢٥٩).أمَّا شعائر التَّطهُّرِ من المسيحية عند الزعماء المدنيين والمجتمع اليهودي؛ فكانت تتضمَّن إزالة آثار التعميد من على جسد المتحول، ومن على جلده وجبينه، وفي أيِ مكانٍ آخر وضع عليه زيت التعميد، أو حتَّى لمسه، وكذلك من على الركبتين التي جثا

---

(256) عنان، المرجع السابق، ص٣٣٠

(257) بسام اسخيطة، قصة محاكم التفتيش في العالم، دار هيا للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٠م، ص١٩٨، عنان، المرجع السابق، ص٣٣٠، ٣٣١

(258) راجع القانون رقم ٦ بالملحق

(259) Kristine, Op.cit,pp.23,24

عليهما أثناء التعميد، وقطع أطراف الأصابع التي رسمت الصليب أو تقشير الأظافر، مع حمام طقسي قبل أن يقدم نفسه للحرق قرباناً لحماية روحه(٢٦٠).

وتُشير سجلات التَّحقيق في مدينة برشلونة بمملكة أراجون التي تعود إلى سنة ١٣٤١م، أي بعد مرور قرن من إنشاء المحاكم إلى اتهام ثلاثة يهود بتهمة قيامهم بالعمل على ردة أحد اليهود المتنصرين إلى اليهودية مرة أخري، ويحفظ أرشيف كاتدرائية برشلونة نص التحقيق وشهادة الشهود وقرار الاتهام والعقوبة، عقدت المحاكمة في ١١ أغسطس ١٣٤٢م في مقبرة كنيسة Santa Maria del Mar سانت ماريا دل مار، وأدين اليهودي خانتو المولي Janto Amuli وزوجته جميلة وشخص آخر يدعي يوسف، وينتسب الثلاثة إلى مدينة ألموينا la Almunia القريبة من سرقسطة، وأدينوا بتهمة التحريض على ردة أحد المتنصرين حديثا من اليهود يدعي بيتر Peter (إليعازر سابقا) الذي تعمد في كنيسة Sant Pere de Riucdebittles في بلدية كوماركا القريبة من برشلونة منذ شهور، وتم استجوابهم عن طريق المحقق البابوي للبلاط الأراجوني الراهب الدومنيكاني Bernat de Puigcercos، واعترف خانتو بضلوعه في الجريمة بمساعدة زوجته ويوسف، كما كشفت التحقيقات أنَّهم منذ أعوامٍ سابقةٍ حرَّضوا آخر يُدعى عباديا Abadia للرُّجوع إلى اليهودية، لكنَّ الزوجة رفضت الإدعاء باشتراكها في التَّحريضِ على الرِّدَّةِ، ومن ثَمَّ قرَّرت المحكمة أنَّها أقلُّ ضُلوعاً من الآخرين، أمَّا يوسف فكان دفاعه أنَّ أعداءه الذين وشوا به غير مُؤهَّلين للشهادَةِ عليه، وهو الوحيدُ الذي عُذِّبَ لفترةٍ وجيزةٍ خلال إجراءات المحاكمة لرفضه الاعتراف باشتراكه في جريمة الرِّدَّةِ(٢٦١).

جاء في قرار الاتهام أنَّ خانتو ورفاقه مُتهمون بِرِدَّةِ بيتر وعباديا، وأنَّ خانتو تلى على بيتر وعبادياً نموذجَ شعيرة الانتحار لنبذ المسيحية التي تقول (أيُّها الفقيرُ البائسُ كيف تستطيعُ أنْ

(260) عن الحمام الطقسي التي يتطهر فيه اليهود عند الزفاف أو التطهر من أثار التعميد، راجع: عبد الرحمن بشير، اليهـــود في المغرب العربي، ص١٢٣

(261) Kristine, Op.cit,p.24

تخطيء هذا الخطأ الفادح وهجر قانون موسي هذا القانون هو والربُّ واحدٌ، وتقبّل قانون المسيحية العبثي الميت الذي لا يحميك ... وإذا ضحَّيت بنفسك أصبحت شهيدَ رُؤيةِ الربِّ وكسبت الخلاص)، ووجهت المحكمة تسع عشرة تهمة لخانتو تحمله المسئولية عن ردة بيتر وعباديا كلية (٢٦٢).

سلم بيتر نفسه مباشرة إلى المحكمة المدنية في ألومينا la Almunia بعد تردد؛ لحرقه خلاصاً لروحه دون المرور بشعائر التطهر القاسية التي يفرضها المجتمع اليهودي، وحكم عليه بالإعدام حرقاً، وعند تنفيذ الحكم ووضعه على المحرقة أنقذه أحدُ الرهبان الدومنيكان(٢٦٣)، فقد كان حظه أفضل كثيراً من عباديا الذي لجأ قبل ذلك أيضاً إلى المحكمة المدنية بقلعة أيوب Calatayud التابعة لسرقسطة، وتمَّ حرقه، أمَّا المحرض خانتو فحكم عليه بالسجن المؤبد مدي الحياة على الخبز والماء فقط، وتحت شروط قاسية حتى يكون الموت هو عزاءه الوحيد، أمَّا زوجته جميلة فحكم عليها أيضاً بالمؤبد بدون الشروط القاسية التي حكم بها على زوجها، أمَّا يوسف فحكم عليه بتسليمه للسلطات المدنية لحرقه؛ لأنَّه فضلاً عن اشتراكه في رِدَّةِ الاثنين فإنَّه أُدِيَن بالهَرْطَقَةِ في وقتٍ سابقٍ بسببِ ضُلوعِهِ في خِتانِ طفلٍ مسيحيٍ(٢٦٤).

يبدو أنَّ محاكم التَّحقيق كانت لا تزال قليلة جداً في أراجون حتَّى النصف الأول من القرن ١٤م، والسَّببُ هو التجريم العظيم من جانب المجتمع اليهودي الذي يصل إلى أن يقدم المتحول نفسه قُرباناً لتطهير روحه، والرفض المجتمعي له هو الذي حد إلى حين من عمليات التنصير بين اليهود، لكن مع زيادة عمليات التحويل خلال القرن ١٥م زاد ضغط الكنيسة لإدخال نظام محاكم التفتيش، حيث أرسل البابا سيكستوس الرابع مبعوثاً بابويّاً مزَّوداً بكُلِّ السُّلطاتِ للتحقيق والقبض على المارقين ومعاقبتهم، لكن فرديناندو وإزابيلا وقفا ضدَّ هذه المحاولة ؛حرصاً على سلطاهما وحماية لأعوانهما اليهود، وحداً من سلطة الكنيسة. انضم رجال الكنيسة من المتحولين

([262]) Ibid,p.23
([263])Ibid,pp.23,24
([264]) Ibid,pp.22,23,24

المتعصبين إلى البابا ضد إخوانهم السابقين وحرَّضوا الملكين على مطاردة الكُبراء ذوي الأصل اليهودي من خلال نظام محاكم التفتيش(٢٦٥).

لم تلقَ إزابيلا بالا لتحريض البابا ورجال الكنيسة إلى حين؛ إذ أنَّها كانت تثقُ بهم وبصدق نياتهم وغِيْرَتِهِمْ على الدولة والعرش، على أنَّ هذه المقاومة لم تلبث طويلاً بسبب إلحاح معترف الملكة(*) توماس دي تروكمادا Torquemada رئيس دير الآباء الدومنيكان في سانت كورز بشقوبية(٢٦٦)؛ الذي أقنع الملكة بإقامة محاكم التفتيش في المملكة، وفي عام ١٤٧٨م أرسل العاهل فرديناندو وزوجته سفيرهما إلى البابا للحصول على المرسوم البابوي، وصدر المرسوم بإنشاء الديوان في قشتالة وتعيين المفتشين، واتخذت الخطوة الحاسمة لتنفيذه ١٤٨٠م، وأنشئت محكمة التفتيش الأولى في إشبيلية في الدير الدومنيكاني في إشبيلية سنة ١٤٨١م، وكان للمحكمة حق توقيف الهراطقة خاصة المسيحيين الجُدُدَ، كما كان لها حق مصادرة أملاكهم وأموالهم لصالح التاج الأسباني والحبر الأعظم وقضاة التفتيش(٢٦٧).

نظر رجال الكنيسة بعين الشك والريبة إلى اليهود المحدثين في المسيحية، الذين ارتقوا المناصب الكنسية الكبيرة، ووصلوا إلى مجلس الملك، وتبوَّأوا بأموالهم ونفوذهم مكانة قوية في الدولة والمجتمع، واعتبروهم أشرَّ من اليهود الخُلَّصِ أنفسهم، واتَّهموهم بالإلحاد ومزاولة شعائرهم سرّاً(٢٦٨)، ويرجع الدافع الحقيقي وراء محاكم التفتيش إلى إزاحة المتحولين المكروهين من الوظائف ذات القوة والتأثير(٢٦٩).يظنُّ كاسترو(٢٧٠) – وليس كُلُّ الظَّنِّ إثماً – أنَّ

---

(265) عنان، المرجع السابق، ص١٨٤

(*) قس الاعتراف الخاص بالملكة.

(266) نفسه، ص ٣٣١

(267) بسام اسخيطة، المرجع السابق، ص٢٠١

(268) عنان، المرجع السابق، ص٣٣٠

(269) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.7,9

الإجراءات التي طبّقتها محاكم التفتيش الإسبانية هي صورة من تلك التي استخدمتها المعابد اليهودية، وأن نقل تلك التركيبة إلى المسيحيين كان عن طريق العديد من اليهود، الذين شغل عدد منهم درجة الأسقفية والرهبنة أثناء القرن ١٥م، ووصل البعض منهم إلى عضوية المجلس الأعلى للتفتيش، وكتب بعضهم كتبا غير إنسانية ضد بني جلدتهم، وأخذوا يتّسمون بالشراسة، وخرج من صفوفهم أشدَّ الناس عداوة لليهود .

مارس العرش الأسباني على البابا سيكستوس الرابع ضغوطا لجعل المحاكم تحت سلطته دون تدخل الكرسي الرسولي مقابل أنْ يُخصِّصَ له جُزءًا من الأملاك المصادرة من الهراطقة (٢٧١)، وقرر فرديناندو وإزابيلا إسباغ الصفة القومية على محاكم التفتيش ؛ بأن يكون سلطانها مُستمدًّا من العرش أكثر مما هو مستمد من البابوية، لذلك تم تنظيم المحاكم على أسس جديدة، وصدر بهذا التنظيم مرسوم بابوي في ٢ أغسطس عام ١٤٨٣م، وتمّ إنشاء مجلس أعلى لمحاكم التفتيش (la suprema) يتألّف من أربعة أعضاء بينهم الرئيس الذي أطلق عليه المفتش العام (inquisitor general)، ومنح المفتش العام حقَّ تعيين قضاة محاكم التفتيش بعد تصديقها من العرش الأسباني، وأسند هذا المنصب إلى القسِّ توماس دي توريكريمادا معترف الملكين الذي ترأّسه لمدة ١٨ سنة(٢٧٢).

أصبح الملكُ هو الرئيس الأعلى لمحكمة التفتيش التي كان ولاؤها للملك فقط، وهو الذي يستمع إلى شكاوي الخاضعين للتفتيش، ولذلك تبرّأت البابوية والكنيسة من مُمارسات وأساليب محاكم التفتيش(٢٧٣)، وهذا ما حدا بأحد الدارسين(٢٧٤) إلى القول بأنّ محاكم التفتيش بدأت

([270]) إسبانيا في تاريخها، ص٥٩٩، ٦٠٢

([271]) بسام اسخيطة، المرجع السابق، ص٢٠٦

([272]) عنان، المرجع السابق، ص٣٣٢

([273]) Adler, Op. Cit,p.511.

([274]) رمسيس عوض، محاكم التفتيش، دار الهلال، ٢٠٠١م، ص١٧.

كمحاكم كنسيَّةٍ ثُمَّ تطوَّرت إلى محاكم مدنية في تشكيلها وإدارها؛ لذلك لم يكترث توماس دي تروكيمادا بالقواعد والإجراءات الصَّارمة التي سنَّتها البابوية وتخلَّص توماس من أيٍّ سيطرة كنسية(٢٧٥)، واعتبره البعضُ أعظمَ سُلطةٍ بعد العرشِ في إسبانيا(٢٧٦).

يري أحدُ الدَّارسين(٢٧٧) أنَّ الملك فرديناندو لم يكن حريصاً على المسيحية ونقائها بقدر حرصه على النفع الذي يعود عليه شخصيّاً من جرَّاء توقيع العقوبة ؛ لأنَّ كُلَّ مُمتلكات المُهرطق تؤُول إليه، بل كانت ممتلكات المتهم تُصادَرُ قبل إدانته (٢٧٨)، وكان يلقي بالمتهمين في السُّجون انتظاراً للمُحاكمة ولم يكنْ مُنتظراً منهم الاعتراف بجرائمهم فقط ؛ وإنَّما توريط آخرين عن طريقهم، وكانت الاقامات تتضمَّنُ أشياءَ واضحةَ السّخفِ، مثل عدمِ إشعال نار في المترل يوم السبت في ظلِّ طقس دافئ ؛ بمعني تقديس السبت من جانب المُتحوِّلين(٢٧٩).

رفضت محاكم التفتيش الكشفَ عن الشُّهود المجهولين؛ أي الواشي (malsin) الذي يبلغ عن أهل دينه للسلطات المسيحية(٢٨٠)، ووصل الأمر في عام ١٤٨٥ م أنْ أمرت محكمة التفتيش في إشبيلية حاخام المدينة بالوشاية بأسماء اليهود المتحولين الذين يتردَّدون على المعبد اليهودي سرّاً، وتهديده بالعقاب الصَّارم إذ امتنع عن ذلك(٢٨١)، ويكاد يكون من المستحيل على المتهم أن يثبت براءته، علاوة على ذلك فإنَّ عقوبات محاكم التفتيش تُعتبرُ حكماً قضائياً

---

(275) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.8

(276) عنان، المرجع السابق، ص٣٣٣.

(277) Adler, Op. Cit, p.510.

(278) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.7.

(279) Ibid,p.6.

لا يسمح القانون ذوي الأجزاء السبعة للمسيحيين بإزعاج اليهود في يوم سبتهم " ونحن نأمر بألا يقوم أي قاض باستخدام القوة أو السلطة ضد اليهود يوم السبت ؛ فالأيام الأخرى كفيلة بأي مطالبات أو تكليفات بخصوصهم " راجع الملحق

(280) كاسترو، المرجع السابق، ص٦٠٢

(281) بسام اسخيطة، المرجع السابق، ص٢١٠

باتّاً يتضمَّنُ مصادرة الممتلكات، وإقصاء المتهم وعائلته عن عملهم [٢٨٢]، ومن يصر على عدم الاعتراف يحرم من الكنيسة ويرسل للمحرقة والمعترف بذنبه يسجن وتصادر أملاكه ويحرم من حقوقه[٢٨٣]، وجرت العادة على أن تؤول المصادرات إلى الكنيسة إذا كان المهرطق كاهناً أو خادماً في الكنيسة، أمَّا إذا كان المهرطق من خارج الكنيسة فإنَّ عائد المُصادرات تصبح من حقِّ الحاكم[٢٨٤].

خضعَ كبارُ رجال البلاط من اليهود المُتنصِّرين لمحاكم التفتيش، حيثُ كانت احدي أهم القضايا في سراقسطة عاصمة مملكة أراجون تتضمَّن اتِّهاماتٍ ضدَّ ألفونسو دي كابالاريرا Alfonso de la Caballeria نائب مستشار الملكة وأبيه، واستمرت حتى ١٤٩٢م[٢٨٥]، لذلك سعى اليهودُ المتحولون في قشتالة لوقف نشاط محكمة التفتيش بشراء الضمائر، أوقف اليهودي المتحول دييجو دي سوزان ١٠ ملايين دينار مرابطي لهذا العمل لكن ابنته وشت به لعشيقها المسيحي، وتمَّ نقله هو ومن معه من المتآمرين إلى الدير في ٦ فبراير ١٤٨١م، واجبروا على ارتداء ثوب العار الأصفر وأحرقوا أحياء، ونتيجة لذلك فر كثير من المتحولين الجدد إلى السادة الإقطاعيين في الريف في سبتمبر سنة ١٤٨٠م؛ الذين كانوا لديهم رغبة في حمايتهم، لكن قضاة التفتيش هددوهم بالحرمان من غفران الكنيسة ومصادرة الأموال؛ فما كان منهم أن سلموا اللاجئين[٢٨٦].

أحرق توماس دي توريكريمادا أعداد كبيرة من هراطقة المتحولين اليهود وأعداد كبيرة من كتبهم في سنة ١٤٩٠م، وأخذ يحث إيزابيلا على طرد جميع اليهود من قشتالة ما لم يتنصَّروا. ولكنها لم تستجبْ إلا بعد استسلام غرناطة لأنَّها كانت بحاجة إلى أموال اليهود في حربها مع

([282]) Haliczer, Op. Cit,p.38.

([283]) بسام اسخيطة، المرجع السابق، ص٢٠٤

([284]) رمسيس عوض، محاكم التفتيش، ص١١٢

([285]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.7,9

([286]) بسام اسخيطة، المرجع السابق، ص٢٠٥، ٢١٣، ٢١٤

المسلمين[٢٨٧]، ويقدر البعض عدد المتحولين الذين أدينوا فيما بين ١٤٨١-١٤٩٢م بـــ ١٣٠٠٠ تقريبا، واستمرت محاكم التفتيش حتَّي القرن ١٩م ؛ إذْ أُلغيت سنة ١٨٣٤م وهلك آخر ضحية لها سنة ١٨٢٦م[٢٨٨].

لم تكن محاكم التفتيش مَعنيَّةً كثيراً باليهود الذين مازالوا على دينهم، وإنَّما انصبَّ اهتمامها بشهادتهم الزائفة ضد المتحولين من بني جلدتهم باعتبارهم أصبحوا أعداء لهم، وبالتالي لم تهتم الرواية التاريخية اليهودية كثيراً بمحاكم التفتيش ولم تُوجِّه لها نقداً حقيقيّاً[٢٨٩] ؛ فيما عدا حالة وحيدة التي كان أحد المتهمين فيها من اليهود هي قضية اغتيال الطفل المقدس جوارديا سنة ١٤٩٠م إذا اتُّهم بشهادة الزور[٢٩٠]، والتمس يهود أفيلا التي جرت فيها المحاكمة من الملكيين فردناندو وإزابيلا حمايتهم، فوافقا رُبَّمَا لشكِّهما في عدم صدق الاتهامات[٢٩١]، في حين أنَّ قانون البنود السبعة أعطى مصداقية للقصص الشعبي لطقوس القتل اليهودي على أنْ يكون الملك هو صاحبُ الحقِّ الوحيد في تنفيذ عقوبة القتل " وحيث نسمع عن بعض اليهود في بعض المناطق مازالوا يحتفلون بيوم الجمعة، والذي يجسد معاناة سيدنا يسوع المسيح، ويسرقون الأطفال ويصلبونهم، ويأخذون صورهم على الشمع ويصلبونهم حين لا يستطيعون الحصول على أطفال، فإننا نأمر بأنه في حالة حدوث شيء من هذا في أيِّ مكانٍ تابع لنا، وإثبات ذلك، يكون كل الحاضرين أثناء ارتكاب هذا العمل عرضة للاعتقال والمثول

---

(287) نفسه، ص٢١١

(288) Katz, Op.cit ,p.37.

(289) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.7

(290) تعود نزعة معاداة السامية إلى عصر الإصلاح الجريجوري والحملة الصليبية الأولي فمنذ منتصف القـــرن ١٢ ظهـــرت افتراءات الدماء ؛ وهي أساطير تتحدث عن قيام اليهود بطقوس لذبح الأطفال المسيحيين، مما زاد من الكراهية الـــشعبية ضد اليهود، راجع، كانتور، التاريخ الوسيط، ص٤٩١

(291) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.7

أمام الملك، وحين يتأكد الملك من إدانتهم يأمر بإعدامهم بطريقة مهنية، مهما كان عددهم". [٢٩٢]

الطَّرْدُ ١٤٩٢م :

ظهرت محاولات طرد اليهود من إسبانيا المسيحية مبكراً، وتوالت القرارات والتشريعات التي تُندِّدُ باليهود وتُطالبُ بطردهم أو تنصيرهم ؛ مثل القرارات التي سبق الحديث عنها من جانب الملوك القوط[٢٩٣]، كما دخلت البلديات أيضاً في سباق التشريعات والقوانين التي تندد بسكانها اليهود وتطالب بطردهم، مثلما صدر عن مجلس بلدية طليطلة الذي يقطنها أكبر جالية يهودية في ذلك الوقت الفرمان رقم ١٧، ١٨ في ٩نوفمبر ٦٩٤م وبِمُقتضاه وافق برلمان المدينة على طردهم خارج البلاد[٢٩٤].

لم تُفلحْ ترسانةُ القوانين والتّشريعات التي صدرت للحدِّ من نُفُوذ اليهود وسلطانهم الاقتصادي حتَّى قُبيل الطَّردِ بعُقُود، وكُلَّما شكَت العامة منهم كان العلاجُ هو المزيد من القوانين، على عكس ما فعلت انجلترا وفرنسا ؛ ففي انجلترا وقبل مائة عام من الثورة الشعبية ضد اليهود في إسبانيا طرد الملك إدوارد الأول اليهود من بلاده سنة ١٢٩٠م، وأمر حُكَّام المُقاطعات بتأمينِ مُغادرةِ اليهود للمملكة في غُضون مُدَّةٍ لا تزيد عن أشهر؛ بدأت في الأول من نوفمبر، والسماح لهم بأخذ ممتلكاتهم المنقولة وإعلان جميع المسيحيين لاسترداد رهوناتهم قبل موعد رحيلهم، وما لا يتم تحصيله يُصبح من ممتلكات الملك وكذلك بيوت اليهود ؛

---

(292) - راجع القانون رقم ٢ بالملحق

(293) Roth, Norman, Jews, Visigoths and Muslims in medieval Spain,p.13; Goulven, notes sur les origins des Israelites,p.303.

(294) Goulven, Op. Cit,p.303.

فغادر المملكة ١٦٠٠٠ يهودي تقريباً(٢٩٥)، ثم طالهم الطرد من فرنسا على يد الملك فليب سنة ١٣٠٦م، وفي كُلِّ الأحوالِ كان الغضبُ الشَّعبيُّ هو مُحرِّكُ الأحداثِ ضدَّ اليهود(٢٩٦).

استمرَّت الحياة كالمعتاد بالنسبة لليهود في إسبانيا المسيحية بغضِّ النَّظرِ عمَّا يحدثُ لإخوانهم في الدُّول المُجاورةِ، وخلال العقدين الأخيرين من القرن ١٥م، ظلُّوا يعملون كموظَّفين في جبايةِ الضَّرائبِ بالمُدُنِ والقُرَى، ؛ فعلى سبيل المثال كان هناك يهودٌ يعملون في جمعِ الضَّرائبِ الكنسية في طليطلة فيما بين سنة ١٤٨٠-١٤٩٠م، واستمرُّوا في رفع الدَّعاوي بالمحاكم، وكسب القضايا ضدَّ المسيحيين، وكانت لهم أملاك وأعمال تجارية كالعادة بالمشاركة مع المسيحيين حتى ما قبل النهاية بقليل، وفي الوقت نفسه كانت هناك علامات تنذر بالخطر؛ ففي مدن مثل بلنسية وأفيلا كان بعض الفرسان وغيرهم قد هاجموا اليهود وممتلكاهم لكن جهود الملوك والكنيسة في احتوائها كانت تقلل من أثارها(٢٩٧).

تقاعست الحكومات في تنفيذ القوانين الصَّادرة بحقِّ اليهود خاصة في إسبانيا المسيحية، ولمَّا كانت الحكومات هي السُّلطة المُنفِّذة لهذه القوانين ؛ فإنَّ تقاعسها طُوال هذه المدة الطويلة جعل الشعب ينتفضُ لطردهم من الممالك المسيحية؛ ممَّا مثَّل قوةَ ضغطٍ هائلةٍ على الملكين فرديناندو وإزابيلا؛ فاستجابا للضَّغطِ الشَّعبي، وأصدرا القرار الذي تم توقيعه منهما في مدينة غرناطة في ٣١ مارس ١٤٩٢م في قاعة السفراء بقصر الفردوس الذي يمثل قمة الفن والبذخ المغربي، وهي نفس القاعة التي اتُّفقَ فيها بالسَّماحِ لكولومبس بالبدء في رحلته إلى أمريكا أخريات سني القرن الخامس عشر الميلادي، ووقع أيضا سكرتير الملك والملكة جوان دي كولون على القرار الذي منحهم مهلة حتى أخر يوليو للرحيل(٢٩٨).

---

(295) زينب عبد المجيد، المرجع السابق، ص١٠٨

(296) Wolff, Op. cit,p.5.

(297) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.14

(298) Oliva Constable , Medieval Iberia , Reading From Christian, Muslim and Jews sources, university of Pennsylvania Press ,Philadelphia 1994,pp.352-356, Katz, a brief journey through Spanish Jewish history,p.39.

ينصُّ البندُ الرابع من قرار الطَّردِ على " أنّنا بعد استشارة كبار رجال الدين والنبلاء والمشهود لهم بالحكمة والثقافة في المجلس ؛ قرَّرنا توجيه أوامرنا لليهود من الرجال والنساء في مملكتنا بمغادرة البلاد وعدم العودة مرة أخري إلى أيَّةِ منطقة تابعة لنا ... على أن يكونوا بنهاية شهر يوليو القادم من العام الحالي قد غادروا ممالكنا وأراضينا بأكملها"(٢٩٩)، ووضع الملكين اليهود تحت الحماية الملكية في الفترة المُقرَّرة، مع منحهم الفرصة في تصدير بضائعهم ومتاعهم بالبحر أو بالبر، فيما عدا العملة والذهب والفضة أو أيِّ أشياءٍ ممنوعةٍ(٣٠٠).

حاول اليهود بشتى الطرق الحيلولة دون تنفيذ القرار، وفي غرناطة، وفي نفس القاعة التي وقع الملكان فيها قرار الطرد حاول كل من السيد اسحاق ابرافانيل Don Isaac Abravanel وابراهام سينور Abraham Seneor إقناع الملكين بالعدول عن قرار الطرد مقابل تقديم مبلغ مالي كبير، تُخبرُ الأسطورةُ أنَّه أثناء المفاوضات اندفع توماس دي تروكمادا Torquemada إلى القاعة حاملاً الصليب وسأل الملكين عمَّا إذا كانوا مثل يهوذا Judas الذي خان ربَّه من أجل المال(٣٠١). لم تجد الإغراءات المالية هذه المرة سبيلها إلى البلاط في ظل الظروف المشتعلة من جانب الشعب والمُتعصِّبين من رجال الكنيسة، لذلك لم يجد ابراهام سينور أمامه إلا التحول(٣٠٢)، أما ابرافانيل فارتضى الرحيل إلى المنفي بدينه(٣٠٣).

باع اليهودُ منازلهم وأراضيهم ومواشيهم ولم يسمحْ الملك لهم بحمل الذهب والفضة والأحجار الكريمة والخيول والأسلحة خارج إسبانيا، ويبدو أنَّ فرديناندو وإزابيلا أرادا إلا تتكرر فعلة خروجهم من مصر بما نهبوه من ذهب البلاد لحظة خروجهم، لذلك بدَّلوا الذهب

---

(299) انظر البند رقم ٤ من القرار بالملحق

(300) انظر البند رقم ٥ من القرار بالملحق

(301) يهوذا الإسخريوطي أحد تلاميذ المسيح الأثني عشر لكنه خان المسيح

(302)Meyerson, Op. cit,p.133

(303)Katz, Op. Cit,P.39.

والفضة بالملابس والجلود وأشياء أُخري(٣٠٤)، وعلى الرغم من أنَّ القرار منح اليهود حقَّ ببيع ممتلكاتهم واصطحاب بضائعهم فإنْ ضيق الوقت اضطر الكثير منهم إلى التَّعثُّرِ في بيع أصولهم العقارية وغيرها من الممتلكات الثابتة(٣٠٥).

مثَّلَ قرارُ الطَّردِ من جانب الملكين نُزولاً على الإرادة الشعبية التي تبغضُ اليهودَ، ممَّا يعني أنَّ فكرة طردهم لم تكن تدور بخَلَدِ المَلِكَيْنِ(٣٠٦)، لذلك أمر الملكان القساوسة بالتَّبشير بين اليهود في إسبانيا والإلحاح عليهم بالتحوُّلِ عن دينهم مقابل البقاء في أماكنهم لم يمسسهم ضُرٌّ، ودَّ الملكان تحويل اليهود وليس طردهم، والغالب على الظَّنِّ أنْ يكون التحويل هو الهدف الأساسي من إصدار قرار الطرد، إذ كانت لديهما ثقة كبيرة في أنَّ الأغلبية الكبيرة من اليهود سوف تقبل بالتحوُّلِ، لذلك ظلَّ الهدفُ من القرار هو الطَّردُ في المقام الأول ثم بعد ذلك التحويل، لكن معظم اليهود اختاروا التحوُّلَ بدلاً من الطَّردِ، خاصَّةً بعد تحوُّلِ زعيمهم ابراهام سينور (٣٠٧).

احتشدتْ قطاعاتٌ كبيرةٌ من الشَّعبِ لتأييد قرار الطرد، وانضمت النخبة المثقفة إلى العامة، كما انضمَّ الشَّبابُ الثَّائرُ، ومعهم بالطَّبع أصحاب حركة الإصلاح الديني في الكنيسة – في سنة ١٤٨٩م كان هناك ١٢ حركة إصلاح ديني- فقد ساد مملكتي أراجون وقشتالة النزعة العنصرية والتَّحامُل الديني ضدَّ اليهود في ذلك الوقت، وأصبحت مسألة طردهم تمثل المصلحة العليا للوطن(٣٠٨)، والغريبُ في قرار الطرد أنَّ الملكين استندا في طردهم إلى سببٍ واهٍ ؛ وهو

([304]) Marx, The Expulsion the Jews from Spain, Jewish quarterly Review, vol. . 20,N2,Jan1908,pp.245

([305]) Meyerson, Op.cit,p.132

([306]) كاسترو، إسبانيا في تاريخها، ص٥٧٤

([307]) Meyerson, Op. Cit,p.133

([308])Haliczer, Op. Cit ,p.35,36

قيام اليهود بالتهويد داخل التُّرابِ الأسباني(٣٠٩)، وهو أمرٌ من الصعوبة بمكان أن يتمَّ التَّهويدُ داخل مجتمع كاثوليكي مُتعصِّب، فضلاً عن انغلاق اليهودية على نفسها، وربَّما اعتقد الملكان أنَّ عودة المتحوِّلين اليهود إلى اليهودية مرة أخري هو نوعاً من التهويد " إذا قاد سوء الطالع أحد المسيحيين إلى اعتناق اليهودية، فإننا نأمر بإعدامه كما لو كان مهرطقاً، وتترع ملكيته مثلما الحال في جريمة الهرطقة "(٣١٠).

حملت المراكب اليهود من جميع مدن أراجون وقشتالة فكانت موانئ مالقة والمرية هي منفذ المهجرين القادمين من غرناطة، وموانئ قادس وجبل طارق منفذ المطرودين من أندلسيا، وقرطاجنة وبلنسية للقادمين من قشتالة(٣١١)، واتَّجه أغلبهم إلى أقطارٍ إسلاميَّةٍ، وكان أغلبهم من طبقة العامة، وهو ما يُفسِّرُ تمسُّكَ الفقراء والمهمشين بالدِّين أكثر من الطبقات الأخرى التي فضَّلت التَّحوُّل إلى المسيحية والبقاء في إسبانيا(٣١٢). رست المراكب بكثيرٍ من اليهود المنفيين على الأراضي الإسلامية(٣١٣) في موانئ الشمال الإفريقي القريبة من إسبانيا، كما رحل البعضُ إلى هولندا وفرنسا والبرتغال، كما وصلوا الموانى التابعة للإمبراطورية العثمانية مثل رودس وكريت وسالونيك(٣١٤) وفي القسطنطينية استقبلهم السلطان بايزيد (٣١٥) .

استقبل حكام الشمال الأفريقي المطرودين بترحابٍ، وخلال فترة بسيطة استطاع كثير من اليهود أن يصل إلى مناصب مهمَّةٍ في المدن التي أقاموا فيها(٣١٦)، ويؤكِّد اثنان من المؤرخين

---

(309) راجع البند رقم ٢ بالقرار بالملحق

(310) راجع القانون رقم ٧ بالملحق من

(311) حاييم زعفراني، يهود الأندلس والمغرب،، ترجمة أحمد شحلان، الدار البيضاء ١٩٨٧م ص٢٩٦ هوامشها

(312) Hirschberg , Op.cit, pp.407,409 ,

(313) Hirschberg , Op.cit frica, pp.407,

(314) Katz, Op.cit,pp.37,38.

(315)www.jewishvirtuallibrary.org

(316) افيفا مولر لنتسط، حياة اليهود في مراكش، القدس ١٩٨٣م (بالعبرية)، ص٨٦

اليهود(٣١٧) المُهتمين بتاريخ بني جلدهم في الشمال الإفريقي على ترحيب السلطان الوطاسي محمد الشيخ (١٤٧٢-١٥٠٥) بالمهاجرين اليهود، وإفساح المجال لهم في كل بلاد المغرب، وخصوصاً مدينة فاس التي كثر اليهود بها، وهناك إشارات من مصادر يهودية على المواقف الودية من جانب ملك فاس، على الرغم ما يقال كثيرا عن القسوة والأخطار التي صادفتهم في بلاد المغرب، بعكس ما حدث من الملوك الكاثوليك الذين احتلُّوا الشمال الإفريقي بعد ذلك حيثُ تعرَّض المهاجرون اليهود لظُروفٍ مأساوية عندما وقعت وهران وطرابلس وبجاية في قبضة الملوك الكاثوليك بين سنتي ١٥٠٩-١٥١٠م وبعد ذلك في المدن الأخرى، وجد بعضُ اليهود فارقاً كبيراً بين ما كان عليه في إسبانيا وما أُتيح له في مهجره الجديد، فقرَّر أنْ يُضحي باليهودية ويعود مرة أخري إلى إسبانيا مُتنصراً(٣١٨).

استقبل اليهود المُستقرون في شمالي أفريقيا بعد أحداث ١٣٩١م إخوانهم، وتعانوا على تسهيل إقامتهم(٣١٩)، وقدَّمُوا لهم مُساعداتٍ لوجستيَّةٍ، حيثُ كان بعضُهم قد شغل مناصب في البلاط ؛ مثل أبرهام نائب الملك في المملكة الزيانية، الذي كانت له اليد الطُّولي داخل المملكة، فدعا الكثير منهم للقدوم إلى تلمسان وقدم لهم مساعدات جمَّة، ومثله حدث في مدن مغربية أخري؛ خاصَّة أنَّ العديد من اليهود تقلَّدُوا مناصب كبري داخل البلاط ؛ فعلى سبيل المثال في الدولة الحفصية كان هناك يهودي من حاشية الملك في بجاية، وعمل آخر في البلاط مبعوثاً دبلوماسياً، وقدَّم هؤلاء والمجتمع اليهودي في الشمال الإفريقي مساعدات لإخوانهم المنفيين(٣٢٠)، لكنهم وضعوا عراقيل أمام المطرودين حتى لا يشغلوا مناصب دينية هامة داخل الطائفة، وتم تفريغ لقب كوهن من كل الامتيازات لمن كان يحمله منهم(٣٢١).

---

(317) حاييم زعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة : أحمد شحلان، الرباط٢٠٠٢م، ١ص٣٠١، ٣٠٦ ؛ Hirschberg, Op.cit,p.404

(318) Marx, Op.cit,pp.255

(319) Slouschz, Op.cit,p.404

(320) Hirschberg , Op.cit,407,478,

(321) حاييم زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، ص١٢٣-١٢٤

بالغ اليهود في المأساة التي ألَّمت بهم حال خروجهم مطرودين من إسبانيا المسيحية، وخرجت المراثي تنعي الذين قضوا نحبهم في البحر والذين هاموا على وجوههم في البلاد عرايا تتخطَّفهم السِّباعُ، والذين ماتوا من الجوع، ومنها مرثية تقول بأن " وصل إلى مملكة تلمسان ١٢٠٠٠ سقط منهم حوالي ٣٠٠٠ ميتاً، وسار آخرون في الأسواق والطُّرقات عرايا بدون ملابس ... وسادت المجاعة بينهم في هذا العام ودارت الدوائر عليهم، ممَّا اضطر عددٌ كبيرٌ منهم ممَّنْ لم يتحمَّل هذا العناء إلى العودة إلى قشتالة وقبول التنصير " وفي مكان آخر تقول " ذهب الكثير من اليهود المنفين إلى الأقطار الإسلامية مثل فاس وتلمسان والأقاليم البربرية تحت حكم ملك تونس، ولم يسمح المسلمون لهم بالإقامة في مدنهم، ومات الكثير منهم في الحقول من الجوع والعطش ونقصٍ في كُلِّ شيءٍ"(٣٢٢).

ويمتطي بعض الكتاب خيالهم ليضخموا من معاناة المطرودين الواصلين للشمال الأفريقي مثل ماركس Marx(٣٢٣)، الذي يزعم أنَّ اليهود الذين اتجهوا إلى تونس لم يُسمحْ لهم كثير من المسلمين بالدخول إلى مدنهم، وماتوا في الحقول من شدة الجوع والعطش والعوز، وتخاطفتهم الأُسود والدببة ؛ التي كانت موجودة بكثرة في هذه البلاد بينما كانوا يتضورون جوعاً خارج تلك المدن.

وتفنيد هذه المزاعم أمرٌ يسيرٌ، فما كان أسهل على مسلمي الشمال الإفريقي من منعهم من النزول إلى الموانئ، ناهيك عن التهويل في قطع الأسود والدببة للطرق في البلاد، وإن دحر مزاعمه بنفسه حين رصد ترحيب مسلمي الشمال الإفريقي بهم عندما قال في ثنايا مقاله:" أن عند قدومهم إلى تلمسان كان نائب الملك الزياني من اليهود ويدعى إبراهام؛ وهو الذي بيده الأمر والنهي في فترة قدومهم ؛ فأكرم نزلهم وأنفق مبلغاً كبيراً من المال لمساعدتهم "، وقوله كذلك" عندما وصلوا إلى أملاك الدولة العثمانية رحبوا بهم لأنَّهم حرفيين "(٣٢٤).

---

(322) Hirschberg , Op.cit,406

(323) The Expulsion the Jews from Spain,pp.255,256

(324) Marx, Ibid,pp.255 ,

رحب المسلمون بالمطرودين، وأقرضوهم المال وسهَّلوا لهم الحصول على الأراضي، بعكس ما فعله معهم ملاحين جُنوه الذين سلبوهم، وسلّموا بعضهم للقراصنة، والقليل منهم الذي وصل إلى مدينة جنوا ذاق الأمرين من سكانها، فقد انتزعوا الأطفال الرُّضَّع من على أثداء أمهاتهم، أمَّا الهجرة إلى مملكة البرتغال المجاورة فكان على الفرد أن يدفع قطعة ذهبية وأربع قطع على ما يحمله من متاع مقابل السماح لهم بالإقامة في المملكة لمدة ستة شهور فقط، ومَنْ بقي بعد المدة المقررة في المملكة يصبح عبداً(٣٢٥).

أصدر فرديناندو مرسوما من برشلونه يسمح بعودة اليهود الذين رحلوا بشرط تقديم الدليل على أنَّهم تنصروا، وظلَّت رحلات العودة مرة أخري إسبانيا حتى سنة ١٤٩٩م شريطة التعميد خارج البلاد، أو على الحدود عند الدخول، وحينذاك يحقُّ لهم استرجاع أملاكهم بنفس السعر الذي باعوها به(٣٢٦)، فقد كان من الصعب على اليهود الأسبان المتحضرين الاندماج في المجتمع المغربي الأقل تحضراً(٣٢٧)، وظلَّ الحزن مُلازماً لليهود المنفيين في الشمال الإفريقي على الخروج من إسبانيا، وكانوا يُعبِّرون عن ذلك بعدم ارتداءهم معطف الصلاة (الثاليث) في صلاة يوم السبت(٣٢٨).

من الصعب رصد عدد المطرودين من مملكتي أراجون وقشتالة سنة ١٤٩٢م في ظلّ عدم وجود إحصاءٍ رسميٍّ حتى للسكان الأصليين في المملكتين فما بالك بعدد اليهود، لكنَّ المؤرخون اجتهدوا في رصد تقديرات متفاوتة غلب تضخيمها من جانب الكتاب اليهود للمغالاة في حجم المأساة كما هي عادتهم، لكن محاولة التقدير الجديرة بالعرض هي ما قدمه Philippe Wolff عن

---

(325) Loc. Cit.

(326) Meyerson, Op.cit,pp.132,133 وعلى سبيل المثال في سبتمبر ١٤٩٢ منح الملك فرديناندو المتحولين الجدد الذين عادوا إلى روسيلو Roussillon وكردانيا Cerdagne وهما مدينتان حدوديتان مع فرنسا حمايته وكذلك حماية ممتلكاتهم من المضايقة والإجراءات القانونية لفترة الثلاثة شهور

(327) Slouschz, Op.cit,,p.306.

(328) حاييم زعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ١ ص٢٩٨

يهود قشتالة ويقدرهم خلال القرن ١٤م بحوالي ١٧٥٠٠٠نسمة أي بنسبة ٣-٥% من عدد سكان المملكة، أمَّا في أراجون فيقدرون بحوالي ٦٠٠٠٠ نسمة بنسبة ٦-٧% من عدد السُّكان(٣٢٩)، وإذا سلَّمنا جدلاً بهذه الأعداد، فإنَّ الذين خرجوا بقرار الطرد يقلُّ كثيراً عن هذه الأعداد ؛ لأنَّ الكثير منهم ارتضوا التحويل حتى لا يخرجوا من إسبانيا.

ويُحاولُ أحدُ المؤرخين اليهود (٣٣٠) تقدير عدد المتحولين واليهود معاً في مدينة إشبيلية سنة ١٤٧٣م أي قبل الطَّردِ بعشرين عاماً من خلال فرضيات اعتمد فيها على وثيقة قَدَّرت أعداد المُتحوِّلين واليهود معاً بـــ٤٠-٤٥ألف نسمة في المدينة، بينما قدرت عدد السكان الكلي في ذلك الوقت بـــمائة ألف نسمة، ومع ذلك لم يستطع فصل أعداد اليهود عن المتحولين منهم، ولو افترضنا جدلاً أنَّ اليهود كانوا نصف عدد المتحولين في المدينة، ممَّا يعني ٢٠ ألف نسمة سنة ١٤٧٣م، وحتماً تناقص هذا الرقم كثيراً عند صدور قرار الطرد بسبب المتحولين .

ويستعرض Marx (٣٣١) عدد المطرودين من مملكتي أراجون وقشتالة مُستنكراً التفاوت الكبير بين هذه التقديرات التي قد تصل إلى الملايين(٣٣٢)، لكنَّه حاول تقديم عددٍ معقولٍ ؛ اعتماداً على شهادة أحد المهاجرين اليهود إلى البرتغال سنة ١٤٩١م الذي قدَّر عدد الأسر اليهودية التي تركها في مملكتي أراجون وقشتالة بحوالي ٤٠ ألف أسرة في متوسط أربعة أفراد أو خمسة للأسرة يكون عدد المطرودين فيما بين ١٦٠ألف إلى٢٠٠ ألف فرد تقريباً، ويمكن الاستناد إلى هذا التقدير في

---

(329)Wolff, Op.cit,,p.6

(330) Benzion, Op.cit,,pp.260-264

- اعتمد الكاتب على وثيقة قدمها أحد المؤرخين يدعي ألونسو البلنسي تقدر أعداد مليشيات المارانوس واليهود الذين انضموا لــبني جلدتهم في صراعهم مع المسيحيين القدامى في إشبيلية سنة ١٤٧٣م بحوالى ٣٠٠ فارس من المليشيات السرية و٥٠٠٠ من المـــشاة، والمؤكد أن مجتمع من ٤٠-٤٥ ألف نسمة يستطيع حشد ٥٣٠٠ شخص مقاتل.

(331) The Expulsion the Jews from Spain, ,pp.245—246.

(332) بعض المؤرخين المغاربة المحدثين يشير إلى عدد اليهود المهاجرين إلى المغرب فقط فيما بين ١٣٩١-١٤٩٢م وصـــل إلى ١٥٠٠٠٠ راجع، محمد الحبيب بن خوجة، يهود المغرب العربي، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية، القاهرة ١٩٧٣م، ص٣٣

تصور أعداد اليهود في المملكتين قبل قرار الطرد، أمَّا الذين خرجوا من إسبانيا بعد قرار الطرد فأقل من ذلك بكثير .

تباري الكتاب اليهود في التدليل على كثرة المطرودين باقتراح أعداد دون الارتكان إلى حجة أو الإتيان بدليل، ولكنها استنتاجات بعيدة عن الواقع ، وتغافلوا عن أعداد المتحولين الذين تحولوا على إثر قرار الطرد، رغم أنَّ أعدادهم فاقت أعداد المطرودين بكثير، باعتبار التحويل وصمة عار لذلك ينبغي تجاهله، لكن القادة الروحين لليهود التمسوا الأعذار لهم، وكتبوا لهم عن كيفية التحايل على هذه المشكلة عندما وصلتهم من هؤلاء المتحولين رسائل تشكوا لهم التحويل بالقوة مثل الرسالة التي أرسلها رئيس اليهود في القسطنطينية إلى يهود إسبانيا سنة ١٤٩٢م ؛ إذ جاء في هذه الرسالة :

جاء في الرسالة " حيثُ إنَّكم تقولون أنَّ ملك إسبانيا سوف يُنصِّرُكم، فعليكم فعل هذا لأنَّه لا بديل أمامكم، وحيث إنَّكم تقولون أنَّهم يجردونكم من ممتلكاتكم، اجعلوا أبناءكم تجاراً بحيثُ يمكنكم رُويداً رُويداً أن تأخذوا ممتلكاتهم، وبما أنَّكم تقولون أنَّهم يسلبون حياتكم، اجعلوا أبناءكم أطباء وصيادلة حتى يُمكنكم إنهاء حياتهم، وحيثُ تقولون أنَّهم يُدمرون معابدكم، اجعلوا أبناءكم قساوسة ولاهوتيين حتى يمكنكم تدمير كنائسهم، وبقدر ما يخص متاعبكم الأخرى، اجعلوا أبناءكم إداريين ومحامين ومستشارين، ودعوهم يشاركون في شئون الدولة بحيث يمكنكم الفوز بالأرض"[٣٣٣].

تنمُّ هذه الوصايا عن حقدٍ دفينٍ للمسيحية في إسبانيا وتحاول أن تبرر للمتحولين التنصير صُوريا مع الحفاظ على يهوديتهم سرّاً، والعمل الجدي على تملك ناصية المجتمع اقتصادياً وعلميّاً وإداريّاً حينذاك يمكنهم أنْ يُجهِّروا باليهودية ويُقوِّضوا المسيحية. حاول هويتكروفت التشكيك في صحة الرسالة لما فيها من أساليب مُنافية للقيم جاءت من رجلِ دينٍ، محاولة منه للدفاع عن بني جلدته، لكن الأحداث التاريخية وما فعله اليهود يؤكد على صحة الرسالة ؛

([333]) هوتيكروفت، الكفار، ص١٣١

فقد أصبحوا تجاراً وأطباء وقساوسة وامتلكوا الثروات والأراضي، كما جاء في نهاية الرسالة الحض على الفوز بالأرض وهي هاجسهم دائما منذ النبي موسى عليه السلام.

يُنكرُ نُوبل[٣٣٤] الآثار الاقتصادية الناجمة عن الطَّردِ؛ لأنَّ مُعظم المطرودين كانوا من الحرفيين أو الباعة، أمَّا الطبقة البرجوازية فقد اختارت التعميد، وكذلك نورمان روث[٣٣٥] يقول " لم يُفلسْ الاقتصاد الأسباني ولا حتَّى تأثَّر قليلاً بطردِ اليهودِ " ؛ فقد أعدَّ المَلِكَان خُطَّةً عاجلةً لاستبدالِ جُبَاةِ الضَّرائب اليهود بمسيحيين تدريجيّاً، وكذلك معالجة الهِزَّاتِ الاقتصاديَّةِ والمالية التي قد تعصف بالتاج نتيجة طرد اليهود من أعمالهم في هذا المجال، والتي ظلت في أيدهم فترة طويلة[٣٣٦].

فوض الملك فريناند في أراجون محاكم التفتيش الاستيلاء على ممتلكات اليهودية الفردية والجماعية وفاءا للعائلات الملكية، وباءت جهود اليهود في تحويل بضائعهم في صورة نقد أو ترك ودائعهم مع أصدقائهم المسيحيين لبيعها وإرسال النقد لهم في الأماكن الجديدة التي يستقرون فيها بالفشل لأنّ البلاط أبطل التحويل وصادر الودائع[٣٣٧].

اختار اليهود بعد قرار الطرد بين أمرين أحلاهما مُرّاً ؛ إمَّا التنصير والانخراط في المجتمع المسيحي الذي ينظر إليهم كانتهازيين تركوا دينهم لقاء الحياة الدنيا، وبالتالي يعاملونهم كمواطنين من الدرجة الثانية مشكوك في مسيحيتهم، وإمَّا الهجرة إلى المجهول وتحمل عذابات السفر وكآبة اللقاء ومذلة الاغتراب . جني اليهود مرارة عملهم أكثر من ١٢ قرنا من الزمان فلا ذابوا في المجتمع الأسباني، ولا اختاروا لأنفسهم طريقاً واضحاً في التعامل مع الآخرين، فقد تقلبت وجوههم ومشوا دائماً في ركاب المنتصرين من أصحاب السلطة، فأصابهم بغض العامة من الشعب لعسفهم في جمع الضرائب رغبة في إرضاء البلاط والطبقة الارستقراطية أصحاب الأرض والنفوذ والمنافع، وطالما التحفوا بحماية الملوك والكنيسة ما قدروا، وصدقت مقولة

([334]) The Expulsion of the Jews of Spain,pp.44-47

([335]) Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492,p.14

([336]) Haliczer, Op.cit,,p.56

([337]) Meyerson, Op.cit,on,p.132

كاسترو التي شبه فيها اليهودي بالإخطبوط الذي أحاط بأذرعه الشعب، واعتصر الملك والنبلاء .

أقال المسلمون في شمالى أفريقيا عثرة اليهود للمرة الثالثة على مرِّ التاريخ بقبولهم في أراضيهم بعد طردهم من إسبانيا ١٤٩٢م ؛ فقد كانت المرة الأولي قبيل الفتح الإسلامي لإسبانيا، عندما عبروا هاربين من عسف القوط، وكانت الثانية عندما أعادوا لهم اعتبارهم في شبه الجزيرة الإيبيرية، وجاءت الثالثة من قبل الدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية حال خروجهم من إسبانيا ؛ إذ حذت حذو مسلمو الشمال الأفريقي ورحَّبت بهم على أراضيها.

وفي النهاية فشلت كل محاولات عزل اليهود عن المجتمع المسيحي داخل مملكتي قشتالة وأراجون قبل قرار الطرد سنة ١٤٩٢م، وقد تذرع الملكان فرديناندو وإزابيلا بأن قرار الطرد كان خشية اختلاط اليهود بالمسيحيين، لكن السبب الحقيقي هو سيطرتهم على النشاط المالي، وممارستهم المُستفزة للقروض الرُّبُويَّةِ، وقربهم من البلاط، الأمر الذي زاد من حالة الغضب الشعبي؛ التي استغلَّها الرُّهبانُ المُتعصِّبين في حشد العامة لإشعال ثورة ضد اليهود سنة ١٣٩١م، نجم عنها تحول الكثير من اليهود إلى المسيحية خاصة الطبقة العليا والمتوسطة ؛ حتى لا يفقدوا مواقعهم داخل المجتمع ؛ فلم يكن دخولهم المسيحية عن قناعة وإنما لتحقيق أهدافهم.

واللافت للنظر هو تحول عدد من القادة الدينيين اليهود، الذين احتلوا في دينهم الجديد درجات الأسقفية والرهبنة، وكانوا أشد وطأة على بني جلدتهم من المسيحيين أنفسهم، فقد حرضوا ضدهم الحكام، وانتقموا منهم شر انتقام؛ لذلك لعبتْ الدِّعايةُ اليهوديَّةُ دوراً كبيراً في تضخيمِ المأسَاةِ التي تَعَرَّضَ لها اليهود على مرِّ العُصُورِ، ونسجَ المُؤرِّخُون اليهود أساطيرَ عَنْ مُعَاناتِهم لا تَمُتُّ إلى الحقيقيةِ بصلَةٍ، فقد كانت آخرَ الدُّولِ التي طرَدَتْهُمْ من بلادِهَا في أُخرياتِ العُصُورِ الوُسطي؛ لأنَّ اليهود – كعادَتِهِمْ- راهنُوا على الاحْتِمَاءِ بالسُّلْطَةِ كَمَا هُمْ دائماً؛ فتوغَّلُوا في بَلاطِ الحُكَّامِ، وحَاكُوا المُؤامَراتِ وتَلَوَّنُوا وتَبَتَّلُوا عندما كان ذلك مُمْكِناً،

حتَّى أَنَّهم اِرْتَدُوا مُسُوحَ الرُّهبانِ، واِعْتَلُوا مَنَصَّاتِ الوَعْظِ؛ لإقناعِ بني جِلْدَتِهِمْ اليهود بالتَّحَوُّلِ إلى المسيحيَّةِ، مِمَّا سَاعَدَ على زيادةِ أعدادِ المُتحوِّلين منهم.

خرجت الكثير من القوانين والتشريعات بعد ثورة ١٣٩١م بشأن اليهود، كما تم تفعيل القوانين القديمة التي تحد من حركة اليهود داخل المجتمع ؛ بيد أنّها سرعان ما كانت تنكسر على صخرة الرشوة والمال، وعندما صدر قانون محاكم التفتيش انصب على المتحولين وليس اليهود إلا في حالات نادرة، كما تم الاستعانة بهم كشهود أو وشاة، وكان الغرض من هذه المحاكم هو بت الصلة بين المتحولين والدين اليهودي، ورغم أن العقوبات كانت رادعة، وهي حرق المهرطق حيّاً، إلا أنَّ الكثير من المتحولين عادوا مرة أخري إلى اليهودية عندما تركوا إسبانيا .

مجمل القول أن اليهود خرجوا من إسبانيا مطرودين عقب خروج المسلمين رغم ما قدموه للملكين من مساعدات في استرداد مملكة غرناطة الإسلامية، عندما استجاب البلاط للضغط الشعبي والكنيسة في إصدار قرار الطرد. حاولت الدعاية اليهودية المبالغة في أعداد المطرودين، وغض الطرف عن الذين تحولوا وفضلوا البقاء في إسبانيا باعتبارهم وصمة عار في تاريخ اليهودية، واستقبلت موانيء المسلمين مراكب المطرودين وقدَّمت لهم العون وصرحت لهم بالإقامة على عكس بعض الدول الأوربية المسيحية التي باعتهم للقراصنة.

ملاحق البحث

ملحق رقم (١)

القانون ذو الأجزاء السبعة

هو أحدُ أكثر القوانين تميُّزاً خلال العصور الوسطى . وهو مكتوبٌ بالقشتالية، وتمّ جمعه حوالي سنة ١٢٥٦م، تحت إشراف ألفونسو العاشر، الحكيم القشتالي ١٢٥٢/١٢٨٤، وكانت مواد هذا القانون بغير تفعيل حتى ١٣٤٨م، وآنذاك فقط انتشرت هذه المواد القانونية من قشتالة مع بعض التحفظات إلى كُلّ إسبانيا، ثُمَّ إلى المستعمرات الإسبانية في الفلبين، بورتريكو، فلوريدا، ولويزيانا . مصادر هذا القانونين كانت .قوطية غربية ورمانية مُتأخرة، ومن قانون الكنيسة، وجميعهم كان مُعادٍ لليهود . وهذا العداء لم يمنعْ المملكة القشتالية من حماية الدِّين اليهودي والأشخاص وممتلكاتهم . كان اليهود والمسلمين والأقليات القومية ذوى أعداد كبيرة وأهميته تمنع إساءة معاملتهم من جانب الحكومة القشتالية .

المادَّةُ ٢٤ الخاصَّةُ باليهودِ.

اليهودُ شعبٌ لا يُؤمنُ بديانة سيدنا المسيح، ولكنهم رغم ذلك تسمح لهم السلطات المسيحية دائماً بالعيش بيننا .

القانون الأول : ماذا تعنى كلمة يهودى، ومن أين اشتقت :

يُطلقُ اسم اليهود على الجماعة التي تعتقد في قانون موسى وتُطبّقه وتتبنّاه، ووفقاً لدلالة هذا المصطلح وكذلك مَنْ يتَّبعه، ويخضع لسائر جوانب وأوامر تلك العقيدة . هذا الاسمُ مُشتقٌّ من قبيلة Judah التي كانت أكثر ثراءً وعراقة وقوة من الآخرين، وكانت تملك أيضاً امتيازاً آخر، وهو أنَّ ملك اليهود لابُدَّ أنْ يتمَّ اختياره من أبنائها، كما كان رجالها يتقدمون الصفوف في المعارك الحربية . ويرجع السبب في سماح الكنيسة والأباطرة والملوك والأمراء

لليهود بالحياة بينهم ومع المسيحيين إلى أنّهم كانوا دائماً يعيشون في الأسر؛ نظراً لأنهم ينحدرون من ذلك الشخص (يهوذا) الذي قام بصلب سيدنا يسوع المسيح، وسيطرة هذه الفكرة على عقول الناس .

القانون الثاني : بخصوص ما ينبغي على اليهود في مُمارسة حياقم بين المسيحيين، وأي الأشياء يجب أن يُمارسوها وفق عقيدتنا، وأية عقوبة توقع على مَنْ يُخالف ذلك:

يجبُ أن نتركهم يعيشون بينا في هدوء ونظام، يُمارسون طقوس دينهم، ولا يسيئون الحديث عن الإيمان بسيدنا المسيح، وهو ما يؤمن به المسيحيون . وفوق ذلك على اليهودي أن يكون حريصاً للغاية على عدم تحويل أي شخصٍ مسيحي عن عقيدته بحيث يتحول إلى اليهودية، وذلك من خلال تزيين الدين اليهودي وتسفيه المسيحية أمامه . وكُلُّ مَنْ يخرقُ هذا القانون سوف ينال عقوبة الإعدام والحرمان من ممتلكاته، وحيث نسمع عن بعض اليهود في بعض المناطق مازالوا يحتفلون بيوم الجمعة، والذي يُجسِّدُ مُعاناة سيدنا يسوع المسيح، ويسرقون الأطفال ويصلبونهم، ويأخذون صورهم على الشمع ويصلبونهم حين لا يستطيعون الحصول على أطفال، فإننا نأمر بأنه في حالة حدوث شيء من هذا في أي مكانٍ تابع لنا، وإثبات ذلك، يكون كُلُّ الحاضرين أثناء ارتكاب هذا العمل عُرضةً للاعتقال والمُثول أمام الملك، وحين يتأكّد الملك من إدانتهم يأمرُ بإعدامهم بطريقة مهنية، مهما كان عددهم (يؤمن المسيحيون من قبل بأن اليهود خطفوا وقتلوا أطفالاً مسيحيين لأغرض دينية).

ونحن أيضاً نُحذِّرُ أيَّ يهوديٍّ يجرؤ على مُغادرة منزله أو الحي الذي يعيشون فيه للاحتفال بيوم الجمعة، حيث يجبُ أن يلزم كل منهم منزلة حتى صباح السبت، وإذا لم يفعل ذلك فإنّنا لا نحميه من أي ردود أفعال عدائية تصيبه من جانب المسيحيين (كان المسيحيون يرتكبون أعمال العنف في يوم الجمعة في الذكرى السنوية لصلب المسيح) .

القانون الثالث :لا يجوز لأي يهودي امتلاك مكانة أو وظيفة تسمح له بظلم المسيحيين :

كان اليهود فيما مضى يتمتعون بمكانة وامتيازات تفوق ما للآخرين، حيث كانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار. ولكن بعد فقدهم ذلك الذي منحهم هذه المكانة وتلك الامتيازات، وبدلاً من إكرامه وتوقيره قاموا بقتلة على الصليب، فإنَّه من الطَّبعي أن تؤدى جريمتهم إلى تجردهم من الشرف والامتيازات التي كانت لهم، ولذلك فمنذ اليوم الذي صلبوا فيه السيد المسيح لم يعد لهم ملوك ولا كهنه، وصار الأباطرة الذين كانوا من قبل سادة العالم كله يعتبرون أن جنايتهم للمسيح وقتلة تستوجب سحب كل مظاهر الشرف والامتيازات منهم، وبحيث لا يجوز لأي يهودي أن يحتل موقعاً مرموقاً أو وظيفة عامة يستطيع من خلالها إيقاع الظلم بساحة أي شخص مسيحي . (رغم ذلك كان ألفونسو قد تعامل مع الأطباء ورجال المال اليهود فيما يخصه شخصياً).

القانون الرابع : كيف يكون لليهود مكان عبادة بين المسيحيين:

المعبد اليهودي (synagogue) مكانٌ يُمارسُ فيه اليهود صلاتهم، ولا يمكن إقامة مثل هذا المكان في أي جُزءٍ من بلادنا، إلا بأمرنا، أمَّا بالنسبة لما كان موجوداً من قبل في المدن وأزيل ؛ فيمكن بناؤه في نفس المكان، ولكن دون أي توسعات أفقية أو رأسية أو زخرفة إضافية . ولو أُقيمَ المبنى على خلاف هذه الشُّرُوطِ فسوف يفقده اليهود وينضم إلى الكنيسة المحلية في دائرته. وحيث ذلك المبنى يمثل مكاناً يتردد فيه اسم الرَّبِّ بالشُّكرِ والمديح، فإنَّنا نُحذِّرُ أيَّ مسيحيٌ من تشويه أو إزالة أي شيء منه، أو سلب أي شيء بالقوة من داخله، إلا لو لجأ إليه واختبأ فيه بعض المجرمين أو الأشرار، حيث يكون من حقِّ أي شخص اقتحام المكان، واعتقال المجرم بالقوة وتقديمه للمحاكمة . كما نأمر المسيحيين بعدم وضع أي دواب أمام المعبد، أو وضع أي عوائق في طريق اليهود وأثناء ذهابهم هناك وفق طقوس دينهم (ولكن المسلمين كانوا محرومين من حقِّ بناء المساجد . فاليهودُ لم يكونوا في قاع التصنيف الاجتماعي آنذاك).

القانون الخامس :احترام يوم السبت:

يوم السبت هو اليوم الذي يُؤدِّى اليهود فرائضهم ويمكثون خلاله عازفين عن أي نشاط تعاقدي أو تجارى، ولهذا الذي يفرضه عليهم دينهم فإنَّ أحداً منهم لا ينبغي استدعاؤه أو

إجباره على المثول أمام محكمة . ونحن نأمر بألّا يقوم أيُ قاضٍ باستخدام القوة أو السلطة ضد اليهود يوم السبت، وذلك لإجبارهم على المثول أمام المحكمة بسبب ديونهم، أو يقوم بإزعاجهم على أي نحو آخر، فالأيام الأخرى من الأسبوع كفيلة بتنفيذ أي مطالبات أو تكليفات بخصوصهم، وتنفيذ المطالبات الواجبة عليهم وفق القانون . ولا ينبغي على اليهود طاعة الأوامر أو الاستدعاءات التي تُوجَّهُ لهم في ذلك اليوم، ولكن إذا أرتكب أحدهم جريمة التسبب في جرح أحد أو قتله أو سرقته أو أي جريمة أخرى من هذا النوع تستوجب عقوبة السجن أو التجريد من الممتلكات، فإن السلطة القضائية يجب اعتقاله يوم السبت .

كما نُقرِّرُ أيضاً بأن كل الادعاءات من المسيحيين ضدَّ اليهود ومن اليهود ضد المسيحيين ؛ يقوم بالفصل فيها قضاة مسيحيون في محل وقوع الدعوى، ولا يتمُّ إسنادها إلى شيوخهم (كانت المحاكم اليهودية لا توجد بها تشريعات تقضي بالفصل في الدعاوي التي يكون أحد أطرافها مسيحياً)، وكما أمرنا المسيحيين بعدم مثول اليهود أمام المحكمة يوم السبت، فإنَّنا نُقرر أيضاً أنّه لا يحقُّ لأحدٍ أن يُجبر المسيحيين على المثول أمام المحكمة في ذلك اليوم، أو يُطالبهم بأي شيء من هذا القبيل، كما تمنع أي مسيحىيعلى مسئوليته الشخصية من القبض على أي يهودي، أو الإساءة له في شخصه أو ممتلكاته، ولكن عليه في حالة وجود أي شكوى أن يتقدَّم بها للقضاة، وإذا تجرأ أي مسيحي على مُمارسة العنف ضد اليهود أو سرقتهم، فإن عليه القصاص بضعف ما أرتكب .

القانون السادس :بخصوص التَّنصير:

ليس ثَمَّة قوة أو إجبار سوف تمارس ضد أي يهودي لإقناعه بالتحول للمسيحية، ولكن المسيحيون يجب عليهم تحويله إلى ديانة يسوع المسيح عن طريق آيات الكتاب المقدس، وبكلمات طيبة فليس هناك حب أو خدمة يمكن الحصول عليها بالعنف والإجبار . ونحن نُقرِّرُ أيضاً أنه في حالة رغبة أي يهودي أو يهودية في التحول إلى المسيحية، فإن أحداً من اليهود الآخرين لا يمكن أن يعارض ذلك، ولو قاموا برجمه أو قتله لأنه يرغب في التحول إلى المسيحية

أو بعد تعميده، وتم إثبات ذلك، فإننا نأمر بحرق كل من شارك في الجريمة وكل المسئولية عنها من رجال الدين اليهودي (صدر هذا القانون لأول مرة في عهد قسطنطين الأكبر سنة ٣١٥) وإذا لم يصل الأمر للقتل ولكن للجراح والإصابات والإهانة ؛ فإننا نأمر السلطة القضائية المحلية بالقبض على المذنبين وعقابهم بنفس ما اقترفوه، فضلاً عن العقوبة المقررة للجريمة، ونأمر أيضاً بأنه بعد أن يتحوَّل أي يهودي إلى مسيحي يكون لهم كل الاحترام والتوقير حيثما يكون، وأن أحداً لا يجرؤ على أهانتهم أو أهانه نسبهم بما كانوا عليه من قبل، وتكون لهم كل حقوق الملكية، وكل حقوق الوراثة من الآباء والأمهات والأقارب، كما لو كانوا يهوداً، وتكون لهم كل وظائفهم وأعمالهم وكرامتهم مثلهم مثل المسيحيين سواء بسواء .

القانون السابع :عقوبة المسيحي المتحول لليهودية :

إذا قاد سوء الطالع أحد المسيحيين للتحول لليهودية، فإننا نأمر بإعدامه كما لو كان مهرطقاً كما تنزع ملكيته مثلما الحال جريمة الهرطقة .

القانون الثامن :لا يعيش المسيحي رجلاً أو امرأة مع يهودي:

نُحذِّرُ أي شخص يهودي من الاحتفاظ برجال أو نساء مسيحيين في منزله بدعوى خدمته، رغم أنه قد يتخذهم عمالاً للعناية بأرضة، أو لحمايته عند ذهابه إلى منطقة خطرة . كما يمنع أي رجل مسيحي أو امرأة مسيحية من دعوة يهودي أو يهودية، أو قبول دعوتهما للطعام أو الشراب معاً، أو شرب نوع من النبيذ المصنوعة على أيديهما (القانون اليهودي يمنع أيضاً استخدام النبيذ المصنوع بأيدي مسيحية)، ونأمر كذلك ألا يتجرأ أي يهودي على الاستحمام بصحبة المسيحيين، وألّا يتعاطى المسيحي أي دواء أو علاج مصنوع بأيدي اليهود، ولكن بوسعه تعاطيه بمشورة شخص ذكي، وفقط حين يكون الدواء من صنع شخص مسيحي يعرف جيداً مكوناته (ألفونسو من المحتمل أنه استعان بطبيب يهودي في نفس وقت إصدارة هذا القانون).

القانون التاسع :عقوبة اليهودي الذي يُمارسُ الجنسَ مع امرأةٍ مسيحية:

اليهود الذين يعيشون مع نساء مسيحيات مُذنبون بأقصى درجات الوقاحة وسوء الخلق، ولهذا السبب نقرر أنّه من الآن فصاعداً إذا تمّ ضبط يهود يرتكبون هذا السلوك فإنّ عقوبتهم الإعدام . فلو كان المسيحيون الذين يرتكبون الزنا مع نساء متزوجات يستحقون الإعدام فإن الجريمة أكبر بالنسبة لليهود الذين يُمارسون الجنس مع نِسوة مسيحيات هن زوجات روحيات لسيدنا يسوع المسيح بسبب العقيدة والتعميد باسمه، كما أنّ السيدة المسيحية التي تشارك في هذا الآثم لن تنجو هي الأخرى من العقاب، ونأمر بأنها لو كانت عذراء أو متزوجة أو أرملة أو داعرة تمنح جسدها للجميع سوف تعاقب بنفس العقوبة المذكورة في القانون السابق الذي يخص المسلمين حال اتصالهم الجنسي بامرأة مسيحية .

القانون العاشر : عقوبة اليهود الذين يقتنون عبداً مسيحياً :

لا يجوز لليهودي شراء أو اقتناء رجل مسيحي، أو امرأة مسيحية كعبيد، وإذا خرق أحدهم هذا القانون ؛ فإن الشخص المسيحي يسترد حريته على الفور، ولا يرد أي جزء من الثمن الذي حصل عليه، حتى لو لم كان اليهودي على دراية عند الشراء بأن ذلك الشخص مسيحي، وأن كان يعلم أنه مسيحي ورغم ذلك اشتراه واستخدمه ؛ فإن العقوبة آنذاك تكون الإعدام . ونحذر أي يهودي من تحويل الأسير إلى ديانته، حتى لو كان الأسير ينتمي إلى المسلمين أو ينتمي إلى برابرة آخرين . وإذا خالف أي شخص يهودي ذلك القانون فإنّنا نأمر باستعادة الأسير حريته وخلاصة من الجماعة التي كان بينها . وإذا تحوّل أي شخص مسلم من أسرى اليهود إلى المسيحية ؛ فأنة يعتبر حر على الفور، (ولكن المسيحيين بما في ذلك الكنيسة كان مسموحاً لهم باقتناء عبد مسيحي).

القانون الحادي عشر :علامات اليهود حتى يمكن تميزهم بها :

كثيراً من الجرائم وأعمال العنف تنشب بين المسيحيين واليهود نظراً لمعيشتهم في مكان واحد داخل المدن، وتشابههم فى الملابس والمظهر العام، وحتى يمكن تفادى الشرور والأضرار

الناتجة عن ذلك الوضع فأننا نأمر بأن يكون كل اليهود رجالاً ونساء، الذين يعيشون في بلادنا مجبرين على وضع علامة فوق رؤوسهم حتى يتعرف الناس على اليهودي أو اليهودية، وسوف يتعين على أي يهودي لا يحمل هذه العلاقة دفع عشرة مارافيديس من الذهب عن كل مرة يضبط فيها بدونها، وأن لم يكن يملك دفع هذه الغرامة يعاقب بعشر جلدات (هذه محاولة لتفعيل قانون البادج اليهودي للبابا انسونت الثالث سنة ١٢١٥).

Jacob Marcus, the Jew in the Medieval World, New York 1938, pp.34-42

ملحق رقم (٢)

قرار طرد اليهود من إسبانيا ١٤٩٢م

(١) لورد فرديناند وليدى إيزابيلا ملك وملكة قشتالة وليون وأراجون وصقلية وغرناطة وطليطلة وفالنسيا وجاليسيا وجزر البليار وسيرفيلا وسارونييا وقرطبة وكورسيكا ومورسية وجيان وآلجارفى وألجيكراس وجبرلاكار وجزر الكنارى وكونت وكونتيسة برشلونة ولوردات بيسكاى ومولينا ودوقات أثينا ونيوباتريا وكونتات روسيليون وماركيزات أورسيتان وجوسيانو إلى أمير اللورد خوان أبينا العزيز والمحبوب للغاية، وإلى الطفل الملكى الآخر، وإلى الدوقات والكونتات، وسادة النظم العسكرية، والقساوسة والأوصياء وقادة الفرسان، وحكام القلاع والمناطق الحصينة فى ممالكنا وإقطاعياتنا، وإلى المجالس والإدارات والعمد والكونستابلات، وإلى القضاة الإقليميين والفرسان، وكل الرجال الشرفاء في مدينة بورج النبيلة المخلصة والمدن الأخرى والقرى التابعة لأسقفيتها ورئاسات الأسقفيات الأخرى، وإلى رجال الأسقفيات في ممالكنا وإماراتنا (إقطاعياتنا)، وإلى الأحياء السكنية لليهود في مدينة بورج وكل المدن سالفة الذكر والقرى التابعة لأسقفيتها، وإلى كل اليهود جماعات وأفراد في هذه المناطق، وإلى البارونات والنساء من أي عمر، وإلى كل الأشخاص الآخرين أيا كانت قوانينهم أو حالتهم أو وضعهم أو مكانتهم، وإلى من يهمه الأمر في هذه الوثيقة ... تحية وفضل ...

(٢) ينبغي أن تعلموا جيد أنه أينما تم إبلاغنا بأن هذه الممالك الخاصة بنا تواجه بعض المسيحيين الأشرار الذين يمارسون التهويد بين أصحاب العقيدة الكاثوليكية المقدسة، والسبب الرئيسي في ذلك هو التفاعل بين اليهود وهؤلاء المسيحيين وفى التشريعات التي أصدرها في مدينة طليطلة سنة ١٤٨٠م ؛ أمرنا بفصل هؤلاء اليهود وعزلهم في جميع المدن والقرى في ممالكنا وأراضينا، وإعطائهم أحياء سكنية وأماكن خاصة يعيشون فيها بمعزل عن الآخرين، وذلك على أمل أن تكون حياتهم على هذا النحو أفضل ولتهدئة الموقف . وفوق ذلك أمرنا

بأن يتم ذلك في ممالكنا ومناطقنا التي بدأت كما تعلمون منذ ١٢ عاما ومازالت، والتي اكتشفت الكثير من المذنبين وأعقب ذلك إبلاغنا من المصادر الرسمية والشخصية، الكنيسة والعلمانية أن تلك الأوضاع أدَّت إلى قدر كبير من الأذى، ومازالت، فقد واصل المسيحيون الاحتكاك باليهود والتعامل معهم، وعلى كل المستويات،بينما كان اليهود فيما يبدو مازالوا يبحثون بشتى السبل سرقة المسيحيين المخلصين من العقيدة الكاثوليكية وفصلهم عنها وجذبهم إلى الدين اليهودي وعقيدهم الشريرة، وذلك من خلال ضمهم إلى التعاليم والطقوس الخاصة بشريعتهم واللقاءات التي تتم خلال تلاوة تدريس عقيدهم وطقوسهم، ويحاصرون المسيحيون وأطفالهم بهذه الطريقة، ويقدمون لهم كتباً يقرؤون فيها الصلوات والطقوس والتعاليم، ويعلموهم تاريخهم وشريعتهم، كما يدربوهم على ما ينبغي أن يفعلوه في أعيادهم قبل موعد كل عيد، ويقدمون لهم الخبز من بيوهم واللحوم المذبوحة على طريقتهم، ويدربوهم على الحلال والحرام في الأطعمة وفى كل شيء وفق شريعتهم، ويقنعوهم بالالتزام بشريعة موسى، ويقولون لهم أنَّها الحقُّ الأوحدُ بين كُلِّ الشرائع والأديان الأخرى، وقد تمَّ إثبات ذلك من خلال الكثير من الأقوال والاعترافات من اليهود ومن آخرين تورطوا معهم، وتعرضوا لكثير من الأذى بعد تحولهم من العقيدة الكاثوليكية .

(٣) علمنا بجانب كبير من هذه الممارسات من قبل، وعرفنا أن الدواء الوحيد لمثل هذه التجاوزات ؛ هو منع التعامل بين اليهود والمسيحيين ونفيهم من ممالكنا، وكنا نكتفي من قبل أرضاء لأنفسنا بتوجيه الأوامر لهم بمغادرة كل المدن والقرى فى الأندلس حيث الجانب الأكبر من هذه الممارسات معتقدين أن ذلك سوف يكون كافيا لردع الآخرين في المدن والممالك الأخرى عن ارتكاب المزيد من هذه الأفعال المشينة، وحيث أنه تم إبلاغنا بأن هذه الخطوة الجزئية بالإضافة إلى فرض عقوبات إدانة ضد اليهود المتورطين في جرائم ضد الكاثوليكية، ليست كافية كعلاج كامل يصحح الأوضاع وينقذ العقيدة والدين المسيحي من هذه الجرائم، ففي كل يوم نجد أن اليهود يتزايد عددهم ويستمرون في شرورهم في أي مكان يعيشون فيه، وهكذا لن يكون هناك أي مكان لا يفعلون فيه جرائهم ضد المسيحية، ويقومون بتخريب

وإفساد هؤلاء الذين حفظهم الله وأحبهم من عباده حتى الآن، وكذلك الذين سقطوا ثم عادوا إلى الكنيسة الأم . وبسبب الضعف البشرى ووسوسة الشياطين والأغراء المالي كانت الحرب ضدنا سهلة الحدوث ما لم نتمكن من إزالة دافعها الرئيسي، وعزل ونفى اليهود من ممالكنا . فحيثما تكون جريمة ارتكابها أشخاص من أي منظمة أو جماعة، من المنطقي أن يتم حل المنظمة أو الجماعة، ومعاقبة أعضائها المتورطين وغير المتورطين، وأن يتم عقاب من يفسدون الحياة الطيبة والشريفة في المدن والقرى بإبعادهم وطردهم من أماكن تواجدهم بها حتى لا تصيب عدواهم الآخرين، حتى لو كانت جرائمهم أقل ؛ لكنها قد تؤذى الجمهور في عموم البلاد فإن حالات العدوى في مثل هذه الجرائم شديدة الخطورة .

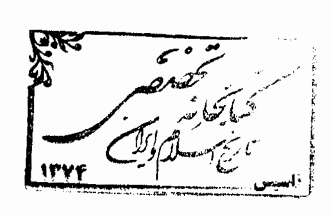
(٤) لذلك فإننا بعد استشارة كبار رجال الدين والنبلاء في مملكتنا وكذلك المشهود لهم بالثقافة والحكمة في المجلس، قد قررنا توجيه أوامرنا لليهود من الرجال والنساء في مملكتنا بمغادرة البلاد وعدم العودة مرة أخرى إلى منطقة تابعة لنا، وفى هذا السياق نفسه قررنا إصدار هذا المرسوم ؛ لنقرر أننا قد أمرنا كل اليهود من الذكور والإناث، وفى أي سن، والذين يعيشون أو يقيمون أو يوجدون فى الممالك والأراضي المذكورة ممن يحملون المواطنة أو لا يحملونها ويعيشون هناك لأي سبب من الأسباب ؛ أن يكونوا بنهاية شهر يوليو القادم من العام الحالي قد غادروا ممالكنا وأراضينا بإكمالها، ومعهم أبناؤهم وبناتهم وخدمهم وخدماتهم ومعارفهم اليهود كبارهم وعوامهم من كل الأعمار، ولا يكون لهم حق العودة مرة أخرى، ولا حق الإقامة، ولا حق الحياة في أي جزء منها حتى لو كان بصفة مؤقتة، أو بأي طريقة أخرى، وفى حالة عدم الاستجابة الكاملة لهذه الأوامر، وحال عثورنا على أحد منهم في الممالك والأراضي التابعة لنا ؛ فأنهم سوف يتعرضون لعقوبة الإعدام والحرمان من كل ما يملكون، عن طريق الإدارة المالية الخاصة بنا، ويطبق ذلك بالقانون، وفق قرار المحكمة أو العقوبة أو الإعلان، ونحن نحذر ونأمر أي شخص في هذه الممالك أياً كان وضعه الاجتماعي العام أو الشخصي أن يجرؤا على حماية أو استقبال أو الدفاع عن أي منهم سراً أو علانية بعد التاريخ المذكور (نهاية يوليو)، ومن يفعل ذلك سوف يتعرض لحرمانه من كل ممتلكاته وكل أمواله من خلال الإدارة المالية .

(٥) وحتى يكون اليهود ذكوراً وإناثاً قادرين أثناء الفترة المقررة، وحتى نهاية شهر يوليو على الخروج بأنفسهم وممتلكاتهم ؛ فأننا نضعهم تحت حمايتنا، ونؤمنهم على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم طوال هذه الفترة، حتى نهاية شهر يوليو إلى أن يتمكنوا من السفر بسلام، وبوسعهم ممارسة البيع والشراء والتجارة في المنقولات، وغيرها من الأملاك بكل حرية، ولا يحق لأحد إيذاؤهم أو التعرض لهم بالمخالفة للقانون في أشخاصهم أو أملاكهم، وإلا تعرض للعقوبة المقررة لمن يتجاوز الأوامر الملكية، ونحن أيضاً نمنح الفرصة لليهود بتصدير أملاكهم وبضائعهم بالبحر والبر، خلال أراضينا طالما لم يكن بينها الذهب أو الفضة أو العملة أو أي أشياء ممنوعة بمقتضى قانون الممالك، فيما عدا التجارة والأشياء المباحة .

(٦) ونحن نأمر كل المجالس والمحاكم والإدارات والفرسان والجهات الرسمية، وكل الرجال الشرفاء من مدينة برغش والمدن الأخرى والقرى، وكل من يعنيهم أمر الوثيقة بتقديم كافة المساعدات لهم ؛ بوضعهم تحت حمايتنا وحماية كل أملاكهم ومقارهم تحت رعاية الإدارة المالية . وحتى يصل هذا الأمر إلى الجميع، فقد أمرنا بان تكون الوثيقة معلنة في الأماكن العامة من المدينة والمدن الرئيسية والقرى التابعة لأسقفيتها كوثيقة وبيان عام . ولا يحق لأي شخص إزالتها أو طمسها ؛ وإلا تعرَّض لعقوبة الحرمان من ممتلكاته، وفوق هذا نأمر الأشخاص الذين يعملون ضد الوثيقة بالمثول أمامنا في البلاط حيثما كنا في اليوم الذي نحدده خلال ١٥ يوما عقب تاريخ الجريمة، ونأمر كل كاتب عام يستدعي لقراءة هذه الوثيقة عليه يظهر للعامة توقيع وختم الملكين ليعلموا أننا أصحاب قرار الطرد.

(٧) تم تقديمها في مدينة غرناطة ٣١ مارس ١٤٩٢ أنا الملك ،أنا الملكة ،أنا خوان دي كولوما وزير الملك والملكة قد أمرنا بكتابة الوثيقة وسجلت بواسطة كابريا، شانسلور أكمان.

Oliva constable, medieval Iberia, Reading from Christian , Muslim and Jewish sources, University of Pennsylvania press Philadelphia, 1997, pp . 352-356



المراجع العربية والمترجمة:

- افيفا مولر لنتسط، حياة اليهود في مراكش، القدس ١٩٨٣م (بالعبرية).
- أميركو كاسترو، إسبانيا في تاريخها، المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة على إبراهيم المنوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م.
- بسام أسخيطة، قصة محاكم التفتيش، دار هيا للنشر والتوزيع، دمشق٢٠٠٠م.
- حاييم زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، ترجمة أحمد شحلان، الدار البيضاء ١٩٨٧م، ص١٢٣-١٢٤
- حاييم زعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة : أحمد شحلان، الرباط٢٠٠٢م
- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٧٩م
- دولورس برامون، المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ترجمة : رانيا محمد محمد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٤ م.
- رمسيس عوض، محاكم التفتيش، دار الهلال، ٢٠٠١م.
- عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠١م .
- قاسم عبده قاسم، الاضطهادات الصليبية ليهود أوربا من خلال حولية يهودية، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول ١٩٨٢م.
- محمد الحبيب بن خوجة، يهود المغرب العربي، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية، القاهرة ١٩٧٣م.
- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، وتاريخ العرب المتنصرين، لجنة التإلىف والترجمة والنشر، القاهرة١٩٦٦م.

▪ مرثيديس غارثيا أرينال، شتات الأندلس، ترجمة محمد فكري عبد السميع، المشروع القومي للترجمة القاهرة ٢٠٠٦م.

▪ المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.

▪ نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة : قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ١٩٨٦م.

▪ هدي درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٨م .

▪ هوتيكروفت، الكفار، تاريخ الصراع بين عالم المسيحية والعالم الإسلامي، ترجمة : قاسم عبده قاسم، تحت النشر، المركز القومي للترجمة .

▪ ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

▪ Adler, E.N ., Lea on the inquisition of Spain and Herein of Spanish and Portuguese Jews and Marranos, Jewish quarterly Review, oll.XX.

▪ Ben Sasson ,Inter-communal in Relation in Geonic Period, in (The Jews of Medieval Islam)Ed., Daniel Frank, Leiden, 1995.

▪ Benzion, Netanyahu, the Marranos of Spain from the late 14the to the early 16the centuries , cornellun.,1999.

▪ Constable, Oliva , Medieval Iberia , Reading From Christian, Muslim and Jews sources , university of Pennsylvania Press ,Philadelphia 1994.

▪ Encyclopedia Judaica1971: Spain.

▪ Finkelstein, Louis , Jewish self-Government in the middle ages, New York 1929.

▪ Goulven,J., Notes sur les origins Anciennes des Israelites du Maroc, (Hisperis) vol.,1,1921.

▪ Gutwirth, Eleazar, The Jews in 15th century Castilian chronicles , The Jewish Quarterly Review, LXXIV,No.,4 (April,1984).

- Haliczer, Stephen H. , The Castilian urban patriciate and the Jewish Expulsions of 1480-92,The American Historical Review vol.,78,N.,1,Feb.1973.
- Hirschberg ,Haim,A History of the North Africa , Leiden 1974.
- www.jewishencyclopedia.com/articles
- www.jewishvirtuallibrary.org
- Katz ,Bernard, A BRIEF JOURNEY THROUGH Spanish Jewish History, Jewish Affairs * Chanukah 2009.
- Marcus, Jacob, the Jew in the Medieval World ,New York 1938
- Marx, Alexander The Expulsion the Jews from Spain, Jewish quarterly Review,vol.,20,N2,Jan1908.
- Meyerson, Mark D., Aragonese and catalan Jewish converts at the time of expulsion, Jewish history ,vol.6,nos.1-2.1992.
- Nierenberg, David, Conversion, sex, and segregation: Jews and Christians in medieval Spain , in American historical Review October2002.
- Noble, Graham, The Expulsion of the Jews of Spain , History Review, issue 55, 2002.
- The Oxford Dictionary, Jewish Religion.
- Ray, Jonathan Stewart , The Medieval Sephardic Frontier: the Jewish Experience in Reconquest Iberia, Doctor of Philosophy in Jewish History, the Jewish Theological seminary of America Graduate school ,2002.
- Roth, Cecil , A Hebrew Elegy on the Martyrs of Toledo,1931, Jewish quarterly Review vol.39,no.2,oct.,1948
- Roth, Norman, Bishops and Jews in the Middle Ages, Catholic Historical Review; Jan1994, Vol. 80 Issue 1.
- Roth, Norman, the Jews of Spain and the expulsion of 1492, Historian; Fall92,vol.55 Issue 1.
- Roth, Norman, Jews, Visigoths and Muslims in medieval Spain , Leiden1994.
- Ruiz, Teofilo,F., Spain's centuries of crisis 1300-1474.Blackwell, 2007.
- Slouschz, Nahum , Travels in North Africa , Philadelphia 1927.

- Steven J. Mcmichael,the end of the world, antichrist, and the final conversion of the Jews in the fortalitium fidei of friar Alonso de espina (d. 1464), medieval encounters 12,2, 2006.
- Utterback, Kristine T. Conversi, Revert: Voluntary and forced return to Judaism in early Fourteenth ,Church History, vol.64,no 1 (Mar., 1995).
- wolff, Philippe, the 1391 pogrom in Spain . social crisis or not ? in Past and present no.50,Feb.,1971.

المحتويات

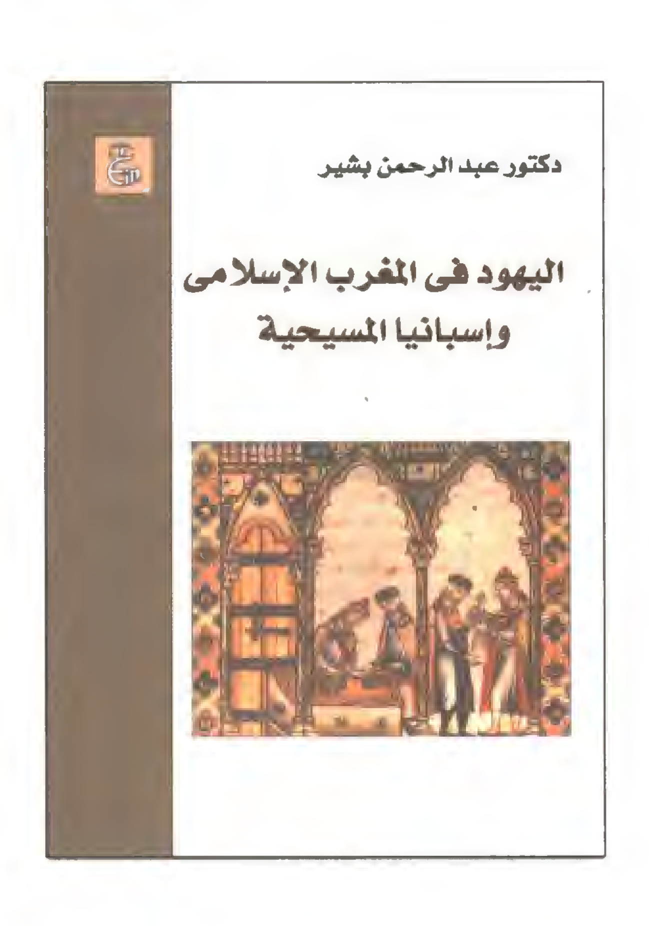
القسم الثانى

رقم الإيداع /٨٩٣٧ / ٢٠١٤م

الترقيم الدولى I.S.B.N. 978-977-322-328-1

مطبعة صحوة

تليفون وفاكس / ٣٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨





للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES